أحسنُ قُو

شمس العموره

أهدي هذا الكتاب لكل شخص دعمني ووقف بجانبي، وكان يدفعني خطوات للإكمال.
أهدي هذا العمل لكل من أحبه في عالمي الصغير، وكان من الداعمين لي.
أهدي هذا الكتاب لعائلتي العزيزة، وصديقاتي الوفيات، وخالتي الحبيبة.
أهدي هذا الكتاب لكل من يمسكه الآن بين يديه، أهديه لمن يريد أن يكون كاتبًا.

إلى حامل هذه الرواية بين يديه الآن، أتمنى أن تستمتع أثناء قراءتك لها.

لا تستغرب من تناقضات شخصياتها، وركز في كلماتها، علك تستدل على النهاية قبل أوانها!.

لا أجزم أنها ستروق لك عزيزي القارئ، لكنني أجزم أنها ستعطيك درسًا من دروس الحياة.

التمس المشاعر التي حاولت تجسيدها في شخصياتي، وأخبرني عند انتهائك من قراءتها بكل شخصية وما المشاعر التي تجسدت فيها.

لست بتلك البلاغة في الأسلوب، أحبذ البساطة ليفهمها الجميع.

أتمنى لك قراءة ماتعة عزيزي القارئ، وأن تنال روايتي استحسانك.

لا تتركها إن شعرت بالملل، أكملها واحكم عليها عندما تصل إلى النهاية.

أتمنى أنني لم أطل عليك عزيزي القارئ،

أتركك مع الرواية الآن...

غدوت ضحية في ذلك القصر الشاهق.
يعتبروننا عارًا عليهم بمجرد نطقنا بكلمة، ذنبي -كما سموه- الذي ارتكبته أنني تحدثت إلى أحد الأمراء في آخر حفلة أقامها أبي و كنت متواجدة بها، جعلني حبيسة في غرفتي لمجرد قيامي بهذا. حاولت الهرب لكنني لم ألقَ سوى الفشل في محاولاتي. أتمنى أن تنشط قوتي بسرعة، تعبت من الإنتظار.

ما إن استطعت إفاقتها من سكونها سأتحرر من هذا الجحيم، هذا ما قالته أمي قبل صعود روحها للسماء .

ذاقت الكثير من أبي، تحملت أكثر مما تصورت... تحملت فقط من أجلي، هي ليست مضطرة للبقاء مع سكير خائن لزوجته.

أوه أعتذر نسيت أن أعرف بنفسي!

أنا تيا، ابنة الكونت ڤيكتور أشهر مصاص دماء في أكستاڤو.

أنا نتيجة لبشرية ومصاص دماء، لكن ورثت قوى مصاصي الدماء من أبي لكنني قيثارة ولا أعرف متى ستستيقظ قوتي، أريدها الآن قبل الغد، هي من ستخلصني مما أنا عالقة فيه.

وحدها ستيلا من تؤنس وحدتي، هي خادمتي الخاصة.

بعد إقفال أبي الباب علي، هي من تأتيني بكل شيء أريده، وكأنها تسكن في عقلي.

تعرف ما أريد دون أن أطلبه منها، إنها صديقتي الوحيدة في هذا القصر المعتم، ربما هي الشي الوحيد الذي أشكر أبي عليه في العشرين سنة التي قضيتها معه.

لم يكن يسأل عن أحوالي، حتى عند مرضي، يتصرف وكأن شيئًا لم يصبنِ وهذا ما يفقدني أعصابي!.

رغم ظلمة القصر وكآبته إلا أنني أحب غرفتي، أمي قامت بجعلها مختلفة عن باقي غرف القصر، منظرها سعيد ودافئ تمامًا كابتسامتها.

وها هي ذي بطلتنا تغفو بعد طول الحديث معنا. سأحدثكم أكثر عن تيا النائمة

هي أجمل من أي فتاة تعيش في أكستاڤو. يقال بين بعض النساء أنه من شدة جمالها لا تستطيع التحديق بها لأنك قد تصاب بالعمى!.

وتقول بعضهن أن عيناها فيهما سحر لأي شخص ينظر إليهما.

هي أجمل من أي مصاصة دماء في كل أكساڤو رغم أنها مجرد قيثارة.

وبالتواضعها، لا تعترف بجمالها وترى أن الكثيرات أجمل منها.

فبالنسبة للكونت لڤيكتور هو أيضًا حسن الوجه لكن ليس بقدر حسن زوجته المتوفية .

وكيف لتيا أن لا تكون بهذا الجمال و هذان والداها؟.

بينما تيا تتعذب بغرفتها والدها يعاني بصمت على ما يفعله بابنته، هو مضطر لفعل هذا حتى تستيقظ قواها، هو يعلم أنها تمقته بشدة وهو متفهم لأنه يستحق ذلك بعد أفعاله الشنيعة مع زوجته وابنته.

يعلم أنها تريد الهرب ولكن هي لا تعلم مدى خطورة العالم الخارجي.

وقد أساءت فهمه عند اعتقادها أنه قام بحبسها لأنها تكلمت مع أمير، السبب الحقيقي هو أن الأمير الذي يدعى جون شرير ولم يرد ڤيكتور أن تقع تيا في شباك فخه الخبيث، وبعد هذا الموقف قرر أن يجعل من تيا قيثارة متحررة القوى.

هو يعلم أكثر من أي شخص آخر مدى قوة تيا إلا أنها نصف مصاصة دماء وما بقي من نصف فهو السحر الذي ورثته من أمها.

يريد منها أن تستخدمها بحكمة، لأنها ستتعب إذا استخدمتها دائما وبتهور.

كم هو صعب أن تمتلك قوة تفيدك و تضرك في الوقت ذاته.

هو يحب ابنته، كان وما زال يحب زوجته لكن ظروفه في صغره جعلته وحشًا لا يستطيع التعبير عن حبه و مشاعره للآخرين، ليست فقط طفولته.

"اليوم عزمت على تحرير قوتي حتى أهرب من هذه الغرفة، ستيلا تعرف كيف يمكنني فعلها و ستساعدني على تنفيذ ما أريده."

كان ذلك حوار تيا مع نفسها لما هي مقدمة عليه

في مكان آخر خارج جدران غرفة تيا، نادى ڤيكتور ستيلا عندما لمحها تمر من أمامه:

- ستيلا انتظري.

توقفت ستيلا مجيبة:

- نعم كونت ڤيكتور.

مد لها ظرفاً ثقيلا وقال:

- أريد منك أن توصلي هذا الظرف إلى تيا ولا تخبريها أنني من أعطيتك إياه، مد يده و كان فيها ذلك الظرف الكبير الذي يحتوي على نقود قد تحتاجها عند فرارها .

- حاضر سيدي.

صمت ڤيكتور ثم سأل بتردد:

- هل هي بخير؟

أجابته ستيلا بقليل من الخوف:

- ليس تمامًا، أخاف أن تموت عند تحرير قواها.

اعترض ڤيكتور غاضباً من كلام ستيلا:

- لا تقولي هذا يا ستيلا، أيًا يكن ... أريد منك مرافقتها بعد خروجها و الاهتمام بها، لأن صحتها ستتدهور عندما تعلن أنها أصبحت قيثارة حقيقية.

أقفلت ستيلا النقاش قائلة:

- حسنًا سيدي، أتأمرني بشيء آخر؟

تنهد مرجعاً شعره للوراء بيد والأخرى موضوعة على خصره:

- انتبهي على تيا فهي كل ما تبقى لي في هذه الحياة.

طمأنته ستيلا بنبرة حنونة:

- لا تقلق سيدي سأكون خير حامية لها.

وقبل أن تختفي من أمامه ذكرها:

- أثق بك ستيلا، لا تنسي الكتاب الذي أعطيتك إياه.

أكدت ستيلا سائمة تريد فقط الهروب منه:

- لم أنسَ أمره سيدي فبدونه آنسة تيا لا تستطيع إخراج قواها، أستأذن سيدي.

انصرفت ستيلا مكملة طريقها.

قال ڤيكتور بترجي:

- إلهي احمي لي ابنتي أرجوك!، لا أريد أن أخسرها هي أيضًا.

طق طق

أجابت تيا على الطارقة:

- تفضلي ستيلا

- كيف حالك اليوم سيدتي؟

- أنا بخير ستيلا، كم مرة قلت لك نادني تيا وحسب، الصديقات لا ينادون بعضهن بسيدتي.

قالت ستيلا مبررة:

- أعتذر تيا، لكن كما تعلمين أمام النبلاء يجب أن أناديك والفترة الأخيرة كانت مليئة بهم.

تفهمت تيا وغيرت الموضوع سائلة:

- لا بأس، ما هي أحوال القلعة؟.

جلست ستيلا على الكرسي وقالت بشيء من الحزن:

- الكونت يتم ضغطه من قبل الإمبراطور حتى يعجل بتدريب الجنود.

- لما؟ أتوجد حرب جديدة؟

أجابت ستيلا بتشكك:

- تقريبًا، لكنها تقع في شمال أكستاڤو ونحن في وسطها تقريبًا.

حركت تيا مستغربة سائلة:

- إذن ما به الإمبراطور؟.

- يخاف أن تكثر أعداد العدو، ويصبح من الصعب حماية الجهات الباقية من أكستاڤو. أنت تعلمين كم تعب الإمبراطور حتى وصلت البلد لما هي عليه الآن.

- بالطبع أعرف كم عانى الإمبراطور حتى حول أكستاڤو من حطام إلى أجمل ما رأت عيناي، مبانيها، شوارعها، حتى أزقتها هي مثالية تمامًا.

صمت المكان قليلاً لتكسر هذا الصمت ستيلا بسؤالها:

- إذن تيا هل أنت مستعدة؟.

- من أجل ماذا؟.

قالت ستيلا مذكرة:

- يا ذاكرة السمكة لتحريرك، أقصد تحرير قواك.

- أوه صحيح لقد نسيت آسفة، تأسفت تيا مع رسم ابتسامة صغيرة أثناء كلامها.

أرجعت ستيلا ظهرها للوراء وقالت:

- علينا انتظار حلول الليل سأكون قد جمعت ما يلزمنا لتحريرك.

استغربت تيا:

- هنالك طقوس مخصصة؟

أوضحت ستيلا:

- طبعًا لأنك قيثارة، لو كنت مصاصة دماء لاحتجتُ فقط تلاوة التعويذة عليك.

هزت تيا رأسها بفهم لتلمح الظرف الذي تمسكه ستيلا سائلة:

- ستيلا ما هذا الظرف؟

- إنها بعض النقود قد نحتاجها.

استأذنت تيا:

- هل لي بفتحه؟

- نعم تفضلي، ناولت ستيلا الظرف لتيا، أمسكته وفتحته لتجد عددًا ضخمًا من القطع الذهبية.

نظرت تيا إلى ستيلا موجهة سؤالاً:

- كيف استطعتِ جلب كل هذا؟

فكرت ستيلا بكذبة قبل أن تدخل للغرفة وسردتها:

- لقد أعطتني إياه سيدتي قبل موتها، كانت تعلم أنك قد تهربين يومًا.

نظرت تيا للظرف متفحصة إياه، وقعت عينها على كتابة بخط يستحيل أن تخطئه.

عرفت تيا المسرحية التي تحيكها ستيلا وقالت مجارية إياها:

- حتى و هي كانت تحارب ما زالت تفكر في ابنتها، تغرغرت الدموع بعيني تيا بينما تريد ستيلا أن تخبرها أن طيلة هذه المدة كل ما كان يجلب لها هو من الكونت ڤيكتور لكنها التزمت الصمت.

وقفت ستيلا وتحركت باتجاه الباب، أعلمت تيا بقولها:

- سأذهب الآن تيا لجلب إفطارك وأعود.

ترجت تيا ممسكة طرف ثوبها الذي مر من أمامها:

- لا تتأخري أرجوك.

- لا عليك سأعود بأقصى سرعة.

قالت تيا مازحة:

- معك إلى ثلاثة إذا لم تعودِ ستخسرين.

ضحكت ستيلا مجيبة:

- لست أوغامي حتى أستطيع فعلها (أوغامي حيوان أسطوري عند أهالي أكستاڤو يتميز بالسرعة).

أفلتت تيا ثوبها واضعة كل جسدها على الكرسي:

- أوه حسنًا أنا سانتظرك يا سلحفاتي.

خرجت ستيلا مغلقة الباب وراءها لتعود تيا وحيدة بين أربعة جدران تفكر وتفكر.

بماذا تفكر؟ لا أدري تفكر بكل شيء حتى تقضي على ضجرها.

الوحدة صعبة، والأصعب هو فقدان الإهتمام والحنان من الشخص الذي يتوجب عليه أن يغرقك بهذين الشيئين.

قالت تيا وهي تحتضن دميتها المحشية:

- أعتقد أنني ربما أشتاق لأبي، أعرف أنه الذي يقول لستيلا أن تحضر لي هذا وذاك، لكن أنا لم يعد عندي ذرة صبر للبقاء معه إن كان لا يستطيع مواجهتي والتكلم معي، ربما هو فقط يشفق على حالي.

أبي معروف بكرمه، صحيح أن طيلة العشرين سنة لم أطلب شيئًا إلا وجلبه، لكنه نسي أهم شيء أريده ولا أستطيع طلبه، ألا وهو حنانه.

أردته و بشدة، في كثير من الأحيان وددت لو أنه عانقني وربت على ظهري يخبرني أن الأمر سينتهي، لكن لم ألقَ تلك اللحظة طوال حياتي، أمي فقط من فعلتها لي.

كنت دائمًا أرى مدى حبه لي بعينيه ولكن هنالك شيء يمنعه من التكلم وإظهار مشاعره لي، شكرًا للإله أنه أحبني، لم أكن أريد أبًا لا يحبني، أفضل أن يعاملني هكذا على أن يكرهني.

أظن أنني... قد أكتب له رسالة وأضع إحدى قلائدي ذكرةً له حتى لا ينساني.

أنهت كلامها سامحة لقطراتها المالحة بالنزول.

مر الوقت، وما زالت تيا تنتظر حلول الليل بفارغ الصبر وهاقد حل أخيرًا بعد طول انتظار.

قالت ستيلا محذرة:

- تيا عليك البقاء ساكنة لا تتحركي ولا تتفوهي بأي كلمة حتى لا تتأذي.

- حاضر... ستيلا هل يمكن أن أموت؟

ركزت ستيلا نظرها على الرسم الدائرة وأجابت تيا دون الالتفاف:

- لا تقلقِ تيا، لقد رتب سيدي كل الإجراءات حتى لا يمسك مكروه.

تعجبت تيا:

- أبي؟! سكتت لبرهة قبل أن تكمل : ستيلا هل أبي في القصر اليوم؟

- نعم سيدي في غرفته لما تسألين؟

ترددت قليلًا لتقول متنهدة:

- أريد رؤيته قبل أن أذهب.

توقفت ستيلا عن الرسم ونظرت لتيا:

- لكن تيا قلتِ أنك تودين الهروب، وعند إخبار الكونت أن تحرير قواك هو لكي ترحلي عن القصر، ألن يمنعك؟.

ارتفعت نبرة تيا وقالت بغضب:

- اللعنة ستيلا أتعتقدين أنني بهذا الغباء حتى لا أعلم أنه يعرف كل ما أريد فعله وبالتفصيل أيضًا؟

أجابت ستيلا بسرعة محاولة حل سوء الفهم:

- لا أقصد هذا لكن...

قاطعتها تيا مصارحة إياها:

- لا داعي لإكمال المسرحية، فأنا أشعر هذه الأيام بخطواته ليلًا تتقدم ناحية بابي وأشعر بيده التي تدير المقبض وأشعر بكلماته التي يهمس بها، وقبل أن يذهب يقوم بالتمسيد على شعري وتمني الأحلام السعيدة لي.

زفرت ستيلا براحة:

- وكأن همًّا انزاح عن صدري، دائمًا ما كنت أريد إخبارك بهذا لكن الكونت كان يحذرني من قول أي كلمة .

تذكرت تيا وقالت تذكر ستيلا:

- أعتقد أن علينا الإسراع قبل ذهاب القمر فهو لن يبقى واقفًا عند نافذتي طيلة الليل.

- معك حق.

أكملت ستيلا رسم الدائرة ومن ثم راحت تشعل الشموع الموزعة على أنحاء الغرفة.

جلست تيا القرفصاء على دائرة السحر، تحيطها الشموع الصفراء من كل النواحي، بدأت ستيلا بقراءة التعاويذ التي أعطاها الكونت لها، عند انتهاء ستيلا من آخر تعويذة، ظهر من جسد تيا ضوء أحمر وارتفعت تيا عن الأرض حتى بقي بينها وبين سقف الغرفة بضع إنشات، بنفس مقدار السرعة التي ارتفعت فيه هبطت إلى الأرض به.

أحدث ذلك صوتًا دوى في كامل القصر معلنًا عن تحرير قوى ابنة الكونت ڤيكتور الكونتيسة تيا.

انتفض ذلك القابع على كرسيه المخملي بعد سماعه للصوت، نهض وبدون وعي منه، رجلاه باتت تأخذانه إلى مصدر الصوت.

تصنمت ستيلا من منظر سيدتها فقد أصبح شعرها أحمر كلون الدم ليس الذي كان قبل لحظات يلمع من شدة صفاره، وكأنما صنع من ذهب.

لم يطل تصنم ستيلا لأن تيا أفاقت واكتسى بؤبؤ عيناها أيضا بالأحمر لا الأزرق، تشع منها هالة مخيفة قوية اقسمت ستيلا أن قدماها باتت ترتجفان من مظهرها.

وقف تيا تمشي إلى المكان الذي تقف فيه ستيلا لكن قاطعها دخول والدها المفاجئ، هو الآخر استغرب من مظهر ابنته، قد أعاد مظهرها هذا ذكريات مؤلمة له.

لم تتقدم تيا، بقيت في مكانها وعيناها تتبع والدها الذي يتقدم ناحيتها ببطئ شديد، كأنه خائفٌ من شي ما.

وصل إلى تيا أخيرًا ونظر إليها مطولًا وهو يحدق بها بعمق قبل أن يسحبها مطيلاًعناقها، كأنه أدرك أنها آخر مرة سيراها، وتيا لم تفعل شيئًا باتت كأنها جسد تركته روحه، ووجهها لا يعتليه أيةُ ملامح حتى البرود قليل ليصف مظهرها.

مرت فترة لم تستطع ستيلا تقديرها منذ أن عانق ڤيكتور تيا وكان يبكي.

نعم صدق أو لا تصدق، ڤيكتور الذي لا يعرف معنى أن تمتلك مشاعرًا يبكي الآن على ابنته بعد أن حصل أكثر شيء كان خائفًا من حدوثه.

ظن أن ابنته لن ترحل عنه وستبقى في هذا القصر ولن تخرج منه إلا عند زواجها، ولكن ظنه لم يكن صائبًا. هاهو ذا يشبع عيناه من ابنته قبل رحيلها ولا يدري إن كان سيقابلها مرة أخرى قبل أن تصعد روحه إلى خالقها.

ابعدت تيا والدها عنها لتتقدم ناحية ستيلا تشير بإصبعها نحو حقائب ملأتها تيا بكل شيء تحتاجه و تركت القليل الذي لا تريده و قد يقال له تالف نوعًا ما.

(من وجهة نظرها إلا أنه جديد، لكن بالنهاية هي من النبلاء ماذا سنتوقع منها؟)

قالت تيا آمرة:

- ستيلا لنرحل.

أسرع ڤيكتور مترجياً تيا:

- انتظري تيا أرجوك فقط هذه الليلة، في الغد تحركا، الآن أنت معرضة للخطر، يجب تناول بعض الأعشاب حتى لا تتأذي صدقيني.

قالت ستيلا مؤيدة كلام سيدها:

- تيا الكونت على حق، بعد تحرير القوة الخاصة بالقيثارة، كيلا يتعرض لأي خطر، يجب عليه تناول خليط مكون من أزهار الفيتلاس وعشبة الثوكتا ويشمل أيضًا شيئًا قليلًا من عشبة إليوت ستوي.

سألت تيا موجهة السؤال إلى ستيلا:

- من أين عرفت كل هذا ستيلا؟.

أجابت ستيلا بسرعة:

- كان مكتوبا في الكتاب الذي يحتوي على التعاويذ.

لانت ملامح ڤيكتور وقال:

- هل اقتنعت الآن تيا؟

- لو لم تقل ستيلا هذا لما بقيت.

ابتسم ڤيكتور بإنكسار من رد ابنته البارد.

أردفت تيا بجمود ودون ذرة مشاعر:

- أبي يمكنك الذهاب الآن، ودعتني وانتهى الأمر.

خرج ڤيكتور دون قول كلمة واحدة، هو لا يعترض، هو يعلم أنه يستحق.

قالت ستيلا بشيء من الحزن:

- تيا ألم تقس عليه قليلًا؟.

- لا أريد أن أتراجع، فعواطفي لا تبقى كما هي.

أنهت تيا جملتها لترمي نفسها على السرير تنعم بنوم هنيء، بينما ذهبت ستيلا لتحضير شراب الأعشاب حتى يرجع جسد تيا ويقلل الأعراض الجانبية بعد إطلاق قواها.

شربت تيا الشراب وعادت للنوم، بينما ستيلا ما زالت تفكر بما يشعر به الكونت، صحيح أنه لم يظهر مدى عاطفته تجاه ابنته، لكن هي تعلم كم يحب الكونت تيا، وكم آلمها قلبها اليوم عندما حضن ابنته، شعرت به فقد مرت بنفس موقفه.

كم هو مؤلم أن يهرب منك من تحبه وتخاف عليه من نسمات الهواء، وكم هو مؤلم له أنك تعامله وكأنه أكبر غلطة في حياتك.

لا تستطيع فهم هذين الإثنين، كلاهما يحبان بعضهما البعض، لكن أحدهما يكن القليل من الكره للآخر، وهكذا كانت مشاعرهما على مدار عشرين عاماً.

هل ستستمر هكذا أم أنها ستأخذ المساواة مبدأً ليتعافى كلا الطرفين؟

شرقت الشمس مع استيقاظ أهالي أكستاڤو وضحكات الأطفال مع بعضهم وغناء أهاليها مع بعضهم وإلقاء التحية على أفرادها.

بينما كانت هذه الإشراقة سمًا على ڤيكتور. نزل ليخبر الحراس أن يدعوا ابنته تعبر البوابة دون كلمة واحدة أو أن يعرقلها أحدهم، امتثلوا الحراس لأوامر سيدهم دون مناقشته، وهل يجرؤون؟.

استيقظت تيا والصداع يلازمها ومفاصلها تطلب الرحمة، كأنها كانت تقاتل وحشًا جعلها طريحة الفراش من قوته.

دخلت ستيلا معها كأسٌ من شراب الأعشاب الموضوع بصينية أنيقة يصاحبه الأطباق المملوءة بالطعام تساءلت تيا عن سبب وضع ستيلا كل هذه الكمية فأجابتها أن جسمها يحتاج لتعويض ما نقصه بعد ما حدث بالأمس.

قالت تيا معترضة:

- لكن يا ستيلا لا يمكنني أكل كل هذا، حتى أبي لا يستطيع.

- لا تبالغي تيا الكل في هذه المدينة يأكل بهذا القدر.

أمسكت تيا الخبز المحمص تأخذ قضمة منه وقالت:

- ليس الكل لأنني لا أستطيع.

ابتعدت ستيلا وقالت وهي تأخذ إبريق الماء لتعبئته:

- لن أجبرك، على الأقل حاولي أكل أكثر كمية ممكنة لنتمكن من التحرك اليوم .

أخذت تيا رشفة من الشراب ثم نظرت إلى ستيلا وقالت:

- سنتحرك في الليل لا أريد من أهالي أكستاڤو أن يرونا.

سألت ستيلا:

- صحيح أين ستكون وجهتنا؟

- إلى المقاطعات الشمالية الشرقية.

- أي واحدة منهن؟

قالت تيا بحيرة:

- محتارة بين تريْني وستوك.

- ولما اخترتِ هاتين الاثنتين بالتحديد؟

قالت تيا موضحة:

- شكلي أقل انتشارًا فيهما وكذلك الناس هناك أغلبهم من الطبقة المتوسطة وهذا أكثر راحة لي، أريد الإبتعاد قليلًا عن أجواء النبلاء المقرفة، فقط تلفتهم المظاهر. يتعالون عن الآخرين رغم أننا جميعًا من طين، من الرائع أن لا أحد من أمي وأبي يمتلك هذه الصفة.

علقت ستيلا بقليل من الغيظ:

- معك حق بشأن النبلاء، يحسبون أنهم ملائكة ساقطة من السماء.

صمتتا قليلا وأكملت تيا إفطارها بهدوء. بعد مدة عادت سيتلا بإبريق ماء جديد وعندما رأتها تيا تذكرت أهم شيء سهتا عنه.

سألت تيا:

- أوه صحيح كيف سنؤمن منزلًا ستيلا؟

تجمدت ستيلا في مكانها وردت باستغراب:

- ظننت أنك اعتنيت بالأمر!.

نظرت لها تيا بطرف عينها وقالت:

- و كيف لي أن أفعل هذا وأنا محبوسة هنا؟

فكرت ستيلا بحل وقالت بعد صمت قصير:

- ربما علي أن أخبر سيدي، هو بالتأكيد يستطيع تدبر الأمر.

استوقفتها تيا بسرعة:

- إياك ستيلا، تنهدت تيا بعمق وأكملت مستسلمة: أعرف أمير منطقة ستوك، ربما يستطيع مساعدتنا.

نظرت ستيلا بتشكك وقالت بخوف:

- ولكن بذهابك له ألن ينتشر خبر هروبك بسرعة؟

فكرت تيا لوهلة حتى تختلق كذبة سريعة:

- صحيح أن محادثاتي معه كانت قليلة، لكنه معروف بمدى حفظه للأسرار، هو إنسان جيد، على الأقل أنني أعرفه، حتى لو كانت معرفة ضئيلة.

تنهدت ستيلا وقالت ناصحة:

- تيا لا تثقي بالناس من مجرد كلمتيْ مرحبًا و كيف حالك، ربما يكون منظره بريئًا لكن هو ليس كذلك.

- لو كان كما تقولين لم يكن أبي سيسلمه صندوق أموال أكستاڤو كاملةً وليس المنطقة الشمالية الشرقية فقط.

- أحقًا قام السيد بتسليم صندوق المال له؟

أكدت تيا كلامها:

- نعم، لذلك أنا لست خائفة منه، فإن لم يكن شخصًا أمينًا لما قام أبي بإعطائه شيئًا حساسًا كهذا.

- بعد قولك هذا أشعر ببعض الأمان تجاهه. ـ صوت من الخارج ـ ستيلا السيد يريدك، ردت عليه ستيلا: قادمة.

أردفت ستيلا مودعة تيا:

- أراك ليلًا تيا.

حذرت تيا ستيلا للمرة الثانية:

- ستيلا لا تخبري أبي عن ما قلته الآن.

- أمرك.

خرجت ستيلا لتعرف ما الشيء الذي يريده الكونت ڤيكتور منها.

وصلت إلى مكتبه لتطرق الباب طالبةً الإذن بالدخول، أجابها صوت الكونت من الداخل ينطق بـ ادخلي.

دخلت ستيلا وأغلقت الباب وراءها.

- طلبتني سيدي؟.

أجابها ڤيكتور وهو ينظر إلى أوراقه المبعثرة على مكتبه:

- نعم، سيأتي اليوم ضيوف من أقارب الإمبراطور جهزي كل شيء بدون أخطاء.

استفسرت ستيلا:

- مدة بقائهم في القصر؟

- أسبوع.

- و لكن أنا لن أكون هنا بعد اليوم.

رفع عينه عن الورقة التي كان ممسكاً بها ونظر إلى ستيلا:

- أعلم بهذا، فقط قومي بتوجيه باقي الخدم، ولا تخافي جميعهم رجال ولن يسألوا عن تيا فقط النبيلات يردن رؤيتها.

- شيء آخر سيدي؟.

أعاد ڤيكتور بصره إلى تلك الورقة وقال:

- لا، عودي لعملك.

انحنت ستيلا للكونت لتعتدل و تتجه للخارج تنفذ ما أمرها به ڤيكتور.

- ماذا قال لك الكونت؟ سألت لورين، إحدى الخادمات.

أجابتها ستيلا متنهدة:

- أخبرني أن ضيوفًا من أقارب الإمبراطور قادمون سيبقون لمدة أسبوع.

- علينا أن نقوم بعملنا على أكمل وجه حتى لا نشوه سمعة الكونت.

ردت ستيلا بإستياء:

- هذا متعب جدًا، كيف لنا أن نرضي أشخاصًا كهؤلاء؟ ليس الجميع مثل السيد ڤيكتور.

- أتفق معك، بالفعل النبلاء الذين يزورونا بغيضون جدًا.

نظرت ستيلا إلى لورين وقالت بصرامة:

- لورين علينا تكثيف العمل أكثر من أي وقت مضى، تعلمين أن معاملة الكونت لنا جيدة وإذا ما فشلنا لن يدع أحدًا منا في هذا القصر.

في مكتب ڤيكتور

دخل سيباستيان فجأة على ڤيكتور، حاول جمع أنفاسه ليكون جملة مفهومة.

أخيراً عندما التقط ما يحتاجه من الهواء قال:

- سيدي وصلتنا أخبارنا من جنود الشمال.

أجابه سيده ببروده المعتاد:

- ما الجديد؟.

- جنود نبلورد قد وصلوا و يترأسهم جاك.

قال ڤيكتور وهو يتفحص أوراق ميزانية الحرب لهذا الشهر:

- ياللروعة! حاول ضمه لنا فإنه كنزٌ لا يفرط به وقوته أيضًا لا يستهان بها.

وقف سيباستيان بإعتدال وقال مذكراً:

- سيدي نسيت أن الدم الذي يجري بجسده فيه من دم السحرة البيض؟.

نظر له ڤيكتور بطرف عينه وأعاد نظره إلى أوراقه وقال:

- أعرف تاريخ السحرة البيض بأدق تفاصيله، ألا تتذكر أن زوجتي كانت منهم؟

- بلى، لكن قوته أضعاف قوة سيدتي.

- لا تقلق، متأكد أنه سينضم لنا..شاء أم أبى.

- و كيف ذلك؟.

أجاب ڤيكتور بنبرة تسلل إليها الألم:

- تمامًا كما انضمت لينا.

سأل سيباستيان آملاً أن يكون ما فكر به خاطئ:

- و من التي ستجره لنا؟.

وقف ڤيكتور وقال بألم:

- فتاة لا تدري أنها مجرد طعم له، أريد استخدامها كطعم لكن لن أجد أجمل منها أو حتى أذكى.

- هل أخبرتها؟.

- لا، لكن أنا متأكدٌ أنها ستسحبه دون علمها وعلمه.

نطق سيباستيان بخوف:

- أرجو أن لا تكون التي تتحدث عنها هي من خطرت لي الآن.

اكتفى ڤيكتور بالصمت مؤكداً لسيباستيان توقعاته قائلاً بينه وبين نفسه:

"سامحيني تيا لكن هذا لمصلحتك ومصلحة الجميع"

طوال النهار كانت ستيلا تملي تعليماتها على الخدم لتفادي حصول أكبر عدد من الأخطاء أثناء غيابها.

وڤيكتور منهك في عمله.

تيا لا تفعل شيئًا سوى الانتظار لحين وقت مغيب الشمس.

في مكان ما

- سيدي لقد تلقينا هذا المرسول توًا.

- من الذي أرسله؟

- الكونت ڤيكتور.

- ما الذي يريده هذا اللقيط؟ هل يعتقد أننا غفرنا له بعد ما فعله مع لينا؟

- هل تريد مني إرجاع هذا المرسول له دلالة على عدم قبولنا منه أي شيء؟

- دعني أرى محتواه أولًا، فتح جاك الظرف بسبب الفضول الذي اندفع في داخله.

قال جاك بصدمة آمراً رسوله:

- داني أعطني ظرفًا وورقة وقلمًا.

- حاضر سيدي.

ما هو فحوى الرسالة الذي جعل من جاك يطلب ما يحتاج لكتابة رد؟

لن أقول الآن فهو سر بيني وبين ڤيكتور.

قالت تيا وهي تتفقد خلو المكان من أي أحد:

- هيا ستيلا سنتأخر.

- لقد انتهيت فقط سأربط حذائي.

- أوف حسنًا.

تتأفأف الكونتيسة وهي تنتظر ستيلا التي تغير ملابسها لأخرى عادية حتى لا يعلم أحد أنها من قصر الكونت ڤيكتور.

سألت ستيلا وهي تربط آخر خيط في حذائها:

- تيا هل اخذتِ ما يثبت أننا من أكستاڤو؟

- نعم أخذت الذي يخصني ويخصك.

(لكل فرد ولد في أكستاڤو مخطوطة تدل على ذلك، لا تتمكن من التجوال بأنحائها إلا عند امتلاكك لهذه المخطوطة).

نهضت ستيلا تنفض ثيابها وقالت:

- حسنًا أنا جاهزة.

- و أخيرًا، لقد انتظرت عصورًا.

نظرت لها ستيلا وقال مدافعة عن نفسها:

- نسيتِ نفسك كم من الوقت كنت تأخذين عند إقامة الكونت الأمسيات أو تلقي الدعوة لها؟.

- هذا يختلف، قالت تيا ببعض من الخجل عندما لم تجد ما تتفوه به لصدق كلام ستيلا.

أردف شخص من حراس الإسطبل:

- سيدة ستيلا لقد جهزنا لك العربة

أمسكتها تيا من ثوبها مستوقفة إياها وسألتها:

- ستيلا كيف فعلتِ ذلك؟.

غمزت ستيلا ضاحكة:

- أنسيت أن نصف الذين يعملون بالإسطبل تربطنا قرابة؟.

- حقاً! لقد نسيت. لا يجب أن يعلم بالأمر الكثير من الناس.

رفعت ستيلا أكتافها وقالت:

- في النهاية سيعرفون، طالما أن الكونت موافق لست محتاجة لاستهلاك كل هذا التوتر و القلق.

ردت تيا بتجهم:

- ستيلا لو انتشر الخبر وعرف الناس أن أبي كان على علم بهروبي سيحاسبه المجلس الأعلى وقد يسحبون منه لقب الكونت وينفونه للجنوب الغربي، لا أريد أن يتعرض لمثل هذه الاشياء لن أسامح نفسي إذا مسه أي مكروه هو ليس ظالمًا أو قاسيًا أو حتى بخيلًا، هو فقط لا يعلم كيف يعاملني بطريقة جيدة بسبب ما تربى عليه.

لم يملك أمًا حنونة كأمي أو أبًا بقي معه وعلمه ما يحتاجه، بنى نفسه بنفسه إلى أن أصبح كونت، ولا أريد أن أكون السبب في تدمير كل ما صنعه.

نظرت ستيلا للساعة الدائرية الصغيرة بيدها وقالت:

- لنكمل الحديث بالعربة، علينا الوصول قبل الفجر.

التفتت تيا للقصر وقالت محدثة هو:

- وداعًا لك يا قلعة الكونت ڤيكتور لن أشتاق لك أبدًا..وأتمنى أن لا تفعلي كذلك.

أنهت تيا جملتها لتستدير ويصبح ظهرها مقابلًا للقلعة التي لن تعود لها أبدًا، هذا ما كانت تردده طيلة الوقت.

توجهتا تيا وستيلا إلى إسطبل لركوب العربة المعدة سابقًا.

صعدت تيا فلحقتها ستيلا، ولجتا إلى العربة والصمت يعم المكان.

تستطيع ستيلا الشعور بحزن تيا التي تعاند على إخفائه بسبب كبريائها العالي تمامًا كوالدها. أخذت الحنية من والدتها ومابقي تولى ڤيكتور أمره.

بدأت العربة بالتحرك مبتعدة عن القصر يليه أكستاڤو بأكلمها.

هم الآن على بعد ساعتين من حدود أكستاڤو، رحلتهم طويلة جدًا قد تستغرق أربعة أيام متواصلة..و ربما أكثر.

لكن المهم لدى تيا أن تنتهي رحلتهم في فترة غياب الشمس، كي تتجنب أكبر قدر من العامة، مظهرها يوضح أنها ابنة الكونت ڤيكتور. و من الذي لا يعرف ڤيكتور صاحب القلب المتحجر؟

بينما ستيلا وتيا تكملان رحلتهما انتشر خبر اختفائهما في أكستاڤو وما كان لڤيكتور سوى نشر الجنود حتى يقوموا بعملية بحث لا فائدة منها، فقط لتجنب القيل والقال حتى لا يتهمه أحد بشيء.

كانت تمثيلية متقنة جدًا، لم يشك شخص واحد أن الكونت يعلم بخطة ابنته للهرب خارجة من هذه الحياة.

بالطبع لم يجد الجنود أثرًا لتيا وقد أمر الكونت مساعده سيباستيان أو بمعنى أصح يده اليمنى بأن يوصل خبرًا لمواصلة البحث في كل جهات أكستاڤو ليس فقط وسطها حتى يقتنع الناس بهذه المسرحية المثالية.

بينما الناس منشغلة بالبحث والتكلم عن تيا هي أوشكت على عبور حدود ستوك وتجهز الكلام الذي ستقوله لأمير ستوك الذي يدعى لواف.

حركت تيا كتف ستيلا قائلة:

- ستيلا استيقظي.

ردت ستيلا بنعاس:

- ماذا تريدين؟

- وصلنا إلى ستوك.

انتفضت ستيلا وقالت بتعجب:

- حقًا؟!

- نعم وشارفنا على الوصول لقصر لواف.

التفتت ستيلا تمسك بيد تيا وقالت بتوتر:

- أنا خائفة جدًا.

ربتت تيا على يديها مطمئنة:

- لا تخافي وأنت مع تيا دادلي.

لم يختفِ قلق ستيلا، هي تعرف مدى قوة و ذكاء تيا وهي تعتبر من النوادر لكنها لا تعلم شيئًا سوى أنها قيثارة ولا تعلم أن أمها كانت ساحرة بيضاء وقد أورثتها سحرها.

توقفت العربة أمام القصر وقال سائقها معلناً:

- سيدتي لقد وصلنا.

ترجلت تيا من العربة، ترددت ستيلا بلحاقها فتركتها تيا. لا تريد أن تضغط عليها أكثر.

وصلت تيا للبوابة الحديدية وخاطبت الحارس:

- أريد لقاء السيد لواف.

- ما الذي تريده فتاة مثلك من السيد؟.

قلبت تيا عيناها بملل وقال:

- أخبره أن التفاحة البيضاء تريد رؤيته.

عقد الحارس حاجباه يحاول مجاراة تيا:

- هل تلعبين معنا يا آنسة؟.

نفذ صبر تيا وقالت بنبرة جدية:

- أنا لا أمزح، قل له هذا وهو سيقرر هل سيراني أو يطردني.

ذهب الحارس يخبر لواف أن فتاة تدعى التفاحة البيضاء تريد رؤيته.

فتح لواف عيناه على مصراعيها متفاجئاً:

- التفاحة البيضاء!!.

أجابه الحارس متأسفاً لتضييعه وقت سيده الثمين:

- نعم سيدي أعتذر لأنني أضعت وقتك بمثل هذ....

بتر لواف كلام الحارس آمراً بابتسامة واسعة:

- لا، دعها تدخل، هي شخص مهم لي.

- لكن سيدي..

- افعل ما أمرتك به ولا تجادل بأي شيء أقوله.

- ح حاضر.

عاد الحارس سامحًا لتيا بالدخول. أوصلها إلى مكتب لواف وبعد ذلك تركها وعاد يكمل مراقبته الليلية.

طرقت تيا الباب ليجيبها صوته يقبل دخولها.

- مرحبًا لواف، ألقت تيا التحية على لواف راسمة تلك الإبتسامة الهادئة.

استقبلها لواف بنفس الابتسامة مع حماس بصوته منهالاً عليها بالأسئلة:

- أهلًا بتفاحتي البيضاء، لما أتيت إلى هنا؟ هل أرسلك السيد إلى هنا؟.

أجابته تيا:

- لا أنا هربت من أكستاڤو.

قال لواف بصدمة غير مصدق لما سمعه:

- مااااذاااااااا؟؟؟!!!.

ضربته تيا على كتفه موبخة:

- هششششش أخفض صوتك.

أخفض لواف من صوته سائلًا:

- تيا ما الذي فعلته؟

- لواف أنا لم أعد أحتمل الحياة في ذلك القصر.

- ما الذي يحدث معك؟

- أنت لم تحضر آخر أمسية أقامها أبي، شعرت بالملل بدونك لذا جلست وحيدة بعد أن أشبعن جميع النبيلات فضولهن لرؤيتي فتقدم الأمير جون وحياني بتحية النبلاء المعتادة ودردش معي قليلًا وعندما رآه أبي غضب بدون سبب، قام بسحبي لغرفتي و منعني من حضور أي أمسية أخرى قد تقام، لذا أنا لم أتحمل وحررت قوتي وهربت مع ستيلا.

وضع لواف يده على رأسه وقال:

- تتكلمين وكأنك كسرت إحدى اللوحات في قصركم.

تجاهلت تيا سخريته وسألته:

- أريدك أن تعطيني منزلًا هنا في ستوك.

أمسك لواف بكتفها وقال معاتباً:

- أتريدين خلق جدال بيننا الآن؟ تطلبين منزلًا وأنت واقفة فيه؟.

أبعدت تيا يداه عن كتفاها وقالت:

- لا لواف لا أريد أن أقطن في قصرك حتى لا يشك أحد بي، هكذا أستطيع العيش دون لفت الأنظار.

نظر لواف محاولاً محاصرتها بسؤاله:

- قوت يومك من أين ستأتين به؟

ضربت تيا توقعاته بعرض الحائط حين أجابته:

- سأعمل كأنني من عامة الشعب. حالياً لن أضطر إلى ذلك معي ما يكفي من المال.

أجاب لواف مستسلماً من الصدمات المتتالية:

- تيا سينفجر رأسي منك.

- ما المشكلة في ذلك لواف؟

- بحقك أيتها التفاحة البيضاء، هل ستبعدين الأنظار و أنت بهذا الجمال؟؟.

- لست الأولى من نوعي.

- لكن شان النبلاء قد حفر في شكلك ومشتيك.

- لا بأس الكثير من البسطاء يتمتعون بهذه المشية.

زفر لواف بقلة حيلة وقال شارطاً:

- تيا أنا سألبي مطلبك لكن عديني أن تكوني بخير دائمًا.

ضحكت تيا ممزاحة إياه:

- لن أعدك فمن الممكن أن أجرح إصبعي بسكين المطبخ.

قهقه لواف بخفة ممسداً على شعرها:

- تفاحتي إنك ساذجة جدًا.

- ثعباني الأزرق سذاجتك تتفوق على خاصتي.

توقف لواف ونظر لتيا بنظرته القاتلة وقال:

- أوي اتفقنا على إلغاء هذا الإسم.

أجابته تيا متعمدة أن تغيظه أكثر:

- لم أعطك جوابًا وقتها.

- يالك من...

- وداعًا. ضحكت تيا وخرجت من غرفته راكضة.

- عهدتك متهورة لكن ليس لهذه الدرجة، كوني بخير أرجوك تيا، قال لواف كلماته بعد خروج تيا من غرفته منتظرة رده بشأن المنزل الذي طلبته.

تتساءلون كيف تعرفوا تيا ولواف صحيح؟ وكيف قالت لستيلا أن علاقتهم سطحية لكنها تبدو عكس ذلك؟ سأخبركم الآن.

والدا لواف من أقرب الأصدقاء لوالدي تيا وزياراتهم كانت كثيرة.

في ذلك الوقت ستيلا كانت خادمة عادية، والدتها كانت رئيسة الخدم وخادمة لينا الشخصية.

بطبيعة الحال لأن الزيارات كانت كثيرة ومع انشغال الآباء بالتكلم عن العمل والأمهات عن المنزل وما إلى ذلك، قررا لواف وتيا أن يمضيا الوقت معًا، أصبحا أعز الأصدقاء ولواف كان صديق تيا الوحيد، لكن بعد ابتعادهم عن أكستاڤو وسفرهم للشمال الشرقي بسبب عمل والدا لواف لم ترَ تيا لواف إلا بعد وفاة لينا، لكن كانت بينهم بعض الرسائل القصيرة التي حافظت على صداقتهم لمدىً طويل ولقاءاتهم أصبحت في الأمسيات فقط لأنه أصبح مشغولًا ولا يستطيع أن يأتي مع والده عندما يزور ڤيكتور.

لما كذبت تيا على ستيلا؟ لأن ستيلا لن تكف عن معاتبة تيا بسبب اخفاء هذا الشيء عنها.

لحسن الحظ أن لواف يملك منزلاً لا يعرف أحد هوية صاحبه ولم يكن يعرف أنه سيكون مفيدًا في يوم.

أخرج لواف مفتاح المنزل وخرج ليسلمه لتيا.

أدار مقبض الباب يفحته لتقابله شاردة في شيء يجهله ليفيقها من شرودها بصوت من اصبعيه السبابة والإبهام مناولاً إياها:

- هذا مفتاح منزل لا يسكن فيه أحد.

استغربت تيا:

- بهذه السرعة؟.

أوضح لواف وهو لا يزال ماداً المفتاح أمام تيا:

- هذا المنزل ملك لي اشتريته ولا أعلم لما، لكن اتضح أنه مفيد.

أمسكته تيا ونظرت للواف قائلة:

- شكرًا لك لواف.

- سأوصلك أنت وستيلا، وقت وصولكم ممتاز لا يوجد أحد الآن في طرقات ستوك، الكل نيام.

اسوقفته تيا مانعةً:

- لا ليس عليك فعل هذا، يمكنك أن تأمر أحد الحراس.

عارضها لواف واضعاً يده على خصره:

- لا أنا حقًا أريد أن أراك تدخلين بسلام للمنزل.

انحنت تيا مازحة لتقول:

- لا اعتراض على أوامرك سيدي الأمير.

قهقه لواف من كلام تيا وخرجت من القصر وبجانبها يقف لواف واتجها معًا إلى العربة التي تنتظر فيها ستيلا المتوترة.

فتحت تيا باب العربة وأطلت منه برأسها قائلةً:

- ستيلا لقد عدت.

- ما الذي حدث معك؟.

- أولًا رحبي بالضيف الذي أتى معي.

- ضيف؟.

أطل رأس آخر من خلف تيا متحدثاً ملوحاً بيده:

- مرحبًا آنسة ستيلا.

انتفضت ستيلا متافجئة:

- الأمير لواف بشحمه ولحمه!!!.

- نعم لواف ثعباني الأزرق.

ضربت ستيلا رأس تيا مؤدبة:

- تيا لا يصح أن تقولي هذا للأمير.

قال لواف راسماً ابتسامةً خفيفة على وجهه:

- آنسة ستيلا أنا وتيا أصدقاء طفولة.

قالت ستيلا بتجهم:

- سحقًا لك تيا لما لم تقولِ أنه صديقك، استنفذت طاقتي وأنا على أعصابي.

قالت تيا ممسكةً رأسها بألم:

- أعتذر.

- إذًا لما هو معنا؟.

ردت تيا على سؤال ستيلا بينما تصعد هي ولواف العربة:

- ليوصلنا إلى المنزل الذي سنمكث فيه مؤقتًا.

انتبه سائق العربة لعودة تيا وصاح سائلاً:

- آنسة تيا هل نتحرك؟.

أومأت له تيا بالإيجاب وأكدت:

- نعم.

تحركت العربة متجهة على الطريق الذي يصفه لواف لسائقها.

التفت لواف إلى تيا وقال سائلاً:

- تيا ما الذي قصدته على أنه مؤقتًا؟.

- هل تعتقد أنني سأعيش في منزلك طيلة حياتي؟.

- ما الضير في هذا؟.

تنهدت تيا موضحةً:

- تعلم أنني لا أحب أن أكون ثقيلة على أحد، ثم المنازل هنا أسعارها منخفضة مقارنة بأكستاڤو، وأستطيع أن أحصل على ثمن منزل بسرعة لأن ما أملكه لا يوجد هنا.

قال لواف ساخراً:

- وما الذي تمتلكينه؟.

أجابته تيا بحماس:

- سأعلم فتيات وفتيان ستوك.

قال لواف بغضب ينقر على رأسها:

- تيا هل حدث شيء لعقلك؟ علي أن أسميك الذبابة البيضاء.

قالت ستيلا تصحح من أفكار لواف:

- لا أيها الأمير، إن فكرة التعليم جيدة. عشت بين العامة لفترة وأعرف ما حلم كل أم، حلمها أن يتعلم أولادها وبعدها يعيشون في مناطق الطبقة النبيلة.

ضربت تيا لواف بقبضتها على كتفه قائلةً:

- أرأيت، تيا لا تقول شيئًا خاطئًا أيها الثعبان الأزرق.

همس لواف بغضب:

- ذبابة بيضاء.

ابتسمت تيا ابتسامة زادت غضب لواف وقالت:

- هذا لا يزعجني.

استمرا لواف وتيا بازعاج بعضها البعض وستيلا فقط تضحك عليهما.

توقفا عندما وصلوا إلى بيت لواف الذي يبعد عن قصره ما يقارب نصف ساعة.

لا يوجد كثير من البيوت حوله، هو مكان هادئ جدًا وهذا يروق لتيا بعيد عن ازعاج الأطفال من شروق الشمس إلى مغيبها.

ترجل كلٌ من تيا، ستيلا، ولواف من العربة، أدارت تيا جسدها لتقابل وجه لواف المبتسم وسبقها قبل نطقها وقال:

- تيا فكرة المكوث مؤقتًا أخرجيها من عقلك الكبير هذا، جميل الكونت ڤيكتور علي لا أستطيع نسيانه ولم أجد شيئًا أستطيع رد الجميل به، لكن حمايتك هي أقل شيء استطيع فعله لوالدك، أنتِ أيضًا لدي الكثير لأرده لك .

- لواف لا جميل بين الأصدقاء... ما فعلته سيفعله أي صديق لصديقه.

تدخلت ستيلا مخربة الأجواء الشاعرية التي حلت عليهما ناطقة:

- تيا معها حق وأكبر دليل على كلامها أنني وافقت الهروب معها.

ضحك لواف على كلام ستيلا وقال مازحًا:

- من الواضح أن ستيلا نادمة على معرفتك.

قالت ستيلا بعد ضحكة خفيفة:

- مهما فعلت تيا لي، لا أستطيع كرهها، هي الوحيدة التي خدمتها ولم تشعرني بذلك، دائمًا ما شعرت أنني صديقتها.

ضمت تيا كلاهما وقالت بعيون دامعة:

- أنا محظوظة لامتلاكي أصدقاء مثلكما، لن أجد أحدًا بوفائكما.

قال لواف بتكبر:

- أعلم هذا لا داعي لوصفي.

- أيها الثعبان لا يليق لك المديح.

فصلت ستيلا العناق وقالت:

- أوي أنتما الاثنان ساعديني بإدخال الأغراض إلى المنزل.

ساعدا لواف وتيا ستيلا في حمل الحقائب ونقلها من العربة للمنزل.

لم يكن منزلًا واسعًا جدًا، لكنه على حسب تقدير تيا يتسع لعيش خمسة أشخاص .

ألوانه هادئة وأثاثه واضح عليه علامات الثراء، بنفس الوقت البساطة أخذت مكانًا لها في زواياه.

وضع لواف آخر صندوق بقي في العربة على الأرض وقال نافضاً ثيابه:

- تصبحين على خير تيا تصبحين على خير ستيلا.

استوقفته تيا قبل أن يخرج:

- لواف إلى أين أنت ذاهب؟

- لا بد أنكما متعبتان، سأعاود زيارتكما في الغد.

اقترحت تيا

- لا بأس باحتساء كوب من الشاي قبل ذهابك.

- إذا كنت مصرة فلا مانع من ذلك.

- سأقوم بتحضيرها.

منعتها ستيلا قائلة:

- ارتاحي تيا أنا سأحضرها.

- لا بأس ستيلا ارتاحي هذه المرة.

- كما تريدين.

توقفت تيا متذكرة أنها ليست في منزلها وسألت:

- أوه لواف! أين المطبخ؟.

أشار لواف بيده للدرج جالساً على الكرسي:

- إنه في الطابق الثاني.

صعدت تيا للمطبخ بعد أن أخذت علبة الشاي من إحدى الحقائب.

نطقت ستيلا عندما استقبلت صمتاً من طرف لراف:

- إذن هل فعلًا أنت صديق تيا؟.

تقدم لواف للأمام مضيقاً عينه مجيبا:

- أليس واضحًا؟.

- بلى، لكن لا يعجبني وجودك بجانبها.

سأل لواف بتشكك:

- ألم ترتاحِ لي؟.

أجابت ستيلا بصدق عاقدة أناملها:

- حاولت لكن لم أستطع.

- لما؟ هل فعلت شيئًا يدل على أنني أملك نية سيئة تجاه تيا؟.

أدارت ستيلا بوجهها للنافذة وقالت:

- لا أدري، أنا فقط أشعر بطاقة سلبية تنبعث منك.

قال لواف بغضب مؤكداً لستيلا صدقه:

- أنا لا أخدع تيا، حتى لو كنت، ستعرف تيا من نظرة واحدة. أعرفها وأعرف قدراتها وأنا حتمًا أحترمها وأحب وجودها في حياتي... يستحيل أن أؤذيها، هي مثل أختي الصغيرة.

صمت لواف لم يرد أن يقول شيئًا حتى لا يغضب أحدهما أكثر، هو يتفهم خوف ستيلا على تيا، لكن لا ينكر أنها أغضبته بشكها، لكن مع الوقت ستعرف مدى صدق ونقاء مشاعره.

عادت تيا ومعها صينية وضعت فيها ثلاثة أكواب من الشاي . احتسوا الشاي مع بعضهم وعندما أنهى لواف خاصته استأذن بالرحيل. ذهبتا ستيلا وتيا للنوم بعد تلك الرحلة الشاقة.

- سيدي هل سمعت الأخبار؟.

نفث جاك دخان غليونه مجيباً:

- ماذا هناك؟.

- انتشر خبر عن هروب ابنة الكونت ڤيكتور الوحيدة.

حول جاك نظره إلى جنديه وقال:

- وإلى أين هربت؟.

- لا أحد يعرف، جنود ڤيكتور منتشرون في أنحاء أكستاڤو.

سأل جاك بشيء من الفضول:

- كيف يبدو شكلها؟.

وضع الجندي يده على ذقنه يحاول استرجاع صفات ابنة الكونت:

- يقال أنها أجمل إمرأة مرت على تاريخ أكستاڤو بأكملها، أنا سبق وقد رأيت والدتها هي جميلة بالفعل حتى الكونت ڤيكتور وسيم جدًا، فقبل زواجه كانت الفتيات تتقاتلن عليه، لكنه اختار لينا عن كل الفتيات.

- سمعت أن قوتها ما زالت كامنة.

- صحيح لكنها حررتها قبل هروبها.

- أصبحت فضوليًا تجاه ابنته، صحيح ما اسمها؟.

- تيا .

- تيا دادلي... تبدو مثيرة للإهتمام.

- ما الذي تنوي فعله سيدي؟،

ابتسم جاك مجيباً:

- لا شيء، فقط سألهو قليلًا، فرصة جيدة للاستمتاع لن تأتي دائمًا.

- سيدي لا تقدم على شيء شيء قد يؤذي الكونتيسة تيا لا تنسى أن لها من دم لينا وإيذاؤها لن يكون لمصلحتنا.

قال جاك بنبرة يتخللها الشر:

- لينا ماتت، لو أنها على قيد الحياة لم أكن سأقدم على شيء كهذا، حمايتي لنسل شخص من السحرة ينتهي بمجرد موته.

خاف الجندي من كلام جاك، هو لا يريد أذية تيا لأنه يرى أنها بريئة لا ذنب لها بما يفعله والدها.

استقام جاك من كرسيه وتحرك خارجًا من غرفته للساحة التي يتجمع بها جنوده ليأمرهم بقوله:

- ابحثوا عن ابنة الكونت ڤيكتور في كل مقاطاعات الشمال وإن لم تجدوها في الشمال توجهوا للغرب والشرق والجنوب ابحثوا في كل مكان.

- أمرك سيدي.

تحركت مجموعة من جنود نبلورد للبحث عن تيا التي ستصبح رهينة لهم في حال إيجادها.

أما في ستوك فكانت تيا تتمتع بنوم هنيء حتى أيقظتها ستيلا بعد أن حل الظهر وهي لا تزال نائمة.

قال تيا وهي تلوح بيدها:

- بحقك ستيلا دعيني أنام أكثر.

- هيا الطعام جاهز يا سمكة.

ضربت تيا قبضتها على وسادتها بانزعاج:

- أووووفف....حسنا قادمة.

خرجت ستيلا من غرفة تيا بعد تأكدها من استيقاظها.

نهضت تيا وقامت بروتينها. نزلت بعد انتهائها وجلست على الطاولة بصمت.

كُسر ذلك الصمت عندما فرقت ستيلا شفتيها ناطقة:

- هل تريدين التجول في ستوك؟

- لا، ربما غدًا. لا طاقة لي اليوم.

- كما تريدين.

أضافت تيا معلِمة ستيلا:

- وأيضًا من اليوم أنا لورين وأنت سيا.

تساءلت ستيلا عن سبب اتخاذ تيا قرارًا كهذا:

- لما؟.

توقفت تيا عن قطع شريحة اللحم وقالت موضحة:

- بما أن أشكالنا ليست معروفة بالتأكيد أسماؤنا قد انتشرت.

ضربت ستيلا جبهتها وقالت:

- صحيح كيف فاتني الأمر؟!.

- ليس هذا فحسب.

- ماذا هناك؟.

تقدمت تيا إلى الأمام وقالت:

- جنود نبلورد بالتأكيد قد وصل لهم الخبر، بحسب معلوماتي أنهم الآن في الشمال. ولن يضيع جاك فرصة ذهبية لإسقاط أبي، إنهم في الشمال لا محالة. وأعتقد الآن أنهم على أطراف تروي، وقد يأتون بأي لحظة إلى ستوك، قائدهم جاك الذي يمقت أبي أكثر من أي شي آخر، وأنا الآن رهينة جيدة لاستدراجه.

سألت ستيلا مستغربة:

- كيف علمتِ أن جنود نبلورد قد وصلوا إلى الشمال؟.

- حذرني لواف قبل ان يذهب بالأمس، أنا حقًا تفاجأت، توقعت أن يستهدفوا العاصمة أكستاقو بما أنها نبض الحياة في هذه البلاد. حذرني في حال أنهم غزوا المنطقة.
أرجعت تيا نفسها للوراء مسندة ظهرها على الكرسي واضعة يداها على بطنها مكملة: لكن أنا متيقنة أنهم إن حصل وأتوا إلى هنا لا بد لجعلي رهينة، هدفهم العاصمة وليس الشمال الشرقي.

- وأنا مثلك، لكن ما أعرفه أنهم يريدون الاستحواذ على الجنوب أولًا وليس العاصمة.

- أذكياء، يغيرون أقوالهم حتى نتشتت وننشر جنودنا فقط في المناطق التي تخرج منها شائعات الاستحواذ، وباقي المناطق التي ليس لها حصة من هذه الإشاعات ستصبح دفاعاتها أقل وبالتالي سيكون من الأسهل لهم الاستحواذ على أي منطقة غير العاصمة والجنوب، صحيح أنهم أذكياء لكن أبي كان أذكى منهم بمراحل.

توقفت ستيلا عن الأكل وسألت بحماس:

- ومالذي فعله سيدي؟.

أعادت تيا يداها على الطاولة وقالت محركة يدها بحركات عشوائية:

- نشر الجنود بكل جهة من الجهات الأربع بالتساوي، والبعض منهم في الجهات الفرعية في حال قرروا أن يدخلوا منها، أغلب الإمبراطوريات لا تحمي جهاتها الفرعية لكن أكستاقو ليست مثل الباقي .

- حقًا الكونت ذكي جدًا.

قالت تيا وهي ترجع شعرها للوراء بغرور:

- بالطبع إن لم يكن كذلك لما كنت بهذا الذكاء .

- ياللحقار.

قهقهت تيا بخفة ثم صمتت لبرهة ثم قالت فجأة:

- ستيلا أريد الخروج من المنزل.

نظرت لها ستيلا لبرهة وقالت:

- من قال قبل قليل أن لا طاقة له؟ ثم نحن لا نعرف شيئًا عن ستوك والمنزل بعيد عن وسط المدينة.

نطقت تيا بحماس مقنعة ستيلا:

- لا بأس، قد أرسل لنا لواف عربة في حال أردنا شيئًا ما أو أردنا الخروج لمكان ما.

- لماذا تخططين من وراء ظهري؟.

هزت تيا رأسها نافية مجيبة بصدق:

- لم أخطط لشيء، اليوم استيقظت لشرب كوب من الماء وصدفة سمعت الباب يطرق وكان سائق العربة يخبرني أن لواف أرسله لنا وقبلت خدمته بصدر رحب.

أكملت ستيلا جلسة استجوابها سائلة:

- كيف عرفتِ أن لواف من أرسله؟.

أجابت تيا ببساطة قبل أن تضع قضمة من طبقها في فمها:

- أعرف زي الذين يعملون في قلعة ستوك.

وقفت ستيلا قائلة:

- حسنًا سأذهب لأبدل ملابسي وأنت أيضًا تيا غيري من شكلك قليلًا.

لوحت يدها بالهواء رافضة:

- لا داعي لا داعي، قبعة عباءتي تفي بالغرض.

تنهدت ستيلا تحاول إقناع تيا:

- كيف أقنعك حتى وأنت تخفين أكبر قدر ممكن من شكلك تجذبين أنظار الجميع؟.

نظرت لها تيا وقالت:

- ليس لتلك الدرجة، شكلي كأي فتاة طبيعية.

أدارت ستيلا وجهها وقالت ساخرة:

- يالتواضعك، لو كنت أملك جمالك لما أريته لأحد.

تغاضت تيا عن سخريتها وقالت:

- هيا بسرعة تجهزي كي نخرج، متحمسة لتجربة عصير أهل ستوك سمعت من لواف أنه لذيذ ومنعش.

قالت ستيلا ماشية إلى غرفتها:

- حسنًا أنا ذاهبة، خمس دقائق وسأكون جاهزة اسبقيني للعربة.

قالت تيا مازحة:

- امممم... ربما سأذهب بدونك.

توقفت ستيلا ملتفتة إلى تيا:

- هيي لا تقولي هذا.

ضحكت تيا وقالت:

- حسنًا حسنًا لن أفعل، كله إلا حزن ستيلا.

- لا تخدعيني بكلماتك، لست بهذا الغباء.

وضعت تيا يدها على قلبها وقالت بدلع مصطنع:

- بحقك سيسي لا تؤذي مشاعري.

قالت ستيلا بنبرة غاضبة وعالية:

- اذهبي إلى العربة.

خرجت تيا بسرعة ملتقطة عباءتها من الأريكة هاربةً من ستيلا الغاضبة.

بعد مدة خرجت ستيلا من المنزل وركبت العربة بجانب تيا الي استقبلتها بابتسامة متوترة.

قالت ستيلا مهدئة تيا:

- لا تقلقي لقد سامحتك.

عانقت تيا ستيلا تزامناً مع قولها:

- يااااي فالتحيا ستيلا.

أبعدتها ستيلا مدركة:

- لحظة تيا .. أنت لا ترتدين عباءتك.

- قررت عدم ارتداءها.

- تيا هل حصل شيء لعقلك؟.

وضعت تيا رجلاً على رجل وقالت غير مكترثة:

- ناه، لا تقلقي ستيلا لن يحدث لي أي شيء.

قالت ستيلا محاولة تغييرأفكارها:

- وإذا صادفك أي شخص من النبلاء ماذا سنفعل؟.

أجابت تيا بثقة:

- أبي لم يكن يدعُ أي شخص من نبلاء ستوك عدا لواف ووالديه.

- هل حقًا؟.

قالت تيا متذمرة:

- ستيلا أنت أعلم مني بهذا الشيء لأن قائمة الأسماء كانت تسلم لك.

- أوه صحيح تذكرت!.

قالت تيا قاصدة استفزاز ستيلا:

- كما عهدت ذاكرتك، ما زالت كذاكرة السمكة.

قالت ستيلا معترضة:

- هيبي إلا ذاكرتي .

ربتت تيا على رأس ستيلا وقالت كأنها تكلم طفل:

- حسنًا سمكتي العزيزة.

صرخت ستيلا بغضب:

- تيااااااااا، أيتها الذبابة الجميلة.

ابتسمت تيا وقالت:

- ما زلت جميلة حتى لو كنت ذبابة.

اكتفت ستيلا بالصمت منهية هذا الحوار حتى لا تتحول أمام تيا.

بعد دقائق قليلة نطق سائق العربة:

- سيدتي لقد وصلنا إلى أول السوق.

تيا وستيلا معاً:

- أبهذه السرعة؟

- هذه أقرب من الكبيرة.

قالت تيا طالبة:

- نريد الذهاب إلى سوق ستوك المركزي.

- حاضر سيدتي، أي شيء آخر؟.

- لا شكرًا لك.

أكمل السائق طريقه إلى ستوك الداخلية حتى يصل إلى السوق حيث أن المنزل الذي أُخذت تيا له يقع في أطراف ستوك الجنوبية وهو بعيد عن وسطها.

صارحت ستيلا تيا صاعقة إياها:

- تيا لست مرتاحة لهذا الذي يدعى لواف.

حاولت تيا الحفاظ على اتزانها بعد تلك الصاعقة وقالت موضحة:

- ستيلا لا تقولي هذا، قد يبدو أنه خبيث وماكر، لكنه لطيف ووفي، أبي ووالده أصدقاء من أكثر من ثلاثين سنة يستحيل أن يغفر له والده إذا كان يخدعني، ثم أنني أكتشف من يخدعني من نظرة واحدة.

- لا أعلم لكن لم أرتح له كثيرًا.

ربتت تيا على كتفها مطمئنة:

- ستتقبلينه عندما تعرفين من هو لواف.

- حسنًا سأحاول.

سألت تيا متذكرة:

- ستيلا هل أحضرت بعضًا من كتب السحر التي قرأتها سابقًا في أكستاڤو؟.

نفت ستيلا:

- لا، لأنها خاصة بالكونت وأعارني إياها حتى أعرف كل شيء قد أحتاجه من المعلومات عند تحرير طاقتك.

- أتذكرين اسماءها؟.

أومأت ستيلا برأسها وقالت مؤكدة:

- طبعًا.

- حسنًا أريد شراء البعض منها وقراءتها سأسأل السائق إن كانت تباع هناك، أو لحظة... بالتأكيد لواف يملك هذا النوع من الكتب، سأسرقها منه.

قالت ستيلا ساخرة من خطة تيا:

- واو بالذكاء أنا لا أريد أن أحسدك.

صمتتا للحظة...

نطقت تيا بتردد:

- ستيلا... أنا أشعر بالحنين.

مالت ستيلا واضعة رأسها على كتف تيا وقالت:

- أتعلمين... أنا أيضًا أشعر به.

عاد الصمت بين تيا وستيلا، بقي يصاحبهما إلى أن وصلتا حيث السوق المركزي لستوك.

نزلت تيا من العربة وقالت بإعجاب:

- واو إنه جميل جدًا وألوانه زاهية وينبعث التواضع منه ليس كسوق أكستاڤو.

نزلت من خلفها ستيلا وقالت مؤيدة:

- معك حق تيا، الذي يقع بأكستاڤو لا نرى فيه سوى النبلاء.

قال السائق لهما قبل أن تذهبا:

- صحيح سيدتي، طلب مني الأمير لواف أن آخذكما إلى القصر لتناول وجبة الغداء معه.

التفتت تيا آخذة رأي ستيلا:

- أتذهبين ستيلا؟

- لا مانع، سيريحني من فوضى الطهي.

- حسنًا شكراً لك يا...؟

- إيدن، أدعى إيدن.

- شكرًا لك إيدن، انتظرنا هنا إلى حين انتهائنا إن أمكن.

إنحنى إيدن قائلاً:

- أنا في خدمتك سيدتي تيا.

أمسكت تيا بيد ستيلا وجرتها راكضة بحماس كطفلة رأت لعبتها المفضلة.

تأكد إيدن من ابتعاد كلتاهما وحدث نفسه:

"سأذهب للسيد جاك بالطبع هو قد ارتاح الآن، لا أعتقد أنهما ستنهيان التسوق قبل غروب الشمس".

اتجه إيدن إلى المكان الذي يقطن فيه جاك متخفيًا عن العامة سواءً كانوا بشرًا أو مصاصي دماء.

ذهب سيرًا على أقدامه بسبب قصر المسافة التي لا تدعو لاستخدام العربة.

وصل بعد مدة وقام بطرق الباب عدة مرات ليستجيب سيده للباب ويفتحه.

قال جاك مبتعداً عن الباب عائداً للداخل فاركاً عينه بنعاس:

- ماذا تريد؟ أرجو أن يكون سببًا يستحق إيقاظي من النوم.

- ليلة الأمس رأيت فتاة غريبة تدخل للقصر وبعد مدة خرجت ومعها لواف، تبعت العربة التي كانت تستقلها تلك الفتاة وتوقفت العربة عند منزل للواف وعندما عدت وأخذت عربة من الإسطبل، ذهبت بعد طلوع الشمس حتى أرى من هذه الفتاة واتضح أنها تيا معها خادمتها ستيلا.

سأل جاك النصف نائم:

- من تيا؟.

تنهد إيدن بقلة حيلة مذكراً سيده:

- تيا دادلي.

- حسنًا ماذا في... - استوعب جاك ما قاله إيدن وفتح عيناه على مصراعيها- تيا دادلي ابنة ڤيكتور دادلي؟؟!

أكد إيدن:

- نعم سيدي، لم أكن أعرف أنهما يعرفان بعضهما البعض.

استيقظ جاك من نعاسه وقال بسعادة:

- رائع هذا يعني أن توظيفك هناك لم يكن عديم الفائدة رغم عملك هناك لستة أشهر هذا أول خبر تأتيني به.

سأل إيدن مستفسراً:

- ماذا علي أن أفعل سيدي؟.

رمى جاك نفسه على الأريكة وقال:

- تصرف بطيبعتك أنت هو السائق ايدن وليس عميل جاك.

تساءل إيدن:

- ألا تريد تيا سيدي؟.

أمسك جاك كأس الشراب على الطاولة وقال وهو يقلب محتواه ناظراً إلى انعكاسه:

- دعنا نلهوا قليلًا قبل أسرها وإذاقتها جحيمًا جديدًا، دعها في النعيم لبعض الوقت.

تراجع إيدن عائداً أدراجه، سأل جاك قبل خروجه:

- سيدي سأنصرف أتريد شيئًا آخر؟.

لوح له بيد وهو يبتلع رشفة من مشروبه، قال بعد ابتلاعها:

- لا، أديت عملك بشكل جيد سأكافئك على هذا.

خرج إيدن من منزل جاك عائدًا إلى العربة.

شخص ما: عرفت ذلك منذ زمن، والآن قطعت الشك باليقين.

مرت ساعة على وجود تيا وستيلا في السوق، خلال هذه الساعة قامت تيا بشراء كل ما تجده في طريقها من تماثيل وقلائد وأزهار، ولا ننسى شراءها لخلطة عصير أهل ستوك الذي سموه على اسم مدينتهم.

بعد ساعتين انتهتا ستيلا وتيا من التسوق وقد وجدت تيا نصف ما تريده وبالطبع جن عقل ستيلا من تيا، هذا ما يحصل في كل مرة تذهبان للسوق.

عادتا أدراجهما تجاه العربة وهما تحملان تلك الاكياس الثقيلة، بدتا كشخص حصل على غنيمته من حرب كسبها لتوه.

بالنسبة لردة فعل الناس أثناء تواجد تيا في السوق فالكل كان فمه مفتوحًا من الدهشة والفتيات كلهن يسألنها عن سر جمالها وما نوع السحر الذي استعملته لتكون بهذا الجمال وستيلا ترد نيابة عن تيا بأنها ولدت هكذا ولا أحد يعرف السر، هل تعتقدون أنهن استسلمن؟ بالطبع...لا .

عندما لمحهما إيدن من بعيد ذهب باتجاههما وساعدهما في حمل ما اشترتاه من السوق.

قال إيدن بصدمة من كمية مشترياتهما:

- سيدتي أليست هذه الأشياء قليلة نوعًا ما؟.

أجابته تيا مؤيدة:

- عرفت ذلك، لكن ستيلا أصرت على قول أن هذا كثير.

قال إيدن ساخراً وهو يحمل كيساً إلى العربة:

- ليس من حقك قول هذا آنسة ستيلا أنظري إلى ما اشتريتموه، قليل لدرجة أن ظهري يطلب النجدة.

شهقت تيا بصدمة وقالت:

- أكنت تستهزئ؟! كيف لم ألاحظ؟.

نظرت لها ستيلا قالت وهي ذاهبة تساعد إيدن:

- قلت لك هذا لكن لم تصدقيني.

- ستيلاااا.

انتهى إيدن من وضع الأغراض في العربة بمساعدة كل من ستيلا وتيا.

قال إيدن نافضاً الغبار عن ثيابه:

- سيدتي أتريدين الذهاب مباشرة إلى قصر السيد لواف أو العودة للمنزل ثم الذهاب إليه؟.

قالت تيا بحيرة:

- هممم..لا أدري، ما رأيك ستيلا؟.

- دعينا نذهب إلى لواف أولًا لأن قصره قريب من هنا والبيت بعيد جدًا عن هذه المنطقة.

- حسنًا افعل كما قالت ستيلا.

- أمرك سيدتي.

تحرك ايدن باتجاه قصر لواف وتيا بقيت ساكنة لا تتكلم مهما سألها إيدن عن أي شيء، من البداية لم تكن مرتاحة له وقررت السكوت حتى تتأكد من لواف عن حالة هذا الشخص.

توقفت العربة بعد مدة من الزمن، قال إيدن معلماً:

- سيدتي لقد وصلنا.

- شكرًا لك إيدن.

كان لواف واقفاً ينتظرهما وقال مستقبلاً:

- تفاحتي البيضاء.

عانقته تيا وقالت مستفزة إياه:

- ثعباني الأزرق.

أبعدها لواف وقال بتجهم:

- توقفي عن هذا.

- حسنًا، لما تقف هنا يمكنك الانتظار في الداخل.

مسح لواف على ظهرها وقال مبتسماً:

- وهل ستكون تيا كل يوم هنا؟.

انحنت ستيلا ملقية التحية:

- كيف حالك سيد لواف؟.

- بخير، وأنت كيف حالك ستيلا؟.

- أنا بخير، شكرًا لك على العربة.

نظر لواف إلى تيا وقال:

- أنتما غاليتان على قلبي وهذا أقل شيء أفعله.

اقتربت تيا من لواف وقالت بصوت منخفض:

- لواف أريد سؤالك عن شيء ما، هل يمكننا التكلم في الداخل؟.

أجابها لواف مؤشراً بيده للداخل:

- بالطبع، تفضلا بالدخول.

دخلت تيا وبرفقتها ستيلا للقصر. أخذهما لواف لغرفة المعيشة حتى ترتاحان قليلًا بعد تسوقهما.

جلس لواف على كرسيه آخذاً شايه وقال:

- إذن تيا ما هو الشيء الذي تريدين إخباري به؟.

ارتشفت تيا من فنجان الشاي الذي أعطاه لواف لها لتجيب:

- إيدن، إنه لا يريحني.

وضع لواف فنجانه على طاولة صغيرة كانت وراءه وقال:

- توقعت أنك لاحظت ذلك.

- هذا يعني أن هنالك شيء ما.

- لقد شككت فيه من أول يوم بدأ بالعمل هنا.

- وما الذي حدث بعدها؟.

- لقد تتبعته اليوم، كنت قلقًا عليكما.

سألت ستيلا بنبرة باردة:

- لما أرسلته من البداية ؟.

قال لواف موضحاً الموقف:

- لم أرسله، الحراس قالوا لي عندما استيقظت أنه خرج بعربة بأمر مني.

قالت ستيلا بشك:

- وما صدق كلامك هذا؟.

قال لواف غاضباً:

- ألا تصدقينني؟.

نطقت تيا موقفة الحوار عندما شعرت أنهما سيتشاجران:

- لا عليك لواف إنها تمزح فحسب، إذن ماذا اكتشفت؟.

نظر لواف إلى ستيلا ثم وجه نظره إلى مجيباً:

- إنه جاسوس من نبلورد.

- ماذا؟! هل هذا يعني أن جاك من أرسله؟.

تقدم لواف بجذعه وقال خافضاً من صوته:

- أجل، رأيته اليوم يدخل إلى بيت ليس بعيدًا عن السوق ولمحت إن لم يخب ظني شخصاً يشبه جاك.

نطقت تيا عندما لمعت عيناها بخطة:

- خطرت في بالي خطة، لكنكما لن توافقا عليها.

حرك لواف كتفاه وقال:

- لا تعلمين، قد نوافق أنا وستيلا.

اعتدلت تيا بجلستها وقال بحذر:

- سأقوم باستدراج جاك وجعله رهينة قبل أن يجعلني رهينة عنده.

رجعت ستيلا بجذعها إلى الوراء مستهزئة:

- ياللغباء، هل تريدين أن ترمي بنفسك للجحيم؟.

قالت تيا مدافعة عن نفسها:

- اهدئي ستيلا، سأدرسها جيدًا قبل تنفيذها.

وقف لواف وقال معترضاً:

- لا تيا، لقد تعهدت لوالدك بأن أحميك لن أدعك تهلكين هكذا.

حاولت تيا الإيضاح:

- لواف اسمع ما أريد قوله اولًا، الأمر ليس بهذه السهولة ولست غبية لأنفذ هذا الشي دون تخطيط.

- لست خائفًا من فشل خطتك، أنا مؤمن بقدراتك.

- إذن ما الذي يخيفك؟.

عاد لواف إلى كرسيه، أرجع شعر للخلف تزامناً مع قوله:

- أخاف أن تنتهي خطتك كما انتهت خطة الكونت ڤيكتور سابقًا.

- أي خطة تتكلم عنها لواف؟.

زفر لواف بضيق وقال:

- منذ زمن بعيد جدًا، عندما شن السحرة ومصاصي الدماء حربهم التي أدت بفقدان أكثر من نصف سكان أكستاڤو، والدتك كانت العقل المدبر لكل خطة نجحت، فقرر والد الكونت إيقاعها بفخ ماكر ليمسك بمن يحقق للبشر الفوز الدائم، وبالفعل وقعت لينا بفخه، لكن لا أعرف تفاصيل ما حدث وأدى لزواجهما، أنا خائف من أن تكون نتيجة خطتك هكذا ولا أضمن مدى صدق جاك معك، هو ماكر وقد يخدعك.

قالت تيا مطمئنة لواف:

- لواف لا تقلق، سأسبقه بمئة خطوة وليس بخطوة واحدة.

تنهد لواف وقال مستسلماً:

- إذن افعلي ما يحلو لك.

قالت ستيلا بإنفعال:

- كيف تقول هذا؟! الا تدرك مدى خطورة ما ستقبل على فعله؟.

رد عليها لواف متنهداً بغضب:

- أنا أكثر شخص يدرك مدى خطورة الأمر، لكن ليس باليد حيلة.

وضعت تيا يدها على كتف ستيلا وقالت راسمة ابتسامة خفيفة:

- ستيلا لا تخافي علي، سأحقق انتصارًا لم تشهده أكستاڤو من قبل.

سأل لواف واضعاً يداه على رأسه مسنّداً إياها على رجليه:

- تيا ما مقدار قوتك؟.

نظرت له تيا وقالت جاهلة:

- لا أعرف، ستيلا هل تعرفين؟.

أجابت ستيلا ببطء غير متأكدة:

- أعرف مقدار قوة مصاصي الدماء الموجودة في روحك أما السحرة لا أعرفها.

بعثر لواف شعره وقال:

- حسنًا كم تبل... مهلًا ستيلا هل قلت توًا أن تيا تحمل قوى السحرة؟.

أجابته ستيلا ناظرة إلى تيا:

- بلى، لقد ورثت من والدتها دماء السحر، لست متأكدة من ذلك بعد.

سأل لواف بفضول:

- وكيف وضعتِ هذا الافتراض؟.

أجابته ستيلا بافتراضها:

- تيا لم تتأثر ولو لمرة عند رؤيتها لدم البشر، لذا أعتقد أنها ورثت دماء السحرة.

- أكان هذا قبل أم بعد تحرير قواها.

فكرت ستيلا قليلاً وقالت متشككة:

- امممم... اعتقد أنه قبل تحرير قوى تيا.

تنهد لواف مطلقاً ضحكة بين تنهيدته وقال:

- بحقك ستيلا هذا طبيعي، لأن روح مصاص الدماء فيها كانت ساكنة.

نهرته تيا غاضبة:

- لواف لا تتكلم هكذا مع ستيلا.

وضعت ستيلا يدها أمام تيا وقالت ستيلا بنبرة استفزت لواف:

- لا تغضبي تيا فهذا طبع الأمراء المدللين .

شد لواف على قبضة يده يحاول أن يسيطر على غضبه قد الإمكان وأكمل:

- على كل حال، توجد طريقة واحدة يمكننا معرفة إن كان في دماء تيا دماء السحرة أم لا.

سألت تيا:

- ما هي لواف؟.

- انتظراني هنا، سأعود بعد قليل.

خرج لواف من الغرفة ليمشي باتجاه إحدى الغرف، طرق بابها ليجيبه صوت القابعة فيها سامحة له بالدخول.

رفعت هيتيسيا رأسها تاركة الأوراق من يدها سائلة:

- لواف هل حدث شيء ما؟.

ألقى لواف نظرة على تلك الكتب والأوراق المبعثرة ثم نظر لها وقال:

- هيتيسيا هل تسدين لي معروفًا؟.

- بالطبع لواف ما هذا السؤال.

أمسكها لواف من معصمها وقال:

- إذن تعالي معي.

أفلتت سيا معصمها من قبضته وقالت:

- مهلًا، أليس من المفترض أن تكون مع الآنسة تيا؟.

- هيا سأشرح لك فيما بعد، أنهى لواف جملته وأمسك يد هيتيسيا ساحبًا إياها معه للغرفة الموجود فيها تيا وستيلا.

فتح لواف الباب ودخلت هيتيسيا التي لاعلم لها بما يحدث.

قالت له تيا مستغربة من سرعته:

- لواف لقد عدت بسرعة، لحظة من الفتاة التي تقف بجوارك؟.

قال لواف مشيراً بيده لهيتيسيا معرفاً:

- أعرفكما بهيتيسيا، خادمة الدم الخاصة بي، هيتيسيا هذه تيا وهذه صديقتها ستيلا.

قالت هيتيسيا متلعثمة:

- م..مرحبًا بكما س..سررت بلقائكما.

ابتسمت تيا رداً على ترحيب سيا.

سألت ستيلا مذكرة لواف بالموضوع:

- إذن سيد لواف ما الذي تريد فعله؟.

قال لواف متذكرًا:

- أوه صحيح شكرًا لتذكيري ستيلا، بعد إذْن هيتيسيا سأجرح إصبعك لأرى إن كانت تيا ستتأثر أو أنها تمتلك شيئاً من دماء والدتها، هل أنت موافقة هيتيسيا؟.

قالت هيتيسيا بشيء من التردد:

- لا... لا بأس.

سحب لواف من حزام خصره خنجرًا صغيرًا وقام بجرح إصبع هيتيسيا ليبدأ بالنزف وجميع من بالغرفة أنظارهم تموضعت على تيا، ينتظرون رد فعل منها لكنها لم تبدِ أي تعبير على وجهها.

لم يتحمل لواف رائحة الدماء المنتشرة في الغرفة وسأل تيا محاولاً السيطرة على نفسه:

- تيا ألا تشعرين بشيء؟.

أجابته تيا ببساطة:

- أبدًا.

أخذ لواف منديلًا من الطاولة وأحاط به إصبع سيا به ليأمرها بالإنصراف .

قال لواف محاولاً السيطرة على نفسه:

- سحقًا، لو أنني لم أسألك لكنت الآن امتصصت دماء هيتيسا.

قالت ستيلا مستغربة:

- وما الغريب في ذلك؟ أليست خادمة الدم خاصتك؟.

رد لواف موضحاً:

- بلى، لكن هل نسيت أن علينا امتصاص دمائهم لمرة واحدة في اليوم حتى لا يتضرر جسدهم؟ لأننا عندما نمتص دماءهم نحن نأخذ من عناصر غذائهم التي يحتاجها جسدهم.

قالت تيا مستفسرة:

- الآن تأكدنا أنني أيضًا ساحرة، ماذا ستفعلان؟.

قال لواف براحة:

- أنا ارتحت أنك ستكونين بخير تيا بعد أن تأكدت أن دماءك تجري فيها دماء السحرة.

تساءلت ستيلا عن سبب ارتياح لواف:

- أنرنا يا سيد لواف كيف يكون هذا جيدًا لتيا؟.

قال لواف معللاً:

- من إحدى مميزات السحرة أن قواهم تعمل تلقائيًا عند احساسها أن صاحبها على وشك حدوث شيء سيء له، و هذا يعني إن حاول جاك إيذاء تيا فقوتا السحرة ومصاصي الدماء ستظهر وستفوقه قوة، تيا الآن قوتها تفوق قوة أي شخص آخر.

سألت تيا تتأكدت مما قاله لواف:

- هل فعلًا ما تقوله لواف؟.

أكد لها لواف بنبرة صادقة:

- أنا لا أكذب تيا، لكن عليك أن تعرفي كيف يمكنك استخدام القوتين في وقت واحد وفي أي وقت وألا تنتظري حتى يوشك الخطر على أخذك.

- وكيف أعرف؟.

قال لواف بحيرة:

- حالتك نادرة جدًا، ومن الصعب أن أجد شخصًا مثلك، لكن إن لم تخنّ الذاكرة على الأغلب أنني قرات كتبًا عن حالتك، سأبحث عنها وسآتي بنفسي وأعطيك الكتب، لا تقلقي لن أرسل إيدن.

- شكرًا لك لواف.

- صوت من الخارج - سيدي الغداء أصبح جاهزًا.

شكرهم لواف بكلماته:

- حسنًا شكرًا لجهودكم، أكمل لواف موجهاً الحديث للقابعتين أمامه: تفضلا تيا وستيلا.

خرجوا جميعًا من الغرفة متجهين لغرفة المائدة يتناولون طعامهم بصمت تام.

عند انتهاء كلًا من تيا وستيلا من غدائهما استأذنتا بالعودة للمنزل ولواف لم يمانع ذلك، بالفعل خرجتا وركبتا مع إيدن، كانتا طيلة الطريق صامتتين حتى لا تكشفا أي شيء لجاك وجنوده.

قال إيدن حين أوقف العربة:

- سيدتي لقد وصلنا.

أجابته تيا عندما عندما نزلت من العربة:

- شكرًا لك إيدن، هلّا ساعدتنا بإدخال ما ابتعناه من السوق اليوم؟.

- بالطبع سيدتي.

ساعد إيدن ستيلا وتيا بحمل وإدخال الأشياء إلى المنزل.

قالت له ستيلا شاكرة:

- شكرًا لمساعدتنا إيدن يمكنك العودة للقصر، طابت ليلتك.

إنحنى إيدن هاماً بالعودة:

- طابت ليلتكما.

رمت تيا بنفسها على الأريكة بإهمال وأخرجت تنهيدة طويلة لتقول وهي تنظر للسقف بشرود:

- ستيلا، ما مدى خطورة جاك؟.

أجابت ستيلا مختصرة على تيا:

- إنه خطير تيا..هذا كل ما أعرفه.

نهضت تيا بسرعة وقالت متثائبة:

- أنا سأخلد للنوم، عقلي تعب مما حدث اليوم.

- تصبحين على خير.

- وأنت بخير.

استقامت تيا ومشت بخطى بطيئة باتجاه السلم المؤدي لغرفتها. صعدت السلم وهي تفكر بكلام لواف عن والدها ووالدتها، وخافت من أن تقع بحب جاك ويقوم باستغلالها حتى يحقق مراده ويبيد حكم مصاصي الدماء. شدت قبضتها على الدرابزين لغضبها من فكرة أن يعود والدها للصفر بعد كل هذا التعب.

بدأت الشمس ترتفع قليلًا معلنة عن ابتداء يوم جديد لتستيقظ تيا على صوت كان صادرًا من الباب.

نزلت إلى الطابق السفلي حتى ترى من هذا الذي يطرق الباب .

قالت تيا بينما تمشي إلى الباب متذمرة:

- أوففف...من هذا الذي قد يطرق الباب قبل زقزقة العصافير؟ هل رآني بأحلامه أم ماذا؟.

نظرت تيا من الثقب الصغير الموجود في الباب بخوف وكأن ما تخشى حدوثه قادم بالفعل. تنفست الصعداء عندما رأت لواف يقف أمام الباب ينتظر منها أن تفتح له.

فتحت له الباب وقالت بصوت ناعس:

- مرحبًا لواف، ما الذي حصل حتى أتيت بهذا الوقت المبكر؟.

قال لواف مبتسماً:

- لقد عثرت على ثلاثة كتب عن القيثارة التي خلطت دماؤهم بدماء السحرة وجئت لأعطيها لك، لا تخافي تأكدت أن إيدن لا يتبعني وهو نائم في غرفته، لن يستيقظ قبل السابعة. خذي، هذه هي الكتب، أخرج لواف من حقيبته الكتب ومدها لتيا.

التقطتها تيا من يدي لواف لتحدق فيها لهنيهة ثم تنطق:

- هل ستبقى واقفًا هكذا والبيت بيتك؟

قلب لواف عينه تزامنًا مع رده:

- أنتظر من أحد الأشخاص أن ينطق بكلمة تفضل.

دخلت تيا قبله وقالت:

- هيا ادخل يا ثعباني الأزرق.

قال لواف مازحاً وهو يمشي خلفها:

- سأغير اسمك من التفاحة البيضاء إلى السحلية البيضاء.

قالت تيا مرتمية على الأريكة بنعاس:

- ما زلت بيضاء.

طلب لواف من تيا تزامناً مع جلوسه:

- تيا هل لي بكوب من الأعشاب المهدئة؟.

- هل حدث شيء ما؟.

أجاب محركاً رقبته المتشنجة:

- أبي يكلفني بكثير من الأعمال هذه الفترة.

- لما؟.

- لأنه يساعد الكونت في تدريب جنودنا من أجل محاربة جنود نبلورد.

توقعت تيا:

- وكلفك بالأعمال التي لا يستطيع انجازها بنفسه، صحيح؟.

- بالضبط.

ذهبت تيا بخطوات سريعة للمطبخ حتى تعد للواف الأعشاب المهدئة.

بعد مدة

- لقد عدت، تفضل، وضعت تيا الكوب أمام لواف وجلست في الكرسي الذي يجاور كرسي لواف.

نظرت له تيا ورأت توتراً في عينه، سألته بتردد:

- إذن.....هل لديك شيء لتقوله؟ أشعر أنك تود النطق بشيء ما.

أطال لواف صمته مفكراً هل يخبرها أم لا. قال بعد أن اتخذ قراره:

- ت..تيا الكونت.

انقبض قلب تيا بمجرد سماع اسم والدها لتردف باضطراب:

- ما به أبي؟.

تنهد لواف واضعاً نظره على الأرض:

- بالأمس بعد ذهابكما جاء فارس هو بالأصل من فرسان ستوك وأخبرني أن جاك أصاب الكونت ڤيكتور إصابة بليغة قريبة من قلبه وهو لا يزال في مرحلة الخطر.

قالت تيا والدمع تجمع بعينيها:

- لما فعل هذا؟.

أجاب لواف وهو بنفس وضعيته:

- لقد كان الخطر قريبًا جدًا والهزيمة كذلك كانت وشيكة وانتصرنا بفضل تدخله، هو ضحى بروحه كي ينقذنا...لكن أعتقد أنه فعل هذا لأجلك ثم لأجلنا.

قالت تيا بصوت مهزوز:

- لأجلي أنا؟.

نظر لها لواف متعجباً:

- ألم تلاحظِ يومًا الحراس المنتشرين ليلًا حول المنزل يحيطونه من مختلف الجهات؟.

قالت تيا متفاجئة:

- عن أي حراس تتكلم؟.

قال لواف معجباً بذكاء ڤيكتور:

- لا أعلم حقًا مدى براعة الكونت حتى أمكنه إخفاء عشرات الحراس.

غطت تيا وجهها بيدها عندما أحست أنها على وشك البكاء وقالت بندم:

- أبي فعل ذلك من أجلي، بينما أنا هنا أجلس فرحة لأنني تحررت منه؟!.

ابتسم لواف بانكسار وقال:

- الكونت يحبك جدًا، ليس كما تعتقدين، هو حنون، لكنه لا يعرف كيفية إظهار حنانه لك.

كبحت تيا دموعها بصعوبة وقالت:

- لواف أريد أن أطلب منك شيئًا.

- وهل سأردك مثلًا؟.

لوحت تيا بيديها أمام عينيها محاولة منع دموعها من النزول طالبة:

- أريد منك أن تأخذني لغرفة العلاجات المتطورة في أكستاڤو.

رفع لواف رأسه وعلامات التساؤل على وجهه وقال:

- وكيف تريدين العودة بعد الهروب؟.

نظرت له تيا مجيبة:

- ومن قال أنني سأدخل أكستاڤو بصفتي الكونتيسة تيا؟.

ضيق لواف عينيه ناظراً إلي تيا سائلاً:

- وبصفتك من ستدخلين؟.

أجابته تيا ببساطة:

- بصفتي لورين..خادمة دم الأمير لواف.

قال لواف بصدمة:

- هل جننتِ؟.

أجابته تيا بجدية عاقدة يديها:

- أوي أتكلم بجدية أنا لا أمزح.

ضحك لواف بسخرية وقال:

- تيا من الواضح أنك ابنة الكونت، لا تنسي أن أهالي أكستاڤو جميعهم يعرفون شكلك أكثر مما تعرفه ستيلا.

- أستطيع التنكر، وسأصبح شخصًا آخر.

استسلم لواف لأنه يعرف أن لا فائدة من كلامه وقال متنهداً:

- ما باليد حيلة، سأنفذ طلبك تيا، لا تغتري بنفسك كثيرًا فقط لأن الكونت مريض سألبي طلبك.

نهض لواف متجهًا بخطاه إلى الباب لاحقة به تيا. قالت أثناء مشيها:

- حسنًا حسنًا فهمت.

وقف لواف أمام الباب مستأذناً:

- سأعود الآن علي أن أكمل أعمالي.

لوحت له تيا بيدها مودعة:

- إلى اللقاء لواف.

- إلى اللقاء تيا، التفت لواف إلى تيا قبل أن يركب حصانه وقال:

- تيا....احمي نفسك جيدًا، جاك لا ينوي خيرًا لك.

ردت تيا بصوت عالي حتى يصل له:

- لا تقلق علي لواف، فأنا تيا دادلي ابنة الكونت ڤيكتور دادلي.

ابتسم لواف لتيا قبل ان يدير ظهره ويركب حصانه عائدًا إلى قصره.

بعد ذهاب لواف عادت تيا إلى غرفتها لتكمل نومها المقطوع، لكن لم يغمض لها جفن. طيلة الوقت وهي تفكر بوالدها وما حل به في غيابها.

كيف حاله؟ هل أصابته خطيرة جداً؟ ولما فعل هذا؟ يستطيع التضحية بأي جندي لديه. لما إختار نفسه؟ لما يعرض نفسه للخطر؟.

استمرت تيا بمحاربة بأفكارها علها تنتصر عليها وتنعم بنوم هنيء، لكن للأسف هذه المرة كانت أفكارها أقوى منها، هزمتها واقتلعت النوم من عينيها.

استسلمت لحالتها واعتدلت بجلستها ملتقطة كتاباً من الكتب التي جلبها لواف توًا وبدأت بقراءة محتواه.

فهمت البعض ولم تفهم ما تبقى، ليس لها علم بهذه الأشياء كثيرًا، فهذه كتب لا تدرس في المدارس، بل يدرسها سحرة المقاطعات ويتم توارث علمها من فرد واحد قد تعلمها وهو ينقل علمها للآخرين، لكن لسوء حظ تيا لم يعلمها والدها هذا العلم وهي جاهلة به إلا بعضه.

بدأت زقزقة العصافير ترتفع من حول تيا، استقامت ونهضت من سريرها وقد خطر لها أن تحضر الإفطار بدلًا من ستيلا التي وصل صوت أنفاسها لآخر الحي.

أنهت إعداده وصعدت لإيقاظ ستيلا.

هزت تيا جسد ستيلا محاولة إيقاظها قائلة:

- ستيلا، ضفدعتي السوداء استيقظي.

أجابت ستيلا بنعاس:

- أنت الضفدعة يا تيا.

جارتها تيا وقالت:

- حسنًا حسنًا لكن هيا استيقظي لا حيلة لي لتحملك أنت ونومك الثقيل هذا.

رفعت ستيلا إصبعها مغمضة العينين محذرة تيا:

- إياك والتكلم عن نومي.

قهقهت تيا قهقهة قصيرة وقالت:

- حاضر لن أعيدها يا صاحبة الجلالة، انهضي فطورك ينتظرك بالأسفل.

نهضت ستيلا بجزئها العلوي قائلة بصوت ناعس ممددة جسدها:

- هل نزلت معجزة من الرب أم ماذا؟ تيا دخلت المطبخ وأعدت الإفطار أيضًا؟! ياللعجب!.

قالت تيا ضاحكة:

- لم أعد الكونتيسة تيا حتى لا أدخل المطبخ أنا الآن العامية لورين.

نظرت لها ستيلا مازحة:

- عامية؟ من أسقط الحجر على رأسك يا صغيرة؟.

قالت لها تيا خارجة من الغرفة:

- سأسبقك ولن أنتظرك أكثر من هذا ستيلا.

- سأغسل وجهي ويدي وألحق بك.

أجابتها تيا من الخارج:

- حسنًا.

مشت تيا وهي تفكر كيف ستخبر ستيلا بما تنوي فعله، هي لا تزال لم تحدد موعدًا للإنطلاق، لكن في غضون يومين لا أكثر، لكن في المقام الأول لواف هو من سيحدد الموعد لأنها لن تستطيع الانطلاق بدونه فهو سيكون الشخص الذي ستحتمي به من الأنظار.

وصلت ستيلا بعد مدة ليست بطويلة وجلست على كرسيها المعتاد وبدأت بتناول طعامها تليها تيا التي بدأت أيضًا بتناول طبقها.

تحمحمت تيا لتقول:

- ستيلا سأخبرك بشيء لكن حافظي على تماسك أعصابك.

أجابتها ستيلا بصدق:

- لن أعدك، لكن هاتي ما عندك.

تركت تيا شوكتها وقالت:

- اليوم قبل شروق الشمس أتى لواف ومعه الكتب التي حدثنا عنها في قصره.

نظرت لها ستيلا وقالت:

- حسنًا تابعي.

حاولت تيا التماسك قبل قولها:

- أخبرني أن أبي قد تعرض لإصابة خطيرة جدًا في آخر معركة.

قالت ستيلا بصدمة وخوف:

- الكونت؟!!.

عقدت تيا أصابعها متوترة مكملة:

- أ..أجل وإلى الآن وضعه ليس مستقرًا ولم يتخطَّ مرحلة الخطر.

قالت ستيلا قابضة يدها بغضب:

- لعنة عليهم.

قالت تيا بتوتر رامية قنبلتها الأخرى:

- أ..أنا أريد رؤية أبي، لذا سأذهب مع لواف بصفتي خادمة الدم خاصته.

قالت ستيلا بحنان ممزوج بشيء من الخوف:

- تيا لن أستطيع منعك من رؤية والدك لكن هذه طريقة خطيرة عليك.

حاولت تيا تخفيف خوفها بقولها:

- لا تقلقي ستيلا لن أذهب وأنا بهذا الشكل سأتنكر وأغير من شكلي قليلًا.

زفرت ستيلا الهواء من رئتيها مستسلمة:

- طالما أن لواف من سيكون برفقتك سأكون مطمئنة بشأنك.

ابتسمت تيا متسائلة:

- ما الذي قلب حالك؟ بالأمس كنت لا تثقين به.

قالت ستيلا محرجة:

- أعتقد انني ظلمته.

أرجعت تيا ظهرها للوراء وقالت ضاربة قبضتها بخفة:

- وأخيرًا أدركتِ.

ارتشفت ستيلا من قهوتها وقالت:

- المهم انني أدركت.

قالت تيا بصوت ضاحك:

- معك حق.

أعادت ستيلا كوب قهوتها إلى مكانه سائلة:

- تيا...ما الذي ستفعلينه في تنكرك؟.

أجابتها تيا محتارة:

- اممم أظن أنني سأقوم بقص شعري وصبغه وسأغير شكلي بمستحضرات التجميل التي سأستعيرها من هيتيسيا.

- لا أصدق انك ستضحين بشعرك الذي يتنافسن الفتيات حتى يحصلوا على مثله.

التمست تيا شعرها و بدأت بالتمسيد على خصلة منه قائلة

- بصراحة أحبه بشدة لكن أود تغيير شكلي قليلًا.

- وبأي لون ستصبغيه؟.

- الأسود أو البني، أشارت تيا إلى أسفل عنقها بقليل مكملة: وسأقصه لأعلى كتفي بقليل.

- أليس قصيرًا جدًا المستوى الذي اخترته؟.

- لا أبدًا.

تنهدت ستيلا مجارية تيا:

- ومن الذي سيقوم لك بهذه العملية؟.

أجابت تيا موضحة خطتها:

- سنذهب لقصر لواف وسأطلب من هيتيسيا أن تعيرني مصففة شعرها وأيضًا...

نظرت ستيلا بطرف عينها سائلة:

- وهل هنالك المزيد؟.

سعلت تيا مكملة:

- احم وأيضًا ستبقين في قصر لواف مدة غيابي.

رفعت ستيلا حاجبها متسائلة:

- ولما سأفعل هذا؟.

اختلقت تيا حة سريعة مقنعة وأجابت:

- بالتأكيد جاك عرف مكان مكوثنا ويستحيل أن أتركك لوحدك.

أمسكت ستيلا كوب قهوتها مجدداً وقالت مشيرة على تيا قبل إرشافها:

- فقط من أجلك سأوافق.

صفقت تيا بيدها فرحة:

- رائع! إقناعك كان سهلًا.

ابتلعت ستيلا قهوتها وقالت:

- وهل سنذهب مع ذلك المعتوه؟.

- لا عليك لواف الآن يتولى أمره.

وضعت ستيلا كوبها على الطاولة محاوطة إياه بيديها وسألت:

- ومن الذي سيأخذنا لقصر لواف؟.

قالت تيا بحماس:

- حصلت على فرس.

- حسنًا إذن... مهلًا ماذا؟.

- كما سمعت.

قالت ستيلا باستياء:

- تيا متى تخرجين بحق؟.

نفت تيا برأسها وقالت:

- لم أخرج البتة، لكن أبي أحاط منطقة المنزل بالحراس في كل زاوية، بعد ذهاب لواف بمدة قصيرة لم أستطع النوم لذا خرجت قليلًا، واستطعت أن أعثر على واحد منهم واتفقت معه على إعارتي فرسه فترة قصيرة.

سألت ستيلا شاكة برواية تيا:

- وهل وافق بهذه السهولة؟.

أومأت تيا مؤكدة:

- نعم، لأنه ليس أي فارس، إنه آبيل.

حاولت ستيلا استيعاب كلام تيا وقالت بصدمة:

- ماذا؟!.

مالت تيا بجذعها قائلةً:

- كما أقول لك، من الحظ أنني إلتقيت به.

تساءلت ستيلا وهي تنظر إلى انعكاسها في قهوتها:

- ولكن كيف ضحى الكونت بفارس قوي مثله ليكون حارسًا لنا؟.

قالت تيا رافعة أكتافها:

- لا أدري لأي مدى خاطر حتى نبقى بخير.

رفعت ستيلا رأسها تحملق بعيني تيا سائلة:

- متى سنتحرك؟.

أجابتها تيا وهي تلعب بحبات الزيتون بشوكتها:

- غدًا عند الغروب، ستكون حركة ستوك خفيفة.

- هل تعرفين الطريق؟.

- حفظته احتياطًا.

- تيا أرجوك كوني بخير.

- هيا ستيلا لن يصيبني شيء ولواف معي، صحيح أريد أن أطلب منك شيئًا.

- تفضلي.

- أريد منك قراءة الكتب الذي جلبها لواف اليوم وأن تشرحي لي محتواها، تعلمين أنني لا أفقه الكثير في مجال السحر.

- لا بأس بالتأكيد، أين هم؟،

- سأجلبهم لكِ.

- دعينا نكمل طعامنا أولًا.

- أوه نسيت أننا نأكل.

أكملتا تيا وستيلا طعامهما ومن ثم ذهبت تيا لجلب الكتب من غرفتها.

مدت تيا الكتب أمام ستيلا وقالت:

- تفضلي ستيلا هذه هي الكتب.

أمسكتها ستيلا موجهة نظرها إلى تيا سائلة:

- تيا هل حقًا لم تفهمِ أي شيء مما قرأته.

أجابت تيا ببطء في أول كلامها:

- حسنًا ليس كليًا، فهمت بعض الأشياء.

سألتها ستيلا وهي تلقي نظرة على أحدهم:

- مثل ماذا؟.

- امم حفظت بعض الطرق التي أستطيع تنفيذها حتى أستخدم قوتي السحرة ومصاصي الدماء بوقت واحد.

- وهل جربتها؟.

- لا لم أجربها بعد، لكنها سهلة.

- ما رأيك أن تجربيها الآن؟ أغلقت ستيلا الكتاب ناظرة إلى تيا طارحة سؤالاً آخر: صحيح بأي كتاب قرأت هذا؟.

أشارت تيا بإصبعها على كتاب عنوانه تحرر قوى المتهجنين

- هذا.

استغربت ستيلا قليلًا من عنوان الكتاب لكن لم تأبه به كثيرًا فقد رأت أغرب من هذا العنوان.

تصفحت ستيلا الكتاب سريعًا وحاولت فهم فحواه بشكل مختصر حتى تبدأ تطبيق الطرق على تيا. عندما وصلت للصفحة التي ذكرتها تيا وقفت فيها لفترة حتى أنهت قراءة كل الطرق بتركيز.

أقفلت ستيلا الكتاب ونهضت قاصدة الجلوس جانب تيا.

سألتها تيا:

- إذن ماذا سنفعل الآن؟.

- سنعلمك كيف تستعملين كل قوى على حدى ومع بعضهما.

- ومتى سنبدأ؟.

- الآن.

- الآن؟.

- نعم، اخترت ثلاثة طرق وأعتقد أنها ستنجح جميعها.

وقفت تيا وقالت بشجاعة:

- حسنًا لنبدأ، أنا مستعدة.

- تيا أولًا عليك أن تختاري سيفًا أو سلاحًا يمكن المقاتلة فيه.

قالت تيا متلفتة حولها:

- أظن أنني لمحت سيفًا في المنزل سأذهب للبحث عنه.

- سأنتظرك.

بعد مدة عادت تيا ومعها السيف لتقف ستيلا وتقول:

- ممتاز، الآن أمسك السيف وكأنك ستحاربين فيه وتخيلي أنني جاك ولست ستيلا.

أجابتها تيا:

- لكنني لا أعرف شكل جاك.

- إذن تخيلي أنني وحش على وشك أن أقتلك.

أمسكت تيا السيف بكلتا يديها وصوبته باتجاه ستيلا وتخيلت أنها وحش يريد قتلها وفجأة تحول لون شعرها للأحمر واكتستها هالة مخيفة لحد ما.

فتحت تيا عيناها بعد إحساسها بالقوى التي أخرجتها.

شرحت ستيلا كلام الكتاب بإختصار:

- هذه الطريقة تستطيعين استخدامها أثناء الدفاع عن نفسك بالأسلحة قبل أن تتحرر هي من نفسها. والآن سنجرب الطريقتين الباقية وهي لتستعملينها بأي وقت وليس فقط أثناء القتال.

قالت تيا بألم طفيف:

- ستيلا أشعر بأنني لن أتحمل القوى التي استعملها الآن.

قالت ستيلا مصارحة تيا:

- هذه نصف قوتك فقط.

أغمضت تيا عينيها متألمة وقالت بغضب:

- اتمزحين معي؟.

- أبدًا.

حاولت تيا تحمل الألم، سألت ستيلا مستعجلة:

- والآن ماذا سأفعل؟.

- ارمي السيف بالأرض وانتظريني قليلًا.

دخلت ستيلا للمطبخ وأخذت علبة الكبريت وعادت حيث تقف تيا لتقطع صفحة فارغة من أحد الكتب وقامت بسحب عود كبريت وإشعاله، قربت عود الكبريت لتبدأ النار بالإنتشار في كل أنحاء الورقة، لتضعها على قطعة القماش الموجودة على الطاولة.

أشارت ستيلا بيدها على النار التي أشعلتها آمرة:

- تيا أوقفي هذه النار.

قالت تيا بتوتر:

- ك...كيف؟

- صوبي يديك نحوها وحاولي إيقافها .

فعلت تيا ما أملته عليها ستيلا وركزت نظرها على النار وقامت بترسيخ فكرة إطفاء النار في رأسها و خلال ثانية بدأ شيء لم تستطع تيا وصفه هو ضوء أم ماذا؟ كل ما تعرفه أنه خرج من يديها وأُخمدت النار.

أثنت ستيلا على تيا بابتسامة شقت وجهها:

- أحسنت تيا، الآن بعد ما استعملتِ كل قوى على حدى ما زال علينا تعليمك استخدام الإثين في آن واحد، لكن عليك أن تتحملي قليلًا لأن الطريقة هذه تؤلم.

قالت تيا لاهثة بألم:

- سأتحمل.

- تيا حاولي التركيز جيدًا وفكري بشيء تكرهينه جدًا، سواءً كان شخصًا أو جمادًا.

تذكرت تيا كل موقف كرهت فيه نفسها، وتخيلت جاك وهو يحاول قتل والدها.

ليعود شعر تيا للون الأحمر وارتفعت قليلًا عن الأرض لتظهر دائرة متوهجةً باللون الأزرق و ضوء بدأ يشع من تيا لتصرخ تيا بصوت عالي أفزع ستيلا من علوه.

لم تعِ تيا عن شيء، وبدأت تصوب على أي شيء حولها وحاولت ستيلا أن تهدئ من تيا بإلقاء تعويذة لتخفيف قوة تيا قليلًا لكن لم تتأثر تيا أبدًا.

صرخت ستيلا بتيا حتى تتوقف وقد نجحت بذلك، لتسقط تيا على الفور وما زالت الدائرة الزرقاء تشع وشعر تيا الأحمر لم يختفِ.

قالت والدموع تنزل من عينيها بسبب ألمها:

- ستيلا أشعر أنني سأموت.

أمسكت ستيلا بيد تيا مهدئة إياها:

- لا تيا هذا يحدث لأن قوتك كبيرة وأنت لست معتادة عليها، ستكونين بخير.

قالت تيا وهي تئن بألم يكاد يقتلها:

- ستيلا أنا لا أستطيع التنفس، وعظامي كلها تؤلمني.

حاولت ستيلا أن تسحب تيا للأريكة القريبة منهما وقامت بتمديدها وقرأت بضع تعاويذ للشفاء علها تتحسن قليلًا.

جلست ستيلا على ركبتيها أمام تيا وسألت:

- كيف تشعرين الآن تيا؟.

نظرت تيا بطرف عينها لوجه ستيلا وأجابت متألمة:

ـ لست بخير ستيلا، الألم ينهشني.

قالت ستيلا بأسى:

ـ رغم فوائد قوتك إلا أنها قد تكون خطيرة عليك في أوقات قليلة.

أغمضت تيا عيناها ووضعت يدها على جبهتها وقالت:

ـ لو عرفت أنها ستسبب لي كل هذا الألم لما كنت حاولت استخدامها.

قالت ستيلا مواسية:

ـ لا بأس تيا فقط في المرة الأولى، وعندما تستخدمينها لاحقًا لن تتألمي هكذا.

ـ أتمنى ذلك، ماذا سنفعل لو لم أتحسن حتى الغد؟.

أجابت ستيلا بثقة:

ـ أنا سأقود الحصان.

اندهشت تيا من جواب ستيلا لتقول:

ـ منذ متى تعرفين كيفية ركوب الخيل؟ أوتش سحقا لك يا قوتي.

أشاحت ستيلا بنظرها عن تيا وأصبح ظهرها مقابلًا وادعت الإنشغال بترتيب الطاولة وقالت:

ـ لست بذلك المستوى من المهارة لكن لا بأس بي.

تنهدت تيا بألم وأرجعت رأسها للوراء:

ـ إلهي أذهب هذا الألم عني سأموت من الألم.

التفتت ستيلا ممسكة بيدها كأس فيه سائل يميل لونه للذهبي وقالت:

سأسقيك بعضًا من الأعشاب المنومة.

قالت تيا بقلة حيلة:

ـ سأقبل بأي شيء لن يشعرني بالألم .

سألت ستيلا:

- تيا هل تستطيعين الذهاب لغرفتك؟.

أجابت تيا باستسلام:

- لا أعتقد ذلك.

- إذن ابقي كما انت.

زفرت تيا الهواء بألم وانزعاج:

- سأبقى حتى دون إخبارك لي.

مدت ستيلا كأس الأعشاب المنومة، عدلت تيا من جلستها والتقطت الكأس من ستيلا .

أخذت رشفة منه لتقول بألم:

- سحقًا لك يا جاك أوتش.

- وما شأن جاك بألمك؟.

قالت تيا بتجهم:

- هو السبب بالطبع.

ضحكت ستيلا ضحكة خفيفة وقالت:

- اشربي هذا تيا وكفاك حديثًا عن ألمك حتى يختفي.

توقفت تيا عن الكلام ونظرت لإنعكاسها في كأس مزيج الأعشاب المنومة، ثم نظرت لستيلا المتقرفصة وقالت بتصنع:

- لا أستطيع ساعديني على شربه ستيلا.

ابتسمت ستيلا وأخذت الكأس من يد تيا وقالت:

- مدللة دادلي.

حاولت ستيلا مساعدة تيا بشرب الأعشاب المنومة.

وبعد انتهاء ما كان بداخله تركت ستيلا تيا ترتاح و تنام.

ذهبت ستيلا للمطبخ حتى تغسل الكأس.

أنهت غسله ووقفت تضع يديها على خصرها وقالت:

- أعتقد أنني بحاجة لبعض الهواء النقي.

خرجت ستيلا لشرفة المنزل حتى تحصل على بعض الأكسجين لأنها أحست بنقصه في جسدها. أنزلت رأسها للأسفل وهي تتكئ على حافة الشرفة لتلمح شخصًا أو بالأحرى ذراع شخص ما على مقربة من المنزل، إنه يقف خلف شجرة الصنوبر المقابلة للمنزل.

خافت للحظة ثم تذكرت ما قالته تيا عن الحراس المنتشرين في الأرجاء واطمأن قلبها وعادت لصفوتها، لكن من تخدع؟ نظرها ظل معلقًا على تلك الذراع.

راقبتها وحاولت أن تخمن هوية الفارس الذي يختبئ خلف شجرة الصنوبر، جال في بالها أنه آبيل، بما أنه أقواهم وعلى الأغلب- حسب توقعات ستيلا- هو الموكل لحماية المنزل أكثر من أي فارس، لذا هو يقف بالقرب من المنزل.

دققت ستيلا قليلًا ببنية ذراعه التي تظهر شكل بنيته الجسمية، لاحظت أنه يعتبر هزيلًا بالنسبة لفارس، آبيل معروف ببنيته الضخمة. شكت ستيلا قليلًا بهوية الشخص الذي يقف خلف الشجرة.

قررت الخروج لترى من هو هذا الشخص، استخدمت ستيلا قوتها قبل النزول استعدادًا لأي خطر قد تواجهه.

لمحت السيف الذي كانت تمسكه تيا اليوم والتقطته مكملةً طريقها لباب المنزل.

فتحت الباب بحذر شديد وبالطبع انتبه ذلك الشخص على ستيلا، وهل تظنون أنه تحرك؟ ابدًا، لم يتزحزح من مكانه وكأنه كان ينتظرها، ربما يريدها كفريسة جديدة؟.

أغلقت ستيلا الباب وراءها بإحكام ثم صرخت بالذي يختبئ خلف الشجرة موجهة السيف اتجاهه:

- أنت الذي تتخفى خلف تلك الشجرة التي أقابلها، إذا كنت شجاعًا أخرج وواجهني الآن.

ابتسم ابتسامة جانبية مجيبًا عليها:

- يالشجاعتك آنسة ستيلا، رغم أنني كنت أنتظر فتاة دادلي المدللة لكن من الواضح أن شرفي كان بمقابلة خادمتها.

ارتشعت ستيلا وتمنت أن ما تفكر به خاطئ، ابعدت أفكارها وسألت:

- من أنت؟ أظهر نفسك بسرعة.

تحرك ذلك الشخص متقدمًا مظهرًا هويته لستيلا التي شدت قبضتها مستعدة لضربه بأي لحظة.

نفض بدلته مبعدًا الغبار المزيف عنها ليرفع رأسه لستيلا ويقول معاتبًا:

- أهذا العشم يا ستيلا؟ ترفعين السيف في وجهي؟.

تصنمت ستيلا مكانها من الدهشة ووقع السيف من يدها، استجمعت قواها وقالت:

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟ كيف عرفت مكاني حتى؟ علت نبرة ستيلا في آخر حديثها.

ابتسم ابتسامة ماكرة ليقترب بضع خطوات وهو يرتب هندامه، توقف في نقطة قريبةٍ نوعًا ما من ستيلا قائلًا قاصدًا استفزازها:

- ألا يحق لي زيارة زوجتي؟.

أحكمت ستيلا قبضتها على السيف متأكدة أنه لن ينزلق من يدها هذه المرة وقالت بغضب:

- كنت، لست زوجتك الآن.

ضحك بصوت عالي رافعًا رأسه للأعلى، انتهت ضحكته وتقدم أكثر من ستيلا حتى بقي بينهم بضع خطوات. نظر في عيني ستيلا وقال:

- هربتِ مني إلى قصر ذلك الذي يدعى ڤيكتور دادلي، لم أوقع أوراق الطلاق حتى، لذا فأنت زوجتي وانا زوجك.

فتحت ستيلا فاهها مشدوهة من ما سمعته كما اتسعت عيناها.

قالت باندهاش:

- ما الذي فعلته يا ماغنوس؟! ليس من حقك ألا توقع الأوراق، هذه جريمة !.

رد عليها بتعجرف:

- إذا كنت أنا القانون فلا يهمني كسره.

تقدم ماغنوس حتى أصبح وجهه مقابلًا لوجه ستيلا ويفصل بينهما بضع إنشات.

ارتجفت ستيلا خوفًا من ذلك الماغنوس لكنها استجمعت قوتها وقالت بتهديد:

- إياك والتقدم أكثر، مستعدة لقتلك الآن حتى لو كلفني هذا أن أصبح مجرمة مطاردة من قبل القصر الإمبراطوري.

رجع للوراء قليلًا واضعًا يداه بجيبه:

- كنت تعيشين بسلام في قصر مع حديقة جميلةٍ كبيرة، وفتاة صغيرة تدخل الفرح إلى قلبك... لما اخترت أن تصبحي خادمة وهذه حياتك؟؟ .

ردت ستيلا مصطنعة البرود:

- هذه حياتي من منظورك، أما منظوري فهي مختلفة جدًا .

رفع كتفيه وقال:

- لم أفعل شيئًا يؤذيك يومًا.

قهقهت ستيلا قهقهة قصيرة لتقول:

- أنت مختل، لست إنسانًا طبيعيًا.

أيدها ماغنوس قائلًا:

- نعم مختل، وأنت السبب في هذا.

رصت ستيلا على أسنانها تحاول منع نفسها من ضربه:

- ماغنوس إرحل من هنا، لا أريد رؤيتك حتى.

تغيرت نبرة ماغنوس لنبرة يملؤها الشوق:

- ستيلا تعبت حتى وجدتك وأنا مشتاق لك كما تفعل بيانكا هذا.

قالت ستيلا بسخرية:

- بيانكا؟ أجزم أنها لا تتذكر اسمي حتى.

قال ماغنوس بمكر:

- هذا صحيح، لكن تتذكر أن لديها أم، وهي تكرهك بشدة.

تجمعت الدموع بعيني ستيلا لكنها كبحتها:

- لما تقول لي هذا؟ هل تقصد بحركاتك هذه جعلي ضعيفة؟ أتريد من الندم أن ينهشني أكثر؟ أتستمتع بإيذائي دائمًا؟.

تقدم ماغنوس مرة أخرى لكن هذه المرة أصبح وجهه شبه ملتصق بوجه ستيلا:

- أريد منك ترك فتاة دادلي تلك والمجيء معي وأن ترجع حياتنا القديمة.

قالت ستيلا بنبرة استفزازية:

- أفضل حياتي هذه أكثر من السابقة.

أرجع ماغنوس شعره للوراء منزعجًا من ستيلا وقال مغيرًا مجرى الحديث:

- بحقك ستيلا هل سأخاف من السيف الذي تحملينه؟.

صوبت ستيلا السيف عليه وقالت:

- جرب لمسي فقط وسترى ما تفعله ستيلا.

وضع ماغنوس كف يده البارد على خد ستيلا الدافئ وقال مهددًا:

- عزيزتي تعرفين ماغنوس، عندما يريد شيئًا لن يتحرك حتى يحصل عليه.

ارتخت ملامح ستيلا وارتخت قبضتها على السيف بسبب صوت ماغنوس، ابتسم عندما رأى تأثيره عليها واستغل الفرصة وأمسك معصمها. كاد أن يسحبها ولكن ظهر شخص ومنعه من هذا.

عادت ستيلا لوعيها عندما أحست بشيء قد فصل بينها وبين ماغنوس لتتصدم بلواف الذي أصبحت خلفه تحتمي به من ماغنوس.

تجهم وجه ماغنوس وقال:

- من أنت؟ لا يحق لك التدخل بيني وبين زوجتي.

رد لواف بثبات كحاكم يدافع عن شعبه:

- بل يحق لي، أليست مهمتي حماية شعب ستوك؟ .

غضب ماغنوس بشدة وصرخ في وجه لواف:

- من أنت بحق خالق الجحيم؟؟.

أجابه لواف عن سؤاله وما زالت نبرته ثابتة لم تتغير البتة:

- أنا لواف، أمير منطقة ستوك.

قال ماغنوس مستنكرًا هوية لواف:

- هل تعتقد أنني سأصدق أن أمير ستوك سيأتي إلى هنا؟

رد لواف عليه باستسلام واضعًا يدًا في مؤخرة رأسه والأخرى في جيبه:

- براحتك لن أضغط عليك لكن ستصدق عندما تصبح خلف القضبان.

تلون وجه ماغنوس بالأحمر لأنه أستفز من قبل لواف وقال غاضبًا:

- ما الذي تقصد...

بَتر ماغنوس كلامه عندما أمسك به فارسان يقيدان يداه.

أمر لواف الفارسان :

- خذوه إلى زنزانة القصر.

- أمرك سيدي.

ابتعد الفارسان يجران ماغنوس وهو يحاول التملص منهما.

صرخ بأعلى صوته موجهًا كلامه لستيلا:

- لن يوقفني شيء، سأهرب وأعود، انتظري فقط.

ظلت عينا ستيلا معلقة عليه إلى أن اختفى عن ناظريها ولكن ما زالت شتائمه مسموعة وجمل الوعيد الغير مفهومة كلها تتردد بذهن ستيلا.

التفت لواف سائلًا ستيلا بقلق:

- هل أنت بخير؟.

ابتسمت ستيلا وأجابت على سؤاله:

- نعم أنا بخير، شكرًا لك لواف لو أنك لم تأتِ في الوقت المناسب لكنت الآن أسيرة عنده.

سأل لواف بفضول:

- بالمناسبة ستيلا من هذا الشخص؟ سمعته يقول أنك زوجته لكن تيا لم تخبرني يومًا أنك متزوجة.

أنزلت ستيلا رأسها بحزن وردت على سؤال لواف:

- ما سمعته صحيح لكنني بالفعل أرسلت وثيقة طلاق لكن هو لم يوقع عليها لهذا ما زلت أعتبر زوجته.

قال لواف متعجبًا:

- ألم يخرق القانون هكذا؟!.

قالت ستيلا بخيبة أمل:

- قلت له هذا، لكنه القانون نفسه فهل سيفكر أنه كسر شيئًا؟ لو أراد تغيير أي قانون ليس من الصعب عليه إقناع الإمبراطور.

سأل لواف بشيء من شك:

- ما الذي تقصدينه بالقانون نفسه.؟

تنهدت ستيلا قبل أن تجيبه:

- زوجي هو ماغنوس برايل.

فتح لواف فمه من صدمته، لم يصدق الأمر وأراد أن يتأكد أن ما سمعه صحيح:

- لحظة ماذا؟!!!!

أجابت ستيلا:

- كما سمعت.

قال لواف عندما تذكر ما فعله مع ماغنوس:

- هل يعني أنني قبضت على كاتب قوانين أكستاڤو؟.

- نعم فعلت ذلك.

أرجع لواف شعره للوراء معلنًا توتره ليقول:

- آه كيف لي مواجهة الإمبراطور الآن؟.

هدأته ستيلا ناطقَةً:

- أستطيع مساعدتك في إنشاء سبب اعتقال.

تساءل لواف عن خطة ستيلا:

- كيف ستساعدين؟

- لندخل للمنزل ونكمل حديثنا.

اقترح لواف:

- ما رأيك بالحديقة؟ الجو جميل الليلة.

قالت ستيلا بهدوء:

- لا مانع.

ذهبا ستيلا ولواف إلى الحديقة الخلفية للمنزل وجلسا على الطاولة التي تتوسط الحديقة.

جلست ستيلا واضعةً رجلًا على رجل مرجعة ظهرها للوراء وبدأت الحديث قائلةً:

- إذن كما قلت سأساعدك بصنع سبب.

سأل لواف:

- وما هو هذا السبب؟.

عدلت ستيلا من جلستها ساردة خطتها على لواف:

- أعرف كل أعمال ماغنوس المخالفة للقوانين وكما تعرف كاتب القوانين إذا خرقها فستترتب عليه عقوبة، وقد تصل للإعدام.

مال لواف للأمام قليلًا واضعًا يده على الطاولة محركًا أصابعه بخفة سائلًا:

- كيف سنثبت صحة كلامك؟.

قالت ستيلا ببساطة:

- كل أعماله كانت بي، إذا جلبتُ الطبيب الذي يعرف كل شيء أو حتى أي طبيب آخر وقد وافق كلامي فحصه سيكون هذا كافيًا لإسقاطه.

تملك الفضول لواف حتى يعرف قصة ستيلا وكيف تستطيع وضعه خلف القضبان.

عم الصمت قليلًا ليكسره لواف بسؤاله:

- ستيلا ما الذي فعله بك؟

أرخت ستيلا جسدها متنهدةً، ترددت قبل أن تخبر لواف لكنها فرقت شفتيها أخيرًا وبدأت سرد القصة للواف:

- حقنني بمحلول ستيلبوس حتى يجعلني خاضعة له لأنني أجبرت على زواجه وكنت دائمًا ما أحاول الهرب من القصر، قبلت عائلتي به ظنًا أنني سأحصل على حياة سعيدة مع نبيل مثله. وبعد محاولاته الفاشلة في جعلي أحبه، قرر حقن الستيلبوس بجسدي، وقد ترك علامات دائمة بكل أنحاء جسدي.

أنزلت ستيلا رأسها وأكملت بأسى:

- والأهم من هذا...فقدت قدرتي.

رفعت رأسها مبتسمة بعد رؤية نظرة لواف المليئة بالشفقة:

- لكن لا بأس لأن الكونت ڤيكتور ساعدني لارجاعها، بذل جهدًا كبيرًا حتى استعدت القليل منها، بالتأكيد هي ليست بقوتي الحقيقية لكن تلبي المصائب.

كان لواف يستمع لكل كلمة قالتها ستيلا ويحاول استيعاب أنه ما سمعه صحيح وليس قصة خيالية.

وضع لواف كلتا يديه على الطاولة وقال بانفعال:

- ستيلا هل تستوعبين كل ما قلته؟ مجرد أنه أعطاك الستيلبوس هو قد ارتكب جريمة لا تغفر.

توقف لواف عن الكلام وكأنه نسي شيئًا.

أردف لواف بتشكك من قصة ستيلا حين تذكر ثغرة نسيتها ستيلا:

- كيف استطعت الهروب إذا كان الستيلبوس يجعلك متعلقة به؟.

لم تتأثر ستيلا بهجوم لواف عليها وفهمت أنه يشك بروايتها، جاوبت عليه بكل هدوء:

- عندما لاحظت العلامات التي تظهر على جسدي طلبت منه إحضار طبيب حتى أعرف علتي، وعندما أخبره الطبيب أن الستيلبوس هو السبب توقف عن حقني به، بدأت شيئًا فشيئًا أسترجع وعي.

شد لواف قبضته بغضب وقال:

- ستيلا الآن نمت لي رغبة بقتل ذلك اللعين.

نظرت ستيلا للفراغ وقالت:

- إذا كان سيموت قتلًا، فأفضل أن أكون القاتل.

خيم الصمت على المكان، لا يسمع في الحديقة سوى صوت ارتطام كؤوس الشاي بالأطباق.

تحمحم لواف واضعًا كأسه على الطبق وعدل من جلسته ليقول:

- ستيلا هل لي بسؤال؟

أفاقت ستيلا من شرودها واعتدلت هي الأخرى بجلستها ونظرت إليه:

- بالطبع تفضل.

احمرت وجنتا لواف ليقول بخجل:

- ما الأشياء التي تحب الفتاة أن تقدم لها كهدية؟

نظرت له ستيلا باستغراب وقالت:

- يوم مولد تيا ما يزال بعيدًا.

رد عليها لواف:

- أعلم هذا، ثم إن الهدية ليست لتيا.

قالت ستيلا قاصدة إحراجه:

- اهاا عرفت إنها لسيا.

زادت حمرة خدود لواف وقال بتقطع:

- ن..نعم .

هربت من فم ستيلا ضحكة خفيفة.

أشاح لواف بصره محرجًا.

قالت ستيلا بحيرة:

- هممم... أعتقد أن المجوهرات والملابس هي ما تفضله الفتيات هذه الأيام.

تنهد لواف يائسًا وقال:

- جربت بالفعل تقديم هذه الأشياء لها، لكنني لم ألقَ منها فرحة حقيقية.

دائمًا ما كانت تصنع تلك الابتسامة الكاذبة ظنًا منها أنني لن ألحظ تزييفها الدائم.

شعرت ستيلا ببعض الحزن، هذه أول مرة لها ترى لواف ضعيفًا مكسورًا.

فكرت قليلًا وسألت لواف:

- أي نوع من الفتيات هي؟

صمت لواف لبرهة يفكر بسؤال ستيلا ليقول:

- حسنًا لنرى، إنها تلك الفتاة الحساسة البسيطة، رقيقة وجميلة، آه سحقًا لا أستطيع وصفها بالكلمات.

اصطنعت ستيلا الدهشة :

- يا إلهي متى كبرت لواف؟ أنت فعلًا واقع لها.

أدار لواف وجهه للجهة الأخرى ووصلت الحمرة إلى أذنيه وقال بإحراج:

- وكيف لي تعيينها كخادمة دم لي من العدم؟.

قهقهت ستيلا لتقف تاركةً الكرسي والطاولة، ذهبت تتمشى بين تلك الأشجار والزهور.

تزامنًا لمشيها بين النباتات في الحديقة بدأت تتكلم محدثةً لواف:

- جرب أن تصنع لها شيئًا بكلتا يديك، حتى لو كانت باقة زهور لكن قم بها من الصفر ولا تدع أي أحد يساعدك إلا إذا أصبحت الحالة مستعصية.

نظر لها لواف وهي تتنقل بين أزهار الحديقة وتمعن النظر فيها.

سألها بحماس:

- ما الذي يمكنني فعله ما عدا باقة الأزهار؟.

توقفت ستيلا عند مجموعة من التوليب الأبيض وتقرفصت أمامه مميلة رأسها واضعةً إياه على يديها واقترحت:

- ما رأيك أن تصنع لها كعكة وطوقًا للشعر من ورودها المفضلة؟.

شقت الابتسامة وجه لواف وقال فرحًا:

- فكرة رائعة! أحببتها.

أغمضت ستيلا عيناها مستمتعة برائحة التوليب الأخاذة وردت على لواف:

- حللنا المشكلة.

قال لواف معارضًا:

- لا ليس بعد.

كشرت ستيلا ملامحها مغمضة العينين منزعجة:

- ماذا هناك أيضًا؟.

قال لواف بعفوية:

- كيف سأقدمها لها؟.

نهضت ستيلا بانزعاج بعدما تعكر صفوها:

- لواف بحقك ليس لهذه الدرجة.

رد عليها بتذمر:

- ستيلا لم أهديها شيئًا بنفسي دائمًا ما أعطيها للخادمة وتخبرها أنه مني.

تنهدت ستيلا واضعة يدها على جبهتها والأخرى على خصرها:

- لواف كيف لك أن تحب شخصًا ولا تهتم به؟.

برر لواف موقفه قائلًا:

- أنا لا أجد وقتًا حتى أهتم بنفسي كيف لي أن أجد وقتًا للآخرين؟

غضبت ستيلا من تبرير لواف وعاتبته قائلة:

- لكنها ليست كالآخرين، إنها الشخص الذي دق له قلبك! يجب أن تكون شخصًا مميزًا بالنسبة لك، حتى لو كنت لا تجد وقتًا لنفسك عليك أن تخلق وقتًا لها، أتعرف الشيء الذي أضاع حب الكونت ڤيكتور والكونتيسة لينا؟ إنشغال الكونت بالأعمال وإهماله للينا الذي زاد عن حده، توترت العلاقة بينهما، والباقي أنت تعرفه تمامًا.

على كلٍ، الأمر ليس معقدًا فقط عليك غناء أغنية يوم الميلاد وتقديم الهدية لها.

لم يعلق لواف على كلام ستيلا لأن كل ما قالته صحيح ولا يحق له الاعتراض على كلمة واحدة. اكتفى فقط بالرد على اقتراح ستيلا:

- هل كان الأمر بهذه السهولة؟!

قالت ستيلا :

- أكنت تعتقد أنك ستلف العوالم السبع حتى تقدم لها هدية؟

عاد لواف واضعًا رجلًا فوق الأخرى وقال راسمًا ابتسامة خفيفة على وجهه:

- ليس لتلك الدرجة، فقط شعرت أن ما كنت خائفًا من تنفيذه اتضح أنه أسهل مما توقعت.

جلست ستيلا على الكرسي مرة أخرى تجول نظرها حول الحديقة كما يفعل لواف .

تمركز نظرها بعد فترة وجيزة على لواف ونادته:

- لواف.

نظرها لها بسرعة و رد:

- نعم.

ترددت ستيلا قليلًا لكن وأخيرًا أخرجت ما في جوفها:

- يبدو أن قوة تيا خطيرة عليها.

استغرب لواف من كلام ستيلا وقال:

- لما تقولين هذا؟.

تنهدت ستيلا مرخية ظهرها ضامة يديها إلى حضنها تسرد ما فعلته اليوم:

- حاولت اليوم تعليمها كيف تستخدم قواها، وعندما حاولتُ استخدام قوتي السحر ومصاصي الدماء لم يتحمل جسدها المانا التي استخدمتها إضافة إلى قوة مصاصي الدماء، من الواضح أنها تمتلك الكثير من المانا والتحكم بخروجها صعب جدًا إذا كان بجسدها قوة أخرى.

تنهد لواف وقال:

- هذه مشكلة بالفعل، لكن أعتقد لأنها المرة الأولى ثم ستستقر المانا بجسدها.

حركا ستيلا رأسها لليسار قليلًا وقالت:

- أنا أيضًا أعتقد هذا، لكن ماذا لو كان اعتقادنا خاطئًا؟ .

وضع لواف يديه على الطاولة واتكأ برأسه عليهما:

- أتمنى أن يكون اعتقادنا صحيحًا.

وقف لواف مبتعدًا عن الكرسي وقال:

- لقد تأخر الوقت بالفعل وعلي العودة الآن، وأنت أيضًا ادخلي للمنزل وارتاحي قليلًا.

أوصلي سلامي لتيا، ليلة سعيدة.

ابتعد لواف عن ستيلا التي ظلت تراقبه إلى أن اختفى عن ناظريها.

صاحت بصوت عالي:

- ليلة سعيدة لك أيضًا.

عاد لواف إلى قصره وصعدت ستيلا لغرفتها وخلدت للنوم تريح أعصابها بعد ما حدث معها اليوم.

استيقظت تيا قرابة الساعة التاسعة صباحًا بعيون متثاقلة، تريد فقط الوصول إلى غرفتها تمدد جسدها على السرير المريح عوضًا عن الأريكة القاسية.

وبينما هي تمشي لغرفتها صادفت ستيلا بالطريق وطلبت منها بعض المساعدة حتى تصل إلى غرفتها، ساعدت ستيلا تيا ومددتها على سريرها وتمنت لها أحلامًا سعيدة ثم انصرفت من غرفة تيا.

حضرت ستيلا كوبًا من القهوة والتقطت أحد الكتب التي أحضرها لواف لتتعرف على حالة تيا أكثر وأكثر.

ساعة... ساعتين... أربع ساعات متواصلة قرأت فيها ستيلا الكتاب الذي بيدها وقد أقسمت أن عمودها الفقري تصلب في مكانه ولا قدرة لها على الحركة.

تسألون عن تيا صحيح؟ الأعشاب التي شربتها قد تجعل الشخص ينام ليومين متواصلين، مفعولها قوي جدًا لذلك هي ما زالت نائمة.

أحست ستيلا بالجوع قليلًا وقررت الذهاب للمطبخ وصنع شيء خفيف تسكت به زقزقة عصافير بطنها.

أعدت ستيلا ما ابتغته وتناولت طعامها بصمت تحاول فك تضارب الأفكار في عقلها.

"كيف وصل الحال بي إلى هنا؟ أليس من الأفضل لي لو بقيت عند ماغنوس، أم أن قراري صائب لا خطأ فيه؟ .

لو تم سجن ماغنوس، من سيعتني بابنتي؟ .

هل ستقبل لو عرضت عليها المجيء معي؟

وتيا... هل سأتركها وحدها في بداية الطريق؟

لو قمت بإنهاء حياتي منذ كنت عند ماغنوس ألن يكون ذلك أفضل للجميع؟ "

أبعدت كل تلك الأفكار عنها وحاولت إلهاء نفسها بأي شيء حتى تستيقظ تيا.

بعد مدة قدرتها ستيلا بأنها حوالي الساعتين استيقظت تيا وبدأت البحث عن ستيلا تستعلم عن مدة غيبوبتها- كما وصفتها- وكانت تقريبًا تساوي يومًا كامل وقد يقل قليلًا عنه.

قالت تيا بتذمر:

- ستيلا لما تركتني نائمة طيلة هذه المدة؟

ردت ستيلا بابتسامة دافئة بينما ترتب المنزل:

- تيا إنه لمن المستحيل أن يوقظك إنس بعد شربك للمنوم الذي أعطيتك إياه.

عاتبت تيا ستيلا:

- لما أعطيتني إياه إن كان يسبب ذلك؟

التفتت ستيلا ونظرت لعيني تيا من مسافة ليست بقريبة وقالت:

- أتشعرين بأي ألم بعد استيقاظك؟

أجابت تيا بغباء:

- لـ....لا، أهاا فهمت الآن.

تنهدت ستيلا وقالت ساخرة:

- حمدًا للإله، أول مرة تفهمين بسرعة.

عقدت تيا حاجبيها وقالت بشيء من الغضب:

- هيي ستيلا.

قهقهت ستيلا وقالت وهي ترتب على كتف تيا:

- أعتذر تيا، انتظري هنا سأحضر الطعام لك بالتأكيد أنت جائعة.

أحست تيا بهالة حزن أو يأس تحيط بستيلا وتساءلت :

- ستيلا هل حدث شيء لك أثناء نومي؟

توقفت ستيلا بعد سؤال تيا لتلتفت لتيا وهي تضع على ثغرها ابتسامة مزيفة مجيبة:

- لا شيء تيا، أنا فقط قلقة مما تقدمين على فعله.

أنهت جملتها وأكملت سيرها نحو المطبخ.

ضيقت تيا عيناها متمركزة على ستيلا التي بدأ جسدها يختفي تدريجيًا وقالت:

- أشك أنها صادقة.

أكستافو| حديقة قصر الكونت ڤيكتور

إمرأتان تقفان في حديقة ڤيكتور تحديدًا تحت نافذة غرفته مرتديتان عباءة سوداء تخفي هويتهما، واحدة منهما تتميز بشعر ذهبي متموح والأخرى حصلت على شعر أسود لا تستطيع تمييزه في ظلمة الليل.

نطقت ذات الشعر الذهبي سائلة:

- شيراز ما أخبار الكونت؟

أجابت شيراز ذات الشعر الأسود على سؤال سيدتها:

- لم يتخطَّ مرحلة الخطر بشكل كامل، لكن وضعه يتحسن يومًا بعد يوم سيدتي.

زفرت الشقراء الهواء من رئتيها وقالت بنبرة يتخللها بعض الحزن:

- أيمكنني الدخول لغرفته؟

طأطأت شيراز رأسها لحزنها على سيدتها وردت:

- أشك في ذلك سيدتي لأن غرفته محاطة بالحراس.

تندهت بسبب الإحباط الذي استولى عليها بعد إجابة شيراز وقالت:

- لا أريد لأحد رؤيتي، كيف لي أن أدخل؟

سكتت شيراز لوهلة ثم نطقت وكأنها تذكرت شيئًا:

- سيدتي يوجد دائرة سحرية في الغرفة إن لم يخب ظني.

تقدمت ذات الشعر الأشقر وأصبحت شيراز خلفها وفرت دمعة من مقلتها مستسلمة:

- أتمنى أن أتمكن من الدخول إلى غرفته من خلال هذه الدائرة.

نطقت شيراز ترفع من معنويات سيدتها:

- تستطيعين سيدتي.

ذهبت تلك الشقراء إلى حديقة القصر ووقفت تحت غرفة ڤيكتور بشكل أكثر دقة وحاولت أن تتواصل قواها مع تلك الدائرة السحرية، واستطاعت بعد مدة من فتح البوابة التي تعبر منها للغرفة.

دخلت من خلالها وغدت الآن واقفة أمام جثة ڤيكتور.

اقتربت منه وأبعدت غطاء العباءة عن رأسها ثم أمسكت بيد ڤيدكتور وتمتمت ببعض الكلمات غير المفهومة.

انتظرت قليلًا وهي تنظر إلى وجه ڤيكتور وأعادت تلك الكلمات مرة أخرى لكن لا جدوى.

قررت التخلي عن هذه الكلمات واستعمال طريقة أخرى، أمسكت كف ڤيكتور ووضعته بين خاصيتها، أحكمت الإمساك لتغمض عينيها.

لوهلة ظنت أنها فشلت أيضًا، لم تلبث حتى أبصرت شعاعًا أزرق يخرج من بين يديها هي وڤيكتور، وبقي الشعاع لمدة ليست بالقصيرة.

في هذه الأثناء فتح ڤيكتور عيناه ليشعر بشيء يمده بطاقة وبنفس الوقت يشعر بثقل يحط على يده، نظر إلى يمينه وأبعد تلك الأيادي تزامنًا من صراخه:

- لينا ما الذي تحاولين فعله؟!!!

سقطت في حضن ڤيكتور و أطلقت العنان لنحيبها المكبوت .

بادلها ڤيكتور العناق مشددًا عليه أكثر.

قالت وهي تذرف الدموع كالشلال:

- ڤيكتور لا يمكنني رؤيتك وأنت تموت وأبقى ساكنة.

رفع ڤيكتور رأسها ماسحًا دموعها وقال معاتبًا:

- لينا بحق خالق الجحيم ما الذي فعلته حتى أصبحت بشرتك بهذا الشحوب؟

ابتسمت لينا على نبرة صوته المعاتبة التي اشتاقت لها بشدة:

- لا تقلق ڤيكتور ستعود لطبيعتها، هذا بسبب أنني استعملت قوة تفوق قدرة تحملي.

كشر ڤيكتور ملامح وجهه ، قرص خد لينا بخفة قائلًا:

- لينا لا تفعلي هذا أرجوك، بعد ابتعاد تيا لم يبقَ لي سواك.

وكأنه أصاب بكلماته هذه بسهم اخترق قلب لينا. حاولت التماسك والحفاظ على ابتسامتها رغم تجمع الدموع بمقلتيها:

- ڤيكتور حتى أنا لست بقربك دائمًا ولقاءاتي بك ليس لها موعد محدد وكلها متفاوتة بأوقاتها.

تنهد ڤيكتور مرجعًا رأسه على الوسادة مغمضًا عينه واضعًا يده على جبهته، قال بنبرة خانقة:

- تيا لا تطيق رؤيتي لكن على الأقل أنت تفعلين.

ربتت لينا على كتفه، للحظة تخيلت كيف ستكون ردة فعل تيا عندما تعرف أنها لم تمت يومًا بل تخلت عنها.

أردفت لينا مهدئة ڤيكتور بعد صمت:

- ڤيكتور إنه مجرد وهم يصنعه عقلك، تيا تحبك جدًا لكن هي لا تريد الإعتراف بهذا.

أدار وجهه مصوبًا عليها عيناه الدامعتان وسألها:

- لما هربت إن كانت تحبني؟

تنهدت لينا مصارحة ڤيكتور:

- ڤيكتور كنت قاس عليها وهذا ما جعلها تنفر منك. على كل حال ما ألقيته عليك هو مؤقت ليس إلا، سيعود الألم لك لكن أخف بقليل عمَّ كان سابقًا.

اعتدل ڤيكتور بجلسته وفتح ذراعيه عندما أحس أن لينا على وشك الذهاب.

فهمت لينا ما يريده وعادت جالسة على السرير حاشرة نفسها بين يديه.

شدت لينا على العناق وبدأت تذرف دموعها بشدة على رقبة ڤيكتور.

حاول هو الآخر التماسك والتحكم بعواطفه واكتفى بالتربيت على ظهر لينا بخفة.

ابتعدت لينا ماسحة دموعها واستقامت معطية ظهرها لڤيكتور واضعة قبعة العباءة على رأسها.

نظر ڤيكتور لظهرها بألم فقال:

- لينا كوني بخير.

التفتت له مبتسمة وقالت:

- أنت أيضًا ڤيكتور، وداعاً. ألقت لينا وداعها وخرجت من خلال دائرة السحر.

عاد ڤيكتور مستلقياً على السرير ينظر للسقف بابتسامة بلهاء قائلًا:

- ليست وداعًا بل إلى لقاء آخر يا جنية أكستافو.

عادت ستيلا وهي تحمل بين يديها صينية فيها بضع أطباق ملئت بالطعام وتمركزت الصينية قبالة تيا الشاردة.

جلست ستيلا بجانب تيا ثم قالت وهي تعدل من فستانها:

- ما بها مدللة دادلي؟ بماذا هي شاردة؟

- بك.

ردت ستيلا بتعجب:

- بي!!

ردت تيا:

- نعم، تصرفاتك غريبة حتى ابتسامتك ليست صادقة، أنت تخفين شيئاً ما خلفها.

قالت ستيلا محاولة إخفاء توترها:

- ما الذي قد يحدث تيا؟ نحن نعيش معاً.

سألت تيا:

- هل أتى لواف وقال شيئاً لك؟

نفت ستيلا قائلة:

- لا أبداً لواف لا شأن له.

تساءلت تيا:

- إذن من السبب؟

تنهدت ستيلا تنهيدة تنم عن ألمٍ كبح لفترة وقالت:

- ماغنوس هو من أتى.

قالت تيا بصدمة:

- ماذا لحظة... هل قلت ماغنوس؟؟!!!

أجابت ستيلا:

- نعم ماغنوس.

- كيف عرف أننا هنا؟

قالت ستيلا بقلة حيلة:

- لا أدري أنا حقاً لا علم لي كيف يستطيع هذا الرجل إيجادي في كل مرة أهرب منه.

قالت تيا بغيظ وغضب محكمة قبضتها:

- كاتب القوانين اللعين لن تفلت من غضب تيا.

طمأنتها ستيلا قائلة:

- لا تقلقي تدخل لواف باللحظة المناسبة.

وقفت تيا وجعلت تمشي في أرجاء الغرفة تفكر ثم قالت:

- لماذا فرسان أبي لم يتدخلوا؟

افترضت ستيلا:

- ربما كانوا سيتدخلون لكن عند رؤية لواف تراجعوا.

عادت تيا تجلس على الأريكة وقالت:

- هذا ممكن.

قالت ستيلا بعد صمت طويل:

- لما قبلت به من البداية وكنت أعرف كل سيئاته؟ يالي من غبية.

ما فائدتي في هذه الحياة؟ أنا مجرد عاهة في المجتمع كل ما أفعله هو جلب المشاكل يجب علي المـ...

صرخت تيا بستيلا:

- توقفي ستيلا توقفي، كيف تقولين هذا عن نفسك؟ أنسيت كل ما تحملته معي؟ اعتنائك بي، مؤانستي عند وحدتي، وأكثر من هذا بكثير، وتقولين أنك تتسببين بالمشاكل؟ إذن أنا ماذا سأقول؟؟

- تيا اهدئي.

قالت تيا بنبرة أعلى من سابقتها:

ـ كيف لي أن أهدأ وأغلى شخص في حياتي يتمنى الموت أمامي ويريد تركي وحيدة في هذا العالم المظلم؟؟؟

تصنمت ستيلا عندما بدأت تيا بالبكاء، ظنت أنها غاضبة لا أكثر ولا أقل، لم تتوقع أن تيا قد تتأثر لهذه الدرجة.

تقدمت ستيلا وعانقت تيا تخفف من بكائها لتنطق تيا بشيء صعق ستيلا عندما سمعته:

ـ ستيلا أرجوك لا تقولي هذا، كل من أحبهم تمنوا هذا وتحقق لا أستطيع تحمل خسارتك كما خسرت أمي وقد أخسر أبي، لا تكوني قاسية مثلهما، تمنيا الموت ونسوا التفكير بمشاعري عند سماعي هذه الكلمات ورؤيتها تتحقق.

قالت ستيلا بنبرة صادقة:

ـ لن أتركك تيا، أعدك بهذا.

ربتت ستيلا على ظهر تيا حتى هدأت قليلاً وابتعدت عنها ماسحةً دموعها لتبتسم تيا وتجلس تتناول ما أعدته ستيلا.

مر يومين استجمعت فيهما تيا شجاعتها وحزمت امتعتها هي وستيلا.

خرجتا من المنزل قاصدتان قصر لواف.

ركبت ستيلا وخلفها تيا على ظهر الحصان وانطلق الحصان مستمعاً لتوجيهات ستيلا.

وصلتا بعد ساعتين لقصر لواف استقبلها بابتسامة عريضة لترتمي تيا في حضنه تجهش باكية وهو يمسد على ظهرها محاولاً اعطاء بعض الأمان لها.

ويبدو أنه نجح في ذلك.

دخلوا ثلاثتهم القصر بصمت تام وتوجهوا إلى غرفة المعيشة الأساسية.

دخل الخدم تزامناً مع جلوسهم وقدموا الشاي وأصنافاً مختلفة من المرطبات.

كسرت تيا الصمت بسؤالها:

ـ إذن متى سنتحرك؟

وضع لواف شايه على الطاولة وأجابها:

ـ لم تصل لوسييل بعد.

تنهدت تيا وسألت بشيء من الغضب:

ـ ومتى ستصل؟

ـ من المفترض أنها على وشك الوصول.

صمتت تيا ثم وجهت سؤالاً آخر:

ـ أين سيا؟

أجابها لواف ملتقطاً قطعة من المرطبات أمامه:

ـ في غرفتها.

ـ لما لا تجلس معنا؟ تساءلت تيا.

قال لواف ببساطة:

ـ لم أخبرها أن تقوم بفعل هذا.

ـ نادِها حتى تجلس معنا.

سأل لواف تيا مقتضب الحاجبين:

ـ ما الذي تريدينه منها؟

أجابت تيا مرجعة ظهرها للوراء تنظر للنافذة:

ـ فقد فكرت أنها لا ترى الكثير من الناس فمن الطبيعي أنها تود الحديث مع أحدهم.

أشعل لواف غليونه وسحب القليل منه فقال:

ـ لا تقلقي عليها، الآن وقت دروسها لذلك لا تستطيع الجلوس معنا.

قالت ستيلا مستغربة:

ـ ألم تتخرج بالفعل؟

وجه لواف نظره لها وقال:

ـ ليس بعد، توقفت عندما أفلس والدها وأكملت تعليمها عندي.

قالت تيا:

ـ أتمنى لها النجاح.

نادت ستيلا:

ـ لواف.

التفت المعني لها وقال:

ـ أمرك ستيلا.

سألت ستيلا ببعض التردد:

ـ ما الذي فعلته...لماغنوس؟

ابتسم لواف وقال:

ـ صباح الأمس جاءني رسول من الإمبراطور يحمل طلب الإمبراطور بتسريح ماغنوس.

انقبض قلب ستيلا لتسأله:

ـ وما الذي فعلته أنت؟

مال لواف مقتربا من ستيلا أكثر وقال:

ـ أعطيت الرسول ظرفاً يحوي ما أخبرتني به وجاءني رد هذا الصباح طالباً مني إبقاء كاتب القوانين محجوزاً لأجل غير مسمى.

تنهدت ستيلا بارتياح قائلة:

ـ الحمد للرب كنت قلقة أن يكون الإمبراطور طلب إطلاقه وقد عاد حرًا، شكراً لك لواف.

تذمر لواف وقال:

ـ هل أنا بهذا الغباء حتى أدعه يقوم بهذا، علي المحاولة لا الاستسلام من أول كلمة.

ـ شكراً لواف.

طق طق

اعتدل لواف بجلسته مجيباً:

ـ تفضل.

دخل الخادم منحنياً مخبرًا لواف:

ـ سيدي مدام لوسييل وصلت.

تقدم لواف لمكان الخادم وقال:

ـ حسناً لحظات ونكون عندها.

اومأ الخادم وانحنى قبل خروجه مغلقاً الباب خلفه.

وقفت تيا وتسحب معها ستيلا لتقف معها قائلة:

ـ هيا بنا، وصلت الباب والتفت إلى لواف وأستطردت آمرة: أنت انتظر هنا.

استفزته نبرتها الآمرة وقال بغضب:

ـ اسكتي يا ذبابة، ستيلا اسحبي هذه الذبابة واتبعاني.

تقدمهما لواف وأجابته ستيلا بضحك:

ـ أمرك سيدي الأمير.

استوعبت تيا ما تم وصفها من قبل لواف وقالت معترضةً:

ـ هيي أنتما الإثنان أنا لست ذبابة!!!

ضحكا لواف وستيلا على ردة فعل تيا المتأخرة لتبادلهم تيا الضحك.

وصل الثلاثي إلى الغرفة التي تنتظر فيها لوسييل. طرقت تيا الباب ثم دخلت ودخل وراءها ستيلا ولواف.

انحت تيا بخفة معتذرة عن تأخرهم.

التفتت لوسييل تحدق بتفاصيل وجه تيا لتنقل نظرها إلى لواف وقالت:

ـ اختياراتك تبهرني في كل مرة سيدي الأمير، ذوقك عالٍ جداً.

تحمحم لواف ناظرًا إلى تيا بطرف عينه محرجاً منها وقال موضحاً:

ـ أحم.. أعرفك هذه تيا ابنة الكونت ڤيكتور وهذه ستيلا خادمتها الشخصية.

شعرت لوسييل ببعض الإحراج لظنها تيا خادمة دمٍ جديدة استبدل بها لواف هيتيسيا.

انحنت بسرعة معتذرةً:

ـ أنا حقاً أعتذر كونتيسة تيا لم أكن أقصد.

تقدمت لها تيا رافعةً ظهرها معيدةً له استقامته وقالت:

ـ لا بأس مدام لوسييل، كلنا قد نسيء الظن يوماً.

ابتسمت لوسييل لتصرف تيا الهادئ فقد كان عكس ما توقعته تمامًا.

ـ إذن كونتيسة ما هو طلبك؟

تذكرت تيا سبب وجود لوسييل هنا وابتسمت مجيبةً:

ـ أوه نعم! أريد منك أن تقصي شعري وتغيري لونه إلى البني الفاتح.

ألقت لوسييل نظرة على شعر تيا ثم أمسكت بخصلة منه وقالت:

ـ لا أقصد التدخل لكن أيتها الكونتيسة شعرك جميل جداً هل ستضحين به حقاً؟

أجابت تيا بثقة:

ـ أنا مقتنعة بهذا يا لوسييل.

تتساءلون كيف عرّف لواف تيا بهويتها الحقيقية صحيح؟

لوسييل تعتبر كفرد من عائلة لواف بقي فقط أنت تسكن معهم، لذا هو لا يتردد بقول أي شي أمامها فهو يعرفها منذ صغره.

نفذت لوسييل ما طلبته تيا وأعطت تيا بعض مستحضرات التجميل التي طلبتها.

شكرتها تيا ثم عادت أدراجها عندما انهت عملها.

لواف من خلف الباب:

ـ هل يمكنني الدخول؟

أجابته تيا قاصدة إغضابه:

ـ ادخل أيها الثعبان.

دخل لواف بحماس لرؤية شكل تيا الجديد لكن...

ـ أوي لما تضعين منشفة على رأسك؟

نظرت له تيا باستغراب وقالت:

ـ لم أغسل شعري بعد، طلبت مني لوسييل الانتظار ساعة حتى يثبت اللون على شعري وأيضاً هذه ليست منشفة.

اختفى حماس لواف وخرج من الغرفة قائلاً:

ـ سأعود بعد ساعتين.

سألته تيا بسرعة:

ـ ألم تنتهِ سيا من دروسها بعد؟

التفت لواف وأجابها:

ـ بلى انتهت.

ترجت تيا:

ـ أرجوك نادها.

أجابها لواف بلكنة نبيلة:

ـ أمرك كونتيسة.

ضحكت تيا على طريقة كلام لواف ليجاوبها بابتسامة خفيفة قبل خروجه.

عاد لواف بعد فترة وجيزة ومعه هيتيسيا. دخلت سيا قبله بابتسامة مشرقة بادلتها تيا الابتسامة مرحبة بها.

ـ مرحباً سيا، كيف حالك؟

أجابت سيا برسمية:

ـ بخير كونتيسة دادلي، كيف حالك سيدتي؟

أعطت تيا لواف نظرة نارية مؤشرة بإصبعها عليه وسألت:

ـ أوي هل أملى ذلك الثعبان عليك هذا الكلام؟

استغربت هيتيسيا من كلام تيا لتنتظر حيث تؤشر تيا بإصبعها، فرت قهقهة من فاهها دون شعور منها، لم تعلم أتضحك على وجه لواف المتجهم أم لقبه الذي نادت به تيا.

قطعت شك تيا بقولها:

ـ السيد لواف لم يملِ علي أي شيء كونتيسة.

لم تزل تيا تلك عن النظرة عن لواف وقالت:

ـ فالتحمد الرب على حظك هذا، ثانياً ـ حولت أنظارها على سيا ـ هيتيسيا لا تناديني بالكونتيسة ناديني باسمي فقط، ألسنا صديقات؟ تساءلت تيا.

أجابت بابتسامة:

ـ بالطبع نحن أصدقاء، فقط أنا كنت مرتبكة قليلاً لأنني لا أعرف طبعك.

وضعت تيا يداها على خصرها معاتبة لواف:

ـ ألم تحكِ لها عني؟ ياللحقار هل ذهبت الصحبة هكذا؟؟

قال لواف بانزعاج:

ـ أوي تيا ما الذي يحدث معك؟

تغيرت نبرة تيا لأخرى باردة قليلاً:

ـ لا شيء، على أي حال أنا متحمسة لرؤية شعري الجديد.

سألت سيا:

ـ أوه صحيح! هل أتت لوسييل؟

أجابتها تيا:

ـ نعم، واشتريت منها بعض المساحيق للتنكر.

سأل لواف تيا:

ـ تيا ألن تتراجعي؟

أجابت تيا مؤكدة قرارها:

ـ لواف وصلت إلى هذا الحد بالفعل هل تعتقد أنني سأنسحب؟

عم الصمت لوهلة ثم سأل لواف متعجباً:

ـ أين ستيلا؟

حركت تيا أكتافها مجيبة:

ـ لا أدري خرجت وإلى الآن لم تعد.

تطوعت سيا:

ـ سأذهب لأسأل أحد الخدم.

مد لواف يده مانعاً سيا من الذهاب وقال:

ـ ابقي هنا سيا أنا سأذهب، لم أسلم من تيا إلا عندما أتيت بك.

خرج لواف يبحث عن أي أحد في الردهة حتى يسأله عن ستيلا.

اصطدم في طريقه بالخادمة سوفان لتجيب بأنها لمحتها في المكتبة لكن لا تدري إن خرجت منها أم ما زالت بها.

توجه لواف للمكتبة، دخلها ليجد ستيلا تعاني حتى تلتقط كتاباً كان أبعد من أن تستطيع إمساكه.

توجه ليساعدها على التقاط الكتاب.

عندما لمحت ستيلا يده ابتعدت والتفتت له منحنية لتنتطق بتلعثم:

ـ أأأ..أعتذر أعلم أن الدخول لها ممنوع لكن جالت في بالي خاطرة أظن أنها ستحميك أنت وتيا.

أخرج لوافف ضحكة قصيرة ليعدل من ستيلا المنحنية ويردف:

ـ ما هو لي هو لتيا وأنت جزء منها، فما هو لي هو لك، وهذا القصر بأكمله تحت تصرفاكما.

هدأ اضطراب ستيلا، سأل لواف وكأنه تذكر شيئاً قالته ستيلا:

ـ ماهي تلك الخاطرة التي جالت في بالك؟

توترت ستيلا وأخفضت رأسها خجلة:

ـ كنت أريد الإطلاع على بعض كتب السحر علني أجد طريقة المباركة حتى أعلمها تيا وتبارك نفسها وتباركك حتى نقلل من الأخطار.

ابتسم لواف بهدوء ليمسك بأكتاف ستيلا. رفعت رأسها تنظر إلى عيونه الصارمة.

حدث تواصل بسيط بينهما وكأن أعينهما أغنتهما عن الكلام.

نظر لها لواف بعزم وأحكم على كتفا ستيلا ليقول:

ـ ستيلا ستحمين تيا للأبد وستنصرينها للأبد صحيح؟

استغربت ستيلا لكنها أجابته بنبرة أكثر جدية وضيقت عيناها قليلاً:

ـ أنا بالطبع أفعل، ماذا عنك أنت؟

ـ حتى لو تطلب الأمر الاستغناءعن كوني نبيل غني سأفعل ذلك، تيا كانت تنقذني وما زالت.

أنهى لواف كلامه وانسحب من الغرفة بهدوء بعدما وضع الكتاب على الطاولة.

ألقى نظرة على ستيلا قبل أن يصبح الباب خلفه ليخرج بعدها ويغلق ذلك الباب الضخم وراءه مصدراً صوتاً عالياً يدل على غضب من أغلقه.

ارتمت ستيلا على الكرسي تتنهد بعمق وترجع شعرها للوراء مخففة توترها.

عند تيا وهيتيسيا

ـ سيا هل لي بسؤال؟

ابتسمت هيتيسيا بتصنع تجيب تيا:

ـ بالطبع تفضلي.

اعتدلت تيا بجلستها سائلة:

ـ هل أنت مرتاحة هنا؟ أقصد بالعيش مع لواف.

انصدمت هيتيسيا من سؤال تيا ولم تعرف كيف تصف شعورها، أجابتها:

ـ حقيقة... لا أدري كيف أصف شعوري، بالطبع ليس هنالك أجمل من يكون لدى الإنسان كل ما يريده، لواف أيضاً سيد لطيف فأنا أعرف خادمات دم يتعذبن من أسيادهن. رغم كل الراحة المقدمة لي هنا ومعاملة لواف الحسنة إلا أنني أشعر بالفراغ بعض الأحيان. جزء مني فارغ وأنا أعرف ما هو هذا الجزء لكن لا فائدة مهما لبى لواف طلباتي هذا الطلب مستحيل التحقيق.

توقفت سيا عن الكلام بعد أن فرت دمعة من عينها.

اضطرب وجه تيا لتنهض من مكانها ذاهبة إلى سيا تربت على كتفها تحاول مواساتها.

أكملت سيا كلامها بدموع:

ـ لا يستطيع إعادة عائلتي لي، كنت الوحيدة الناجية من ذلك الحريق. كنت في طريق عودتي من الأكاديمية لأسمع صراخ الناس بكلام لا أفهمه، ورأيت دخاناً صاعداً يصل للشمس. استغرقت وقتاً حتى أدركت أنه يتصاعد من منزلي. ركضت كالممسوسة أريد الإطمئنان على عائلتي لكن كنت متأخرة جداً، كانوا جميعهم رماداً لا يظهر شيء منهم. لو لم يكن منزلي لما عرفت أنهم عائلتي.

ربتت تيا على كتف هيتيسيا بتقطع وهي شاردة الذهن.

فرت منها دمعة هي الأخرى على غفلة وكانت تبكي صامتة وكأنها جسد بلا روح.

عيناها تذرف الدموع ووجهها جامد ينظر للفراغ وعقلها يسبح بأفكار لا نهاية لها.

توقف تيا عن التربيت فجأة، أحست بثقل على رأسها.

أمسكت رأسها بقوة تضغط عليه وتحني رأسها للأسفل.

حاولت سيا فهم ما يحدث لتيا لكنها لا تجيب.

تغير لون وجه هيتيسيا عندما بدأت تيا تضرخ بقوة متألمة وبدأت أغراض الغرفة من حولها ترتفع، تحركت هيتيسيا تفتح الباب تصرخ باسم لواف مستنجدة به.

التفتت تنظر لتيا حتى ترى حالتها لكن لم تستطع بسبب ارتفاعها للأعلى واحساسها بيد تقبض على عنقها بقوة تخنقها.

حاولت فتح عيناها لترى من الذي يفعل هذا بها. لتنصدم بشكل تيا التي توهجت باللون الأحمر ونظرة غريبة جرت تبث الرعب بقلب كل شخص يعيش في هذا الكوكب.

ازداد الضغط على عنق هيتيسيا، وتحول وجهها للبنفسجي ولحسن الحظ اقتحم لواف الغرفة بالوقت المناسب، ودهش مما تراه عيناه.

كل شيء في الغرفة يحلق عالياً سوى تيا الحمراء.

عاد لواف إلى وعيه وركض باتجا تيا ليقوم بدفعها ويسقطها أرضاً، وبمجرد سقوطها سقط كل شيء معها.

تأكد لواف أن تيا بخير وركض باتجاه هيتيسيا التي أغمي عليها.

طلب من الخادم أن يتصل بالطبيب ونقل هيتيسيا إلى غرفتها.

تمثل الخادم لأوامر لواف ونقل سيا إلى غرفتها ثم اتصل بالطبيب.

عندما ابتعدت هيتيسيا عن ناظريه التفت لتقع عينه على تيا التي تجلس القرفصاء وتبكي بحرقة وتمنع شهقاتها من الفرار خارج فاهها.

تردد لواف بالتقدم لها خشية أن يزيد الطين بلة.

في نهاية الأمر قرر الذهاب وإعطاء تيا الدفء الذي تحتاجه الآن أكثر من أي وقت مضى.

رفعت تيا رأسها عندما أحست بشخص جلس أمامها.

ابتسم لها لواف بحنان لترتمي في حضنه سامحة لدمعها وشهقاتها بالفرار منها.

ربت على ظهرها برفق يخبرها أن كل شيء بخير وهذا طبيعي بما أنها حررت قوتها منذ وقت قصير ولم تتعلم بعد كيفية التحكم بها بشكل صحيح.

توقفت تيا عن البكاء وابتعدت عن لواف تمسح وجهها من دموعها وقالت:

ـ أقسم أنني لم أفعل هذا بإرادتي، كنت أتكلم معها بشكل طبيعي ثم أحسست بألم قوي ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أرفع سيا للأعلى. حاولت إيقاف هذا لكن شيء ما منعني، وكأن شخصاً آخر يتحكم بجسدي، أقسم أنها ليست أنا.

تنهد لواف قائلا:

ـ أنا أصدقك تيا لا عليك، ارتاحي الآن وناديني في حال أردتي أي شيء، حسناً؟

أومأت تيا برأسها ليخرج لواف لواف بعد إلقاء نظرة أخيرة عليها.

بعد فترة وجيزة دخلت ستيلا لغرفة تيا وقامت باحتضانها معتذرة.

قالت ستيلا:

ـ أعتذر تيا تأخرت بالمجيء سامحيني أرجوك.

شدت تيا العناق أكثر وفرت دموعها هاربة منها.

ـ لا بأس ستيلا أعرف أن تأخرك لم يكن لأمر عابث.

فصلت ستيلا العناق ومسحت دموع تيا وثبتت عيونها على عيون تيا وقالت:

ـ صحيح أنه كان مهماً لكن كان يجب علي تركه بعيداً، أنا مخطئة أرجوك اغفري لي.

ربتت تيا على كفها بحنو قائلة:

ـ لا بأس ستيلا، لا تعاتبي نفسك أنا حقاً لست حزينة أنا فقط أشعر بقليل من التعب بسبب قوتي الغير مستقرة.

ابتسمت ستيلا بدفء وبادلتها تيا الابتسامة.

نهضت تيا بعدها وألقت بنفسها على السرير مغمضة العينين.

انتبهت ستيلا لخصلات شعر تيا المتناثرة على السرير ولاحظت تغير طوله، فقد أصبح قصيراً مقارنة بالماضي، ولونه البني الذي زاده جمالاً مع تلك اللمعة الخافتة في شعرها وكأنها تحفة فنية تنتظر فنانًا حتى يرسمها.

فيالها من حسناء وكأن الله وضع جمال كل خلقه بها.

أجلت ستيلا حديثها عن المباركة وخرجت تاركة تيا نائمة حتى ترتاح، وعندما تستيقظ ستقص عليها ما اكتشفته.

في منتصف الليل

في غرفة لواف:

غرفة واسعة أثثت بأفخم الأثاث، بها من التحف الثمينة ما لا يخطر على البال، يتوسطها ذلك السرير الضخم ويتوسط ذلك السرير هيتيسيا الغائبة عن العالم.

جالس لواف على كرسيه المصنوع من أغلى أنواع الخشب الذي نقش عليه باحتراف وزين ببعض الياقوت والفيروز ممسكاً بيد حبيبة قلبه هيتيسيا يدعي الإله أن يوقظها ويعافيها بأسرع وقت ممكن.

دافناً يدها بين يديه واضعهم على جبهته باكياً بصمت على حال محبوبته.

أدرك فجأة أنه لو تركها كما حبذت هي لربما ستكون أكثر سعادة.

اعتقد أن وجودها هنا واعتناءه بها سيعيد ضحكاتها، لكنه لم يرها من بعد وفاة عائلتها.

كل ما كانت تظهره يعلم تمام العلم أنه مبتذل لأنها لا تريد جرح مشاعره.

كل ما يحدث لها من بؤس وحزن هو بسببه، لو أنه تركها لكانت أسعد، لربما تكون عثرت على فارس أحلامها وهي الآن تعيش معه بسعادة.

أبعد يدها عن يديه وأعادها تحت الغطاء وقرر أن يحررها بمجرد استعادة صحتها، هي ليس سعيدة معه البتة.

هذا ما كان يخطر في باله، وربما أوبالتأكيد هو اقتنع به اقتناعاً تاماً.

بينما هو غارق في ندمه سمع صوتاً أو خيل له صوتاً يإتي من المرآة العريضة.

لم يعر الأمر أهمية وعاد يراقب هيتيسيا.

عاد الصوت مرة أخرى لكن هذه المرة كان أعلى من المرة السابقة.

نهض من كرسيه وأمسك سيفه المدعم بالمانا القاتلة.

بدأ يتفحص الغرفة، تفحص كل إنش في الغرفة ولم يجد أي شيء، تأكد من أنه كان يتوهم بسبب قلة نومه.

عاد رامياً نفسه على الكرسي متنهداً مخرجاً مافي رئتيه من هواء.

ارجع ظهره للوراء واضعاً رجلاً على رجل، أغمض عيناه يحاول أخذ قيلولة قصيرة.

لم تمضِ دقائق قليلة حتى أحس بيدين تقبض على عنقه بقوة، جحظت عيناه بسبب القوة التي انصبت على عنقه.

حاول الوصول إلى سيفه المدعم بالمانا ولحسن الحظ استطاع التقاطه.

حاول التملص من تلك القبضة، لم يستطع التخلص منها لكنه استطاع الاتفات ورؤية وجه ذلك المخلوق الذي يجهل هويته، ويالهول المنظر!.

كان وحشاً سحرياً لا يمكن أن يظهر دون تلاوة تعويذته.

رفع لواف سيفه عالياً وادخله في ذلك الوحش ليختفي رويداً رويداً حتى أصبح كالوهم.

حاول لواف التقاط أنفاسه بعد أن حررت رقبته، أسند ظهره على الجدار يحاول استيعاب ما يحصل في هذا اليوم.

تجولت عيونه بتشتت واضطراب في أنحاء الغرفة بينما يحدث نفسه:

" أيعقل أن تيا استدعت وحشاً دون علمها؟ فهذا الوحش لا يستجيب إلا للسحرة النقيين أو من لديه قوة سحرية كبيرة تجري في دمه. أيعقل أن نبلورد هي من قامت باستدعائه وارساله لي؟ ـ أمسك لواف برأسه ـ أنا حقاً لا أفهم أي شيء، كل شيء يحدث ولا يترك وراءه أي دليل حتى أصل للفاعل والعقل المدبر".

أخرج لواف تنهيدة طويلة عميقة واستسلم مسنداً جسده على الجدار مسلماً نفسه للنوم أخيراً.

استيقظت تيا عندما شعرت بأحد يحرك يدها طالباً منها الاستيقاظ.

فتحت عيناها ببطئ مستجيبة لطلب أحد خادمات لواف.

اعتدلت بجزئها العلوي مسندة إياه على السرير فاركة عينها اليمنى وقالت:

ـ أين ستيلا؟ لماذا لم توقظنِ هي؟

بدى التوتر على وجه الخادمة عند سؤال تيا عن ستيلا لأن أحداً لا يعرف أين ذهبت.

أعادت تيا سؤالها بعدما تلقت الصمت من الخادمة.

وقفت أمام الخادمة والغضب ممزوج مع الخوف يأكلانها من صمت الخادمة.

استجمعت الخادة نفسها وفرقت بين شفتيها حتى تنتطق بكلماتها لكن لحسن الحظ دخلت ستيلا في تلك اللحظة وهي تلهث تحاول التقاط أنفاسها.

تنهدت تيا بارتياح بعد رؤية ستيلا كما فعلت الخادمة.

انتبهت تيا إلى حالة ستيلا الفوضوية وركضت عندها سائلة:

ـ ستيلا ما بالك تبدين هكذا؟ ملابسك يملؤها الغبار وبشرتك شاحبة ويديك مليئة بالخدوش!!

التقطت ستيلا أنفاسها وردت على تساؤلات تيا:

ـ استخدمت سحر الإنتقال لأرى أحوال القصر في أكستاڤو، لكن يبدو أنني أخطأت في حرف أو كلمة أو لا أعلم ما الذي أخطأت فيه، عندما انفتحت البوابة دخلتها ووجدت نفسي في معسكر جنود نبلورد في الحدود الشمالية وحالتي هكذا لأنني كنت أهرب من أحد الجنود وسقطت أكثر من مرة أثناء مطاردته لي.

احتضنت تيا ستيلا شادة العناق بقوة جعلت تنفس ستيلا مضطرباً.

أبعدت ستيلا تيا حتى لا تختنق وطلبت من الخادمة مناداة لواف إذا كان متفرغاً.

ابتسمت ستيلا بوجه تيا وقالت:

ـ سأحضر لك الحمام وملابسك.

أمسكت تيا ستيلا من عباءتها وقالت آمرة:

ـ بل أنت من ستستحمين أما أنا بالفعل أخذت حماماً بالأمس بعد فترة من نومي.

استسلمت ستيلا خاضعة لأوامر تيا ذاهبة للاستحمام حتى لا تتحول سيدتها الصغيرة.

حضر لواف ألى غرفة تيا بعد ساعتين من تبليغ الخادمة له بعودة ستيلا إلى القصر ورغبتها برؤيته.

اقتحم لواف الغرفة بلا مقدمات وصرخ معاتباً:

ـ ما الذي تخالين نفسك فاعلة؟ أتظنين أن أحداً لا يهتم بأمرك في هذا القصر سوى تيا؟

فجعت تيا منه ووبخته قائلة:

ـ أهكذا يدخل الشخص غرف الآخرين؟ ما فائدة الدروس التي نأخذها من نعومة أظافرنا سيد ثعبان؟

زاد غضب لواف رد على تيا:

ـ أتريدين مني استقبالها بالإحضان والهدايا؟؟

نهضت تيا من مقعدها متوجهة حيث يقف لواف وقالت:

ـ لا ترفع صوتك علي، ثم من أنت حتى ترفع صوتك على تيا دادلي؟

أجاب لواف بسخرية:

ـ أنا لواف أمير منطقة ستوك يا كونتيسة "دادلي"

كادت تيا ترد عليه لكن استوقفها صوت تلك الضحكة الهاربة من ثغر ستيلا.

وضع الإثنان نظرهما على ستيلا التي باتت ضحكتها تعلو أكثر وأكثر بسبب شجارهما، حولا نظرهما إلى بعضهما البعض ثم إلى ستيلا غير عالمان لما هي تضحك هكذا.

حاولت ستيلا إيقاف ضحكتها وقالت وهي تمسح قطرات نزلت من عينيها:

ـ أعتذر حقاً لكن مظهركما كان كافياً ليجعلني أدخل بنوبة ضحك، أعتذر حقاً.

نظر لواف بطرف عينه إلى تيا وخطى خطواته جالساً بجانب ستيلا.

تحمحم لواف معدلاً بدلته جالساً باحترام ناظرًا إلى ستيلا بتلك النظرة القاتلة:

ـ إذن آنسة ستيلا أين كنت كل ذلك الوقت؟

تدخلت تيا قبل أن تنطق ستيلا وقالت:

ـ لا شأن لك، إن أردت أن تعرف اعتذر أولاً.

تنهد لواف من تمسك تيا الشديد بالإتكيت النبيل وقال منهياً الشجار:

ـ باسمي أنا الأمير لواف أقدم خالص اعتذاراتي عن قلة ذوقي وعدم استئذاني.

ابتسمت تيا بانتصار وجلست قبالة ستيلا ولواف على الأريكة وأشرت لستيلا بيدها حتى تكمل كلامها.

حبست ستيلا ضحكتها بسبب نظرات لواف التي اخترقت تيا.

سعلت بسبب كتمها لضحكاتها ثم حكت للواف ما قالته لتيا وتوقفت فجأة ثم استطردت حديثها:

ـ سمعتهم يقولون أياء وأظن أنها قد تغيرك وتغير البلاد بأكملها.

نظر لها لواف باهتمام واضعاً تركيزه كله معها فتابعت:

ـ سمعت واحداً فيهم لا أدري ما رتبته في الفرقة العسكرية لأنه كان معطياً ظهره لي...

قاطعها لواف متأففاً:

ـ لا تهمني كل هذه التفاصيل أريد فقط ما سمعته،

ضيقت ستيلا عيناها منزعجة من لواف لكنها أكملت حديثها:

ـ قال أن جاك استقصد إصابة الكونت إصابة خطيرة لأنه يعرف أن تيا هنا في ستوك وعند سماعها أن والدها مصاب إصابة بليغة ستسرع حتى تتفقد حالته وبالتالي سينصب لكما كميناً في طريقكما حتى يجعل من تيا رهينة عنده ويهدد بها الكونت وهكذا سيكون أمسك بنقطة ضعفه الوحيدة، بالطبع الكونت سيرفع الراية البيضاء أمام سلامة ابنته الوحيدة وقد يخون الإمبراطور إذا طلبوا منه ذلك، وهذا بالطبع ما سيفعلونه حتى يستغلوا قوته التي لم تشهد أكستاڤو مثلها، حتى أنه لقب بسيف الإمبراطورية.

تجمعت الدموع بعيني تيا بعد معرفتها أنها السبب في إصابة والدها.

جاهدت في كبح جواهرها التي بدأ تجمعها يزداد، لا تريد البكاء أمام أحد مرة أخرى، لأن نظرة الشفقة التي يظهرونها تعتصر قلبها ألماً.

انتبهت ستيلا على محاولات تيا في حبس دموعها لتنهض جالسة بجانبها مربتة على يد تيا تبث فيها الأمان.

فكر لواف قليلاً وساد الصمت في هذه الأثناء حتى قطعته تيا بقولها:

ـ أحبذ تأخير رحلتنا ليوم آخر حتى نخطط ونأخذ احتياطاتنا بعد معرفتنا بخطتهم، ستكون مخاطرة الخروج اليوم أو الغد، برأيي لنؤجل الرحلة للأسبوع القادم.

هز لواف رأسه موافقاً كلام تيا وأضاف:

ـ سأجهز بعض الفرسان الإضافيين وننصب كميناً لهم، ستيلا ستتولى مهمة تعليمك كيفية التحكم بقواك حتى تدافعي عن نفسك في حال حصل لنا شيء ما.

تسلل الخوف إلى ملامح تيا عند تذكرها ما حدث بالأمس.

لاحظ لواف الارتجاف الخفيف الذي حصل لتيا، فركع على ركبته وأمسك بيديها محتضناً إياها بين خاصتيه وقال مطمئناً:

ـ لا تخافي تيا مع التدريب لن يحصل ما حصل بالأمس أعدك أنه لن يتكرر.

لقد عانيت مثلك عندما حررت قوتي، آذيت الكثيرين، وحطمت الكثير، وتعرضت للتوبيخ دائماً، لكن انظري لي الآن، أستخدمها كأنني محترف وكثير من شباب وشابات أكستاقو يعانون مثلك لا تقلقِ.

نظر لواف لها بعيون يتخللها الصدق والثقة بأنها قادرة على فعلها.

ارتاحت تيا قليلاً بعد كلامه ونظرته.

ربت لواف على يدها مرة أخيرة واستقام خارجاً من الغرفة حتى يكمل ما تركه على مكتبه ينتظر أحداً ينهيه.

التفتت ستيلا تحدق بتيا ورسمت ابتسامة تلتها كلمات خرجت من ثغرها:

ـ إذن متى سنبدأ التدريب آنستي؟

بادلتها تيا الابتسامة وقالت:

ـ لنبدأ اليوم وحالاً إن لم تكونِ متعبة بالطبع.

وقفت ستيلا وبحركة سريعة منها سحبت خنجرها وصوبته بين عيني تيا وقالت:

ـ هل أبدو لك متعبة؟

أزاحت تيا الخنجر سريعاً عن رؤياها وتأففت من إخافة ستيلا لها.

توجهت لساحة تدريب الجنود القديمة دون أن تنبس بحرف وتبعتها ستيلا.

بالطبع لم يخلُ الطريق من مضايقات ستيلا المستمرة لتيا والأخرى التزمت الصمت والتنهد بين الحين والآخر.

وصلتا أخيراً إلى تلك الساحة الواسعة المهجورة منذ سنين بعدما أنشأ والد لواف مبنى خاص لتدريب الفرسان.

ركضت تيا بسرعة إلى وسط الساحة بينما ستيلا تلتف مصدومة من الأشجار التي تحيط الساحة، استغلت تيا انشغال ستيلا ومقابلة ظهرها لها وخطرت لها فكرة برد الفزعة إلى ستيلا.

جمعت القليل من الطاقة في يدها وصوبت نحو شجرة من الأشجار التي تتأمل ستيلا طولها الشاهق.

ضربت تلك القوة ساق الشجرة محدثة صوتاً عالياً أفزع ستيلا وتراجعت خائفة تحتمي بتيا ظناً منها أنه وحش سحري.

قالت ستيلا مغمضة العينين تحتمي بتيا:

ـ تيا هل ذهب الوحش؟

..... لا إجابة

سألت ستيلا ثانية:

ـ تيا هل ذهب الوحش؟؟

لم يأتها رد من تيا كل ما تلقته هو الصمت.

فتحت عيناها ببطء بعدها سمعت ضحكات خافتة تخرج من تيا.

وقفت باعتدال تحاول فهم الموقف وسبب ضحكات تيا.

قالت تيا بعد انتهائها من الضحك وهي تسمك بطنها:

ـ أنت تحتمين بذلك الوحش آنستي.

اشتعلت شرارة الغضب لدى ستيلا، وعندما شعرت تيا أنها ستبدأ حملة التوقيع أردفت:

ـ اعذريتي سيدتي أنت من بدأ أولاً، وهكذا أنا أخذت حقي وانتقمت منك، وأصبحنا متعادلتين.

صمتت ستيلا ولم تعلق، ماذا عساها ترد على تيا، اكتفت بأن تومئ برأسها.

تغيرت ملامح تيا للجدية وتقدمت تسحب ذلك السيف المعلق على لوح حجري مليئ بأسلحة يدرب عليها الفرسان وجنود الحرب.

لبست ستيلا قناع الجد هي الأخرى وجلست على كرسي حجري وجد في تلك الساحة والذي ـ افترضت تيا ـ أنه الكرسي الذي كان والد لواف يراقب جنوده وفرسانه عليه وهم يتدربون.

نظرت تيا لستيلا نظرة استغراب وأنزلت السيف مستفهمة:

ـ أسأواجه الهواء أم العفاريت الغير مرئية آنسة ستيلا؟

لم تجب ستيلا على سؤال تيا وتحاشت النظر إليها.

استمرت تيا تحدق بذات النظرة وحين علمت ستيلا أنه لا فائدة من المماطلة قالت:

ـ ما بالك تنظرين هكذا؟ أتعتقدين أنني سأضحي بنفسي من أجل تدريبك؟ وفوق هذا تحملين سيفاً بيدك وأنا قوتي لا تساوي ربع قوتك؟ تدربي على مرتزقة لكن ليس أنا، لن أضحي بحياتي ما زلت صغيرة لم أعش شبابي كما أريد.

تنهدت تيا وقالت:

ـ لما لم تختصرِ الأمر عندما كنا داخل القصر ولواف معنا وطلبتي منه أحد المرتزقة؟

مالت ستيلا بجسدها للأمام وقالت بغباء:

ـ لم تخبريني أنك تريدين التدرب بالسيف!

نجحت ستيلا باستفزاز تيا لترد الأخرى بغضب:

ـ بحقك ستيلا هل سأتدرب بالشوكة والسكين مثلاً؟

ردت ستيلا باستهزاء:

ـ ربما، كما تعلمين أنت نبيلة وأكثر ما تولعون به هوالإتكيت، فظننت أنك ستستخدمين الشوكة والسكين في القتال محافظة على هيبتك كنبيلة وابنة سيف الإمبراطورية.

صمتت تيا التي وصلت إلى أعلى مراحل الغضب ولم تجد ما ترد به على ستيلا التي بدورها رسمت ابتسامة جانبية على ثغرها وفي رمشة عين باغتت ستيلا تيا

واضعة السيف الذي كان على الكرسي على رقبة تيا التي ابتلعت ريقها خائفة من مباغتات ستيلا هذه.

أردفت ستيلا تلتف حول تيا معاتبة:

ـ تيا عليك تعلم كيفية التحكم بأعصابك، فهذه نقطة ضعف يستغلها أغلب الأعداء، وعليك أن تكوني أكثر تركيزاً على عدوك، لقد باغتك مرتين لذا أولاً وقبل كل شيء عليك استخدام ميزة السرعة لدى مصاصي الدماء حتى تكون حركتك خفيفة لا ثقيلة.

استمعت تيا بتركيز لكل حرف نطقت به ستيلا وعندما التفتت ستيلا عائدة إلى مقعد القائد ـ كما سمته ـ التقطت تيا السيف المرمي على الأرض ووضعته على خصر ستيلا التي ضحكت وقالت:

ـ هذا يسمى غدراً يا عزيزتي وليس مباغتة، أنزلي سيفك قبل أن أرفع سيفي.

أنزلت تيا سيفها وعدلت من وقفتها وقالت بعد إدراكها لغبائها:

ـ ياللغباء، ما فائدة السيف إن كانت يداي عن ألف سيف؟.

توقفت ستيلا كأنها أدركت غباءها هي الأخرى ونظرت إلى تيا قائلة:

ـ كيف نسيت ذلك؟ لا فائدة سنبقى أغبياء حتى نموت.

قالت تيا معترضة:

ـ ستبقين أنت وليس سنبقى، الصفة لا تشملني.

قالت ستيلا مذكرة:

ـ لقد ربيتك والغباء يشمل اثنتينا لأنك تأخذين أبرز صفة بمن يربيك.

تداركت ستيلا أنها سجلت هدفاً عكسياً في مرماها ولم تعد تعرف ما تضيفه بعدما أهانت نفسها، وتيا الأخرى غضبت من كلام ستيلا رغم أنه لا يسيء إلا لستيلا ولم تفهم معناه إلى يومنا هذا.

تحمحمت ستيلا مردفة:

ـ تيا علينا التدرب غداً لأنني أحتاج إلى كتب وأدوات أخرى تساعدك على التحكم بقواك.

أضافت تيا:

ـ معك حق، وأيضاً علينا شراء ملابس تناسب التدريب، لأنه يستحيل الحركة بخفة مع هذه الفساتين الثقيلة. أريد تغيير بعض الأشياء في هذه الساحة، سآخذ الإذن من لواف أولاً.

رمت السيف وأمسكت بيد ستيلا تجرها إلى القصر مستمتعة بنسمات الهواء اللطيفة التي تداعب شعرها ووجهها.

تذكرت تيا أن ستيلا كبرت بالعمر، وقد أرهق جسدها من العمل في ذلك القصر الشاهق منذ نعومة أظافرها، لذا توقفت عن الركض وبدأت ستيلا تمشي بجانب تيا تعبران ذلك الممر المفتوح الطويل.

وصلتا أخيراً إلى القصر وافترقت ستيلا عن تيا ذاهبة إلى المكتبة لتجمع ما تحتاجه من كتب لدراسة حالة تيا. اصطدمت تيا بإحدى الخادمات التي تبحث عنها تبلغها أن لواف يريدها في مكتبه. ذهبت تيا مستغربة أنه ما زال في مكتبه رغم انتهاء وقت عمله.

طرقت الباب طرقات متتابعة فرد عليها لواف الذي عرفها على الفور:

ـ ادخلي تيا.

استجابت له ودخلت إلى مكتبه جالسة على الكرسي المقابل لمكتبه ونظرت إلى لواف الذي يعطي ظهره لها محدقاً إلى النافذة يرى انعكاسها فيها.

التفت لواف وقال:

ـ وصلنا خبر للتو من رسول الإمبراطور.

سألت تيا:

ـ ما هو؟

أمسك لواف ورقة صغيرة على المكتبة وقرأها على مسامع تيا:

ـ يسر الإمبراطور حضورك أمير لواف إلى مأدبة يوم الخميس القادم، احتفالاً بتعيين الكونت ڤيكتور كأرشيدوق أكستاڤو نظراً إلى ظلمه بهذا اللقب البسيط، ويسألك الإمبراطور إن كنت تعرف مكان الآنسة تيا احضارها معك لتتويجها كأرشيدوقة العاصمة مع تمنيات شمس الإمبراطورية بالسعادة لك.

أطلقت تيا ضحكة ساخرة وقالت:

ـ بعد أكثر من ستة عشر عاماً من حمل أبي للقب الكونت المهين لقدراته، تذكر جلالته للتو تعيينه كأرشيدوق؟ وكيف يقيم مأدبة وصاحبها مغمى عليه في فراشه؟

جلس لواف على كرسيه واضعاً رجلاً على رجل وقال:

ـ قال لي جندي أن الكونت عفواً أقصد الأشيدوق ڤيكتور استيقظ بين ليلة وضحاها، والتأم جرحه بعدها بأيام، وقال طبيبه أن هذا لا يحدث إلا باستخدام سحر نقي، لكن الأرشيدوق ڤيكتور يزعم عدم معرفته بأي شيء قاله الطبيب.

أومأت تيا تفكر، وقالت بعد مدة:

ـ ذكر الإمبراطور أمر حضوري أليس كذلك؟ إذا كان الأمر هكذا فلا حاجة للإختباء، سأظهر للأرستقراطيين في المأدبة، لكن قبلها سأذهب إلى أبي أطلب منه أن يكون مرافقي في الحفل، أنت تعلم لا تدخل فتاة الحفلة دون مرافق كما هو الحال مع الشبان.

تعجب لواف من خطة تيا وقال محاولاً تصديق تيا:

ـ أحقاً تريدين أن تطلبي من والدك أن يكون مرافقك؟! تيا لا أستطيع التصديق.

نظرت تيا له من الأعلى إلى الأسفل ثم قلبت عيناها وقالت:

ـ صحيح أنني هربت منه، لكنني الآن أريد العودة إلى القصر والعيش معه من جديد.

كشف لواف عن أساريره وقال:

ـ وأخيراً سأعيش براحة.

أعطت لواف النظرة القاتلة وقالت مؤشرة على نفسها بسبباتها:

ـ أتقصدني؟؟

تلعثم لواف وهو يحاول الأجابة:

ـ لـ ..لا أقصد أنني سأذهب إلى النوم، لم أكن أحدثك عزيزتي.

همهمت تيا راضية عن إجابة لواف لتكمل كلامها:

ـ لواف أريد الذهاب غداً للسوق، وأيضاً أريد استعمال ساحة التدريب القديمة وتغيير بعض الأشياء.

نهض لواف وتوجه إلى تيا راسماً ابتسامة دافئة على وجهه.

وقفت تيا هي الأخرى ناظرة إلى لواف الذي أصبح يقف أمامها مباشرة.

أمسك لواف كتفي تيا وما زالت ابتسامته لم تتغير وقال:

ـ أنت سيدة هذا القصر بعد أمي، لك حرية التصرف بجميع أركانه من أرضيته حتى سقفه.

ابتسمت تيا وعانقت لواف شاكرة له لتعويضها شيئاً من دفء العائلة الذي افتقدته.

فصل لواف العناق بعد هجوم مساعده على المكتب باضطراب.

سأله لواف بتجهم:

ـ بالك تدخل هكذا كريستيان؟

حاول كريستيان التقاط أنفاسه وقالت بتقطع:

ـ الجنود.... جنود نبلورد دخلوا إلى الحدود الشمالية الغربية، والفرقة الشمالية الغربية تطلب المساعدة بأسرع وقت، لأن أعداد نبلورد تفوق جنودنا بأضعاف.

تقدم لواف إلى العلاقة ملتقطاً رداءه آمراً كريستيان:

ـ جهز ست فرق كاملة بينما أجهز نفسي، معك عشر دقائق حتى تكتمل تجهيزات الفرق، خذ أقوى الجنود واترك إثنين منهم لحماية القصر في غيابنا.

قال كريتسيان:

ـ أمرك سيدي.

تسلل القلق إلى تيا وسألت لواف:

ـ هل أنت أيضاً ذاهب لواف؟

ربت على كتفها مطمئناً:

ـ لا داعي للقلق، عندما ننتصر سأعود على الفور، ركزي على تدريباتك وسأكون أنا بأفضل حال تيا.

تركها وهم بالخروج راكضاً إلى غرفة المعدات الحربية يجهز نفسه وحصانه.

خرجت تيا هي الأخرى متوجهة إلى غرفتها طالبة من الخدم تجهيز حمام ساخن لها.

تيا

"استرخيت في حوض الاستحمام غارقة في أفكاري خائفة من ردة فعل أبي عندما يراني، هل سيفرح ويستقبلني بالأحضان؟ أم أنه سيطردني من القصر؟ لا..لربما يقتلني لأنني سأصبح مجرد وصمة عار على عائلة دادلي.

ضربت بيدي سطح الماء غاضبة من تزاحم الأفكار في رأسي، لا أريد رفع آمالي ويفجعني القدر بشيء يحطم كل ما خططت له. غصت في الحوض أكثر حتى الماء غطى جسدي كاملاً ما عدى رأسي.

لطالما أحببت أن يحضنني أبي ويقبلني ويمسح على شعري في يقظتي وليس في منامي. رغم أنني أكون نصف نائمة، لكن أستطيع الشعور بدفئ يده وتهويدته التي اعتادت إمي قولها لي قبل النوم.

تنهدت مخرجة ما بداخلي من حزن وخيبة أمل.

عندما قرأ لواف خطاب الإمبراطور شعرت بشعور غريب، لا أعرف أهو حزن أم فرح، كنت مضطربة هذا ما أعرفه. المشاعر تصبح غريبة فجأة ويصعب فهمها وشرحها حتى يفهمها من حولك.

قطع حبل أفكاري بعد إحساسي بطرق خفيف على الباب فعلمت من خلفه على الفور.

ومن غيرها، ستيلا هي الوحيدة التي تطرق الباب بأظافرها.

سمحت لها بالدخول. مدت رأسها من الباب وقالت:

ـ أتمنى أنني لا أعكر صفو ذهنك أرشيدوقتنا العزيزة.

تعجبت من معرفتها بهذه السرعة لأنني متأكدة أن لواف لم يخبر أحداً غيري بالأمر.

سألتها بسرعة:

ـ من أخبرك؟

ضحكت مدخلة جسدها كاملاً إلى الداخل مغلقة الباب خلفها مجيبة:

ـ أكستاڤو كلها تداولت الخبر وتمت دعوة كل نبلائها إلى المأدبة.

صمتت ولم أجبها بشيء، فاقتربت مني تساعدني على الاستحمام كما تفعل دائما وقالت:

ـ الأيام تمر بسرعة حقاً، بالأمس كنت تلك الطفلة التي تجبر جميع الخادمات على تقييدها حتى نستطيع الانتهاء من تحميمها بسلام، والآن نسيت تلك المشاغبة حتى طلبنا أثناء استحمامها وكسرت أحد قواعد النبلاء بكل جرأة.

خرجت مني ضحكة رغم حزني الذي استولى علي من أيام ليست بكثيرة.

ساعدتني ستيلا على الاستحمام وقضينا الوقت نفكر بما سأفعله بالمأدبة، وحدثتني ستيلا عن ما وجدته في الكتب التي أمضت الوقت في قراءتها.

وانتقلنا بعدها إلى وضع خطة للتدريب، وبالطبع لم تكمل ستيلا جملة واحدة دون كلمة تستفزني.

انتهيت من الاستحمام وخرجت ستيلا تنتظرني في الغرفة تاركة إياي أرتدي ملابس نومي.

خرجت إلى غرفتي ورميت نفسي على السرير لأشعر بجوع مفاجئ وتذكرت أنني لم آكل شيئاً منذ الأمس. طلبت من ستيلا سؤال الخدم لتحضير عشاء يكفي شخصين، بالطبع لم تتلقَ منهن سوى الموافقة.

تناولنا العشاء بصمت، حتماً الجو كان كئيباً جداً مهما حاولنا إنكار وإخفاء حزننا ، هو سيظهر في لحظة ويصبح سيد هذه اللحظة، أو ربما كان هذا الجو يحيطني أنا فقط.

أنهيت نصف طبقي الذي كان عبارة عن شريحة لحم بقري بجانبها بعض الخضروات المسلوقة، وشيء ما يشتهرون أهل ستوك بأكله في جميع وجباتهم، والذي مهما قيل لي اسمه ومكوناته أنساها، الطعام كان لذيذ المذاق لكن شعرت بتوعك مفاجئ وأنا في لقمتي الخامسة على ما أعتقد، أكملت للسابعة والتوعك زاد فتوقفت رغم أن جوعي لم يسكت.

لكن ما بال ذلك الكائن الذي يجلس أمامي؟ هل جنت ستيلا أم ماذا ؟

الإبتسامة لم تفارق وجهها منذ جلوسنا على المائدة.

أيعقل أنها وقعت في حب كريستيان؟؟ بدت مقربة منه بشكل غريب.

بحق ما هذه الطفلة.... مهلاً أنا الطفلة هنا وليست ستيلا.

يا إلهي ما هذه الأفكار؟! أحصل لعقلي شيء ما؟ سأذهب للنوم الآن من الواضح أنني لم أعد بوعي."

فيكتور

"بعد ذهاب لينا شعرت بتحسن مفاجئ، ولم يعد الألم كما أخبرتني قبل أن تغادر، بل شعرت وكأنني معافاً لا بلاء في جسدي.

إن لم أخطئ، قامت لينا باستخدام سحر الشفاء المحرم، وهذا يفسر سبب شحوب وجهها وتحول لون يديها للرمادي في تلك الليلة.

علمت من البداية أنها ليست تعويذة عادية، لكن كيف خاطرت مرة أخرى واستخدمتها؟ كادت تموت آخر مرة، لكن معجزة ما حصلت ونجت من الموت، وأصبحت أعجوبة لا يعرفها سوى شخصين، أنا وشيراز.

آه ما بال هذه الأسرة لما هي معقدة هكذا؟ الأم تنجو بعد جنازتها وتهرب والإبنة تيأس من والدها تفر مختبئة تحت جناح صديق طفولتها، والأب عديم الفائدة لا يجلب إلا الخطر لعائلته. كدت أقتل زوجتي بسبب إصابتي والآن العدو يهدد بقتل طفلتي الوحيدة، وماذا فعلت أنا؟ عاجز لا حول لي ولا قوة، مسجون في هذه الغرفة بدلاً من قضبان حديدية. وما الفرق بينهما على أية حال؟ الأثنان يسلبان حريتي.

قطعت محادثتي مع نفسي عندما طرق سيباستيان الباب.

سحمت له بالدخول، أول ما وقعت عيني عليه هو وجهه المتوتر الذي يتصبب عرقاً.

عدل من هيئته وأخرج من جيب معطفه الداخلي ظرفاً وقال:

ـ سيدي هذا الظرف يحمل رسالة من الإمبراطور لك.

التقطت الظرف الممدود، وبالفعل ختم الإمبراطور موجود عليها.

سألت سيباستيان:

ـ ما محتوى هذه الرسالة؟

وضع سيباستيان يده على صدره وأخفض من صوته مجيباً:

ـ لا أدري سيدي، وليس لي الحق بفتح رسائل سيدي الخاصة به.

همهمت له وهممت بفتح الرسالة التي يتمنى الجميع الحصول عليها.

قرأت كلماتها فاتحاً عيناي على مصراعيها مشدوهاً مما تلقيته.

نظرت إلى سيباستيان الذي لا يفهم ما بالي مشدوه لهذه الدرجة.

قلت بعدم تصديق:

ـ هذه دعوة لحضور مأدبة يقيمها الإمبراطور على شرف تتويجي كأرشيدوق.

فتح سيباستيان فاهه الذي قدرت أن فتحته وصلت إلى مترين من الصدمة.

أهذه خدعة من شخص ما؟ لماذا بعد كل هذه السنوات يتم تعييني كأرشيدوق؟

أليس من المفترض منذ فوزي في حرب لاتشي الكبرى أن يتم إعطائي هذا اللقب؟

لقد هرمت ولم يتبق لدي الكثير، وقد أموت في هذه الحرب، على أي حال سأستطيع على الأقل تجاوز الحدود قليلاً مع بعض النبلاء، كانت مكانتهم الأعلى مني تعيقني على تجاوز الحدود، لكن الآن أنا حر في ما أريد قوله لهم.

حدثت سيباستيان المصدوم آمراً :

ـ سيباستيان اتصل بالخياط أريده أن يكون أمامي غداً في التاسعة صباحاً.

انحنى سيباستيان مطيعاً:

ـ أمرك سيدي، أي أوامر أخرى؟

ـ لا.

رددت.

انصرف من الغرفة تاركاً إياي أغرق في بحر أفكاري الأبدي."

كما ترون جميع أبطالنا غارقون في أفكارهم اللامنتهية، والتي تلاحقهم ليل نهار.

في كتيبة جنود نبلورد الشمالية

يقف جاك من أعلى الجبل يشاهد جنود يتدربون حتى يحققوا النصر لهم.

جاء مساعده على عجل وقالت:

ـ سيدي نحن في كارثة.

حول نظره على مساعده، ببرود قال:

ـ ماهي هذه الكارثة التي جعلتك تقطع كل هذه المسافة إلي؟

هل عاد ڤيكتور واستعاد شيئاً سيطرنا عليه؟

ابتلع مساعده ريقه وقال:

ـ بل أكثر، ڤيكتور تعافى وكأنه لم يكن مصاباً، وأيضاً الخميس القادم ستقام مأدبة على شرفه.

انصدم جاك من كلام مساعده فهو تأكد أن ضربته أن لم تكن مميتة فهي ستجعل من ڤيكتور طريح الفراش لسنة أو أكثر بسبب الماء المقدس الذي دعم به سيفه.

احتفظ ببروده وسأل:

ـ وما سبب المأدبة؟

قال مساعده:

ـ أقامها الإمبراطور معلناً إعطاء الكونت ڤيكتور لقب الأرشيدوق.

مشى جاك مبتعداً قليلاً عن مساعده وسأل:

ـ كيف أصبح بين ليلة وضحاها أرشيدوق؟

ـ أجاب مساعده جاهلاً:

ـ لا أعلم سيدي، كل ما أعلمه أنه سيتوج كأرشيدوق وقد تأتي الآنسة تيا حتى يتم تتويجها كأرشيدوقة بما أن زوجة الدوق متوفية وهو أعزب.

ابتسم جاك بجانبية عندما سمع اسم تيا وقال:

ـ أما زال كميننا في مكانه؟

رد مساعده:

ـ نعم سيدي، الجنود ينتظرون عربة كارتلوس حتى يقبضوا عليها.

أعاد جاك نظره إلى الجنود وقال:

ـ دعوا أمير ستوك كما هو، لا تجلبوه لي لأنه لا يهمني، كل ما أريده هو حسناء أكستاڤو حتى نلهوا مع الأرشيدوق ڤيكتور.

انحنى مساعده مغادراً قمة الجبل تاركاً سيده يخطط بشر حتى يوقع بطلتنا المسكينة.

ـ تيا ليس هكذا كم مرة سأخبرك؟

رمت تيا سيفها وجلست متربعة في منتصف ساحة التدريب وقالت:

ـ لقد سئمت لا أريد بث أي مباركة في هذا السيف.

نهضت ستيلا من كرسيها وتوجهت حيث تيا وقالت:

ـ أتريدين الموت على يد جاك؟

وقفت تيا واضعة يديها على خصرها وقالت:

ـ لا بالطبع لا، لكنني سئمت من تدريب المباركة لا يمكنني اتقانه!!. إنه صعب جداً، وأيضاً ستيلا الجميع يعرف أنه يستحيل على مصاص دماء أن يبارك أحداً، فقط كهنة المعبد يقدرون على هذا، إضافة إلى السحرة.

ـ وهل نسيتي آنستي أنك نصف ساحرة والنصف الآخر مصاصة دماء؟.

قلبت تيا عيناها وقالت:

ـ ستيلا حفظت هذا الدرس سبعين مرة. أنا لم أنسَ لم أنسَ، لكنني لست ساحرة نقية حتى!.

استسلمت ستيلا وقالت:

ـ لا فائدة من تدريب المباركة، لكن على الأقل تستطيعين الآن التحكم بقوتك، وتقريباً نجحت في مباركة نفسك.

ابتسمت تيا وقالت بصوت خافت:

ـ رائع وأخيراً أستطيع الذهاب إلى السوق.

سمعت ستيلا كلام تيا سألت:

ـ لماذا تريدين الذهاب؟ لم يتبق على رحيلك سوى يوم، بالكاد يكفينا لتوضيب أغراضك.

قالت تيا بغضب:

ـ أتريدين مني حضور تتويج أبي بثوب قديم؟ وهل سأذهب خالية الوفاض إليه؟ حتى أعداء أبي قدموا له الهدايا.

أومأت ستيلا برأسها باسمة بعد فهمها أفكار تيا.

أردفت تيا بعد صمت قصير:

ـ سأذهب لأستحم وأنت كذلك ستيلا، وبعد هذا سنذهب للسوق، لا يزال اليوم بأوله.

ألقت تيا أوامرها وغدت تمشي للقصر لكن استوقفها سؤال مباغت.

سألت ستيلا بشك:

ـ تيا هل كنت تتعمدين عدم إتقان مباركة السيف كي نذهب إلى السوق؟

التفتت تيا إلى ستيلا وقالت:

ـ بحقك ستيلا لما سأتهرب ولا أتقن شيئاً يفيدني؟ أنهت جملتها بضحكة متوترة.

ضيقت ستيلا عينيها وأطالت التحديق بتيا ولم يزد هذا الأمر الأخرى إلا توتراً.

بعد برهة قالت ستيلا:

ـ حسناً إذن سأنتظرك حتى تنتهي.

تنفست تيا الصعداء وأكملت سيرها تغني وتقفز بين الحين والآخر إلى أن وصلت إلى غرفتها.

سحقاً لكل هذا. صرخ لواف رامياً كل ما على مكتبه من أوراق مع انتفاض القابع أمامه.

قال كريستيان بخوف:

ـ سيدي عليك أن تلغي رحلتك إلى أكستاڤو، فهي ستشكل خطراً على ستوك وأهلها.

ضرب لواف مكتبه بقبضته ضربة أفجعت كريستيان المسكين وقال:

ـ كريس كيف لي أن أرسل تيا لوحدها وأنا أعرف أن ذلك اللعين جاك يريدها رهينة؟

حاول كريستيان جمع شتات نفسه وقال:

ـ لكن سيدي الآنسة تيا تفوقهم قوة وأنت أعلم مني بهذا.

مسح لواف وجهه مخففاً من غضبه وقال:

ـ هي حتى لا تستطيع التحكم بقوتها جيداً، ستؤذي نفسها ومن حولها. إن قوتها لا يستهان بها.

ـ سيدي لكن ستوك تنهار تدريجياً وعلينا السيطرة عليها وإلا سنفقدها.

اتكأ لواف على مكتبه وقال:

ـ كريس أنا مشوش، أبي ذهب وترك كل المسؤوليات والعلاقات لي، كيف لي أن أحدد موقفي؟ ما زلت شاباً طائشاً لست حتى بربع حكمته.

عم الصمت فلا أحد منهما يستطيع التفكير بهدوء، أحدهما خائف من سيده والآخر مشوش بين أعز أصدقائه وشعبه.

أردف لواف بعد صمت طويل:

ـ كريس كثف الجنود في حدود ستوك كلها وزد من المساعدات العسكرية، وقسم الجنود والفرسان إلى مناوبات لتفادي الهجوم المفاجئ. تستطيع الذهاب الآن.

انحنى كريستيان وقال:

ـ أمرك سيدي.

خرج بعدها من الغرفة تاركاً أميرنا في دوامة أفكاره.

رمى لواف نفسه على الكرسي مستسلماً لكل هذه المسؤوليات التي رماها والده عليه وهو لا يزال في سن صغيرة.

علق نظره على الأوراق المبعثرة أمامه على المكتب وحدث نفسه:

"هل من الصحيح ترك تيا تذهب لوحدها؟ لكنني أقسمت أنني سأحميها. لا أستطيع أيضاً التضحية بشعبي، كيف لي أن أختار بينهم؟؟. آه سحقاً لكن هذه الأفكار، وسحقاً لنا لبدء الحرب بيننا وبين السحرة، لو أننا التزمنا بالهدنة لما كان ليحدث ما يحدث الآن. ذهبت أرواح الآلاف والآلاف من الأبرياء بسبب جشع كبيرنا بالسلطة، فكبرياؤه لا يسمح له بالاستسلام لبشري لا حول له ولا قوة. وماذا نلنا من فعلته؟ لا شيء سوى الخوف المستمر من الموت، حتى في قصري أخاف أن يطعنني أحد بماء مقدس وتكون نهايتي. سحقاً لهم ولسلطتهم التي لا تغير البلاد، لا يوجد أجبن من إمبراطورنا اللعين الذي بسببه حدث هذا كله. أتمنى لو أننـ ..."

توقفت محادثة لواف مع نفسه عندما سمع صوت طرق الباب.

ـ تفضل.

دخلت تيا بطاقة كبيرة وقالت:

ـ الأرشيدوقة تيا تحييكم.

ابتسم لواف بسبب ضحكاتها التي لم تزده سوى ألماً.

تقدم إليها وركع بركبة واحدة ممسكاً يدها يحييها تحية النبلاء وقال:

ـ لي الشرف سيدتي.

ربتت تيا على رأسه وقالت:

ـ رائع جرو لطيف مطيع!.

سرعان ما تلقى لواف كلماتها واقفاً يحدق بها بغضب وقال:

ـ أوي تيا من هو الجرو المطيع؟

ارتبكت تيا من نظراته وقالت:

أ..أ..أقصد بكلامي جيرالد كلب الحديقة، إنه لطيف حقاً.

أطلق لواف ضكحة طويلة بسبب ملامح تيا المتوترة والخائفة.

لم تفهم تيا سبب تقلبه المخيف هذا.

نظر لها لفترة قصيرة يحاول تحديد قراره وقد اتخذه فعلاً.

عانقها وبداخله ألم شديد لأنه سيتركها تواجه الخطر لوحدها.

استغربت تيا من تصرفاته الغريبة. سألته قلقلة فقط طال عناقه وصمته:
ـ لواف ما بك؟ هل من خطب ما؟.

لم يستطع الصمود أكثر وانهار باكياً على كتف تيا الذي لطالما كان ملجأه حين يريد البكاء.

سيطر الخوف والقلق على تيا وقالت بصوت عالي:

ـ لواف ما الذي يجري؟

لم يقوَ لواف على الكلام وكأن دموعه تقول كل ما بداخله ولا أحد يفهمها سواه، وهذا يؤلم أكثر وأكثر.

طبطبت تيا على ظهره وملامح الخوف لم تزل عن وجهها، لكن انتظرت حتى ينطق هو.

بعد مدة قال لواف بين دموعه:

ـ كيف لي يا تيا أن أختار بين حمايتك وخسارة شعبي أو حماية شعبي وخسارتك أنت؟ أخبريني كيف لي؟

تصنمت تيا في مكانها بعد سماع كلام لواف، أدركت أنها السبب في حالته هذه.

أبعدت لواف عنها ونظرت للفراغ لوهلة وأسرعت بخطاها مبتعدة عن مكتب لواف بكامل سرعتها.

تركض غير هابئة بمن وبماذا تصطدم، تريد فقط الوصول إلى غرفتها.

لا تصدق أنها السبب بألم صديقها الوحيد، حالته تلك... إنه يتألم بسببها.

يحتار في حماية شعبه لأول مرة بسببها، "لست سوى مصدر ألم للجميع".

هذا ما قالته عندما وقفت ممسكة بمقبضي باب غرفتها مسندة رأسها على الباب سامحة لدموعها بالنزول.

يمشي وعلى يمينه ويساره جميع الخدم يحيونه بعد أن نجى من الموت. جميعهم منحنين لا يتجرؤون على رفع رؤوسهم إلى أن يبتعد عنهم، ومن خلفه سيباستيان. وصل إلى بوابة القصر فالتفت مظهراً وجهه فانحنى سيباستيان احترامًا لسيده الذي أصبح وجهه مقابلاً له.

وقف ڤيكتور بهيبته المعتادة وقال محدثاً الخدم:

ـ رجاءً لينظر الجميع لي ويصغي جيداً لما سأقوله.

حول الجميع نظرهم إلى ڤيكتور، نظر إليهم وقال:

ـ كما تعلمون مضت مدة طويلة على إصابتي. وأنا الآن معافى وسأرجع الاستقرار إلى البلاد، وأيضاً أعلم أن جميعكم وصلكم خبر تعييني كأرشيدوق، وستقام مأدبة تتويجي رسمياً الأسبوع القادم يوم الخميس. أعلم أن جميعكم خائفون وقلقون على عائلاتكم بسبب الحرب، ولكن أنا ڤيكتور دادلي أقسم بحياتي لكم، وأقدم حياتي على هذا القسم، لذا أعطوني ثقتكم وسأكون عند حسن ظنكم. سعيد برؤيتي للجميع بعد هذه الفترة الطويلة، شكراً لجهودكم في المحافظة على هذا القصر، ـ أمسك بكتف سيباستيان وأكمل ـ وأقدم جزيل الشكر لسيباستيان الذي اهتم بشؤون القصر وكان أهلاً للمسؤولية.

أنهى ڤيكتور كلمته وأكمل سيره للخارج راكبًا عربته، متوجهاً للقصر الإمبراطوري.

دخل ذلك القصر الشاهق من ورائه الحراس يقودونه إلى سيدهم.

يقف على يمينه سيباستيان المتخوف من هذه الزيارة في ساعة مبكرة من الصباح.

يمشي ڤيكتور بكل ثقته وهيبته المعتادة، ولا يبدو عليه أنه كان طريح الفراش لفترة.

صحيح أنه قد أصابه شيء من الهزل، لكن هذا لم يطغَ على بنيته الضخمة نوعاً ما.

وصل إلى ذلك الباب الذي لطالما كره العبور منه.

انحنى الحارس باحترام لڤيكتور ثم هم يفتح الباب له.

ما ان رأى ڤيكتور ذلك البساط الأحمر الذي يغطي أرضية الغرفة، وذلك الكرسي المملوء بأنواع لا تخطر على البال من الأحجار الكريمة، وأخيراً ذلك الشخص.

انقبض قلب ڤيكتور حالما تلاقت نظراته به. حافظ على بروده ودخل الغرفة باتزان وتقدم إلى أن وصل إلى تلك الدرجات المؤدية إلى الكرسي.

ركع ڤيكتور على ركبته اليمنى وقال:
ـ أحيي شمس الإمبراطورية، شرف لي دعوتك.

ابتسم الجسم الجالس على الكرسي وقال:

ـ أهلاً بعودتك ڤيكتور، افتقدتك كثيراً.

ما زال رأس ڤيكتور منكساً للأسفل، لم يرفعه بعد.

قام الإمبراطور من كرسيه وتوجه حيث ڤيكتور وأردف ممسكاً بكتف ڤيكتور:

كما تعلم، الخميس القادم سيكون تتويجك بلقب أرشيدوق أكستاڤو، لم أمنحك هذا المنصب عبثاً، إضافة إلى مهاراتك التي لا أنكرها. سلمتك سلطة حتى تستطيع تنفيذ ما آمرك به دون عوائق. التمس خاتم تموضع على سبابته وأكمل: كما تعرف أستطيع تحويلك لوحش حقيقي بمجرد رفع بصرك لي. ولأنني أحبك جداً، في حال حصول وحولتك إلى وحش، بالطبع لن تستطيع العيش ثانية، لذلك سألحق ابنتك بك. لا أريدها أن تتعذب بموت والدها أمامها.

أنهى كلامها بابتسامة خبيثة.

امتقع وجه ڤيكتور، ربط لسانه... لم يعد قادراً على الكلام.

استطرد الإمبراطور بضحكة صاخبة:

ـ لا تستطيع الكلام صحيح؟ خطؤك أن تلاقت نظراتنا وأنت لا ترتدي القلادة الحامية مني.

تعالت أصوات ضحكاته أكثر من ذي قبل، وڤيكتور يحاول جاهداً القيام برد فعل واحد لكن حلت عليه لعنة نظرة كانت في أقل من ثانية.

اضطراب ملحوظ يعلوا ملامحه رغم محاولته التماسك.

نزل الإمبراطور لمستوى ڤيكتور قاصداً صنع تواصل بصري بينهما، رغم محاولة ڤيكتور في تفاديه قدر الإمكان. ثبت الإمبراطور رأسه ممسكاً إياه من شعره، نظر في عيني ڤيكتور المضطربة وقال بصوت خافت قرب وجهه:

ـ أشعر بالأسى على فتاتك، لا تدري ما ينتظرها في المأدبة، تظن أنها دعوة بريئة مني. أشعر بالحماس، سيكون الخميس ممتعاً جداً. لن أفوت فرصة السيطرة عليها بعد كل الجهد الذي بذلته وأنا أحاول إيجادها. إن كنت تريد تفادي فضيحة أنك تعلم علمًا تامًا بهروبها ورغم ذلك تركتها، أطعني وإياك وعصياني، فلن تسلم مني. أتعلم ما هو أكثر شيء أحب النظر إليه؟ هذا الوجه الثابت الصارم الذي لا يعرف الخوف، أحب رؤيته مضطرباً خائفاً. ستبقى تلك نظراتك في كل مرة تتلاقى عيناي بعينيك دون قلادة حامية. ستزيد المتعة عند قدوم ابنتك التي تحمل ذات النظرة.

أمقت نظراتكم يا عائلة دادلي. لن أغفر لكم حتى عند مماتكم، فمماتكم قبلي لا محالة، لأنه سيكون على يداي وأمام ناظري.

مهما حاولت التماسك خارج هذه الغرفة ومهما بدوت مخيفاً للجميع بنظراتك تلك لن تقدر على هذا في منطقتي، أنا الوحيد الذي أرى ضعفك يا من تخافك قبائل وشعوب.

انتهى رامياً جثة ڤيكتور على الأرض يضحك بصخب على انتصاره.

كان اضطراب ڤيكتور يزيد مع كل ثانية تمضي وهو ينظر إلى عيني الإمبراطور.

ازدرد ريقه بصعوبة وحاول استعادة توازنه وهم خارجاً بأسرع ما يملكه دون أن ينطق بحرف.

فور خروجه من ذلك الباب أحس كأنه سجين فكت قيوده.

تنفس الصعداء يحاول السيطرة على اضطرابه يمشي غير مبالي لسيباستيان الذي انهال عليه بالأسئلة بعد رؤيته لحالة سيده الفوضوية.

نطق ڤيكتور بصوت عالي دون تفكير:

ـ لا يجب على تيا الحضور، علي منعها بأي طريقة، ذلك الحقير لن يدعها سالمة إن خطت داخل قصره.

أمسك رأسه يحاول التفكير بطريقة يمنع بها تيا من المجيء إلى هنا.

دار حول نفسه باضطرابه الذي لم ينقص بدرجة بل زاد بدرجات. يبدو أنه غائب عن العالم لأن المدعو سيباستيان جف حلقه وهو يحاول فهم ما الذي حل به حتى أصبح بهذا الشكل الفوضوي. قال سيباستيان بصوت عالي:

ـ سيـــدي.

انتبه وأخيراً له. حدق به مستغرباً، لأول مرة يرفع صوته عليه.

تنهد سيباستيان يعدل من هندام ڤيكتور وشعره المبعثر مردفاً:

ـ ما الذي دار بينكما لتخرج بهذا الشكل الفوضوي؟ وما شأن الآنسة الصغيرة بالموضوع؟ ولماذا لم تستمع إلى نداءاتي المتتالية؟

حاول ڤيكتور استيعاب ما جرى داخل تلك الغرفة المشؤومة. يحاول استرجاع الكلمات، لكن جملة واحدة فقط ترن في عقله تأبى الرحيل "ستزيد المتعة عند قدوم ابنتك".

حاول ڤيكتور جاهداً إخراجها من عقله حتى يسترجع ما قيل له، لكن بقت ترن وتعاد في ذهنه مشكلة صدى صوت أرهق عقله.

جاءت في مخيلته صورة وهي تعاني كما هو يعاني في كل زيارة خاصة به عند الإمبراطور. نزلت عبراته من المشهد الذي تخيله. ابنته تخضع لذلك اللعين كما هو يخضع له تماماً. آلمه قلبه عندما رآها تنظر بتلك العيون الخائفة المضطربة. دائماً ما شاهد فيها عيوناً تحمل ذات نظرات عيونه، ثقة، قوة، شجاعة، وأخيراً تخيف كل من يتحداها. لأول مرة تنظر بعيون خائفة سيطر عليها الاضطراب والدموع تملؤها كما لو كانت شلالاً يسكن في عينيها.

انهار فور تخيله ذلك. أمسك به سيباستيان قبل سقوطه وقال بجرأة لم يحسب ڤيكتور أنه يملكها:

ـ لا أدري ما الذي جرى بينكما من حديث، لكن ما أعرفه أنك لست سيدي ڤيكتور. أين سيدي الذي يهابه الجميع؟ وما الذي حل لجبلك؟ هل اهتز بهذه السهولة من أول ريح أضرمت قمته؟ أين الشخص الذي لم أرَ يوماً نظرة خوف أو عبرة واحدة تنزل من عينيه؟ ارتفع صوت سيباستيان وأكمل: أين ذلك السيد الذي أقسمت له بحياتي وجعلت منه قدوتي؟ أين ذلك الرجل القوي الذي كان كل فارس في هذه الإمبراطورية يتلهف لتلقي نصيحة واحدة منه؟ أنت لست ڤيكتور دادلي، أنت لست هو. أنت مجرد ضعيف سيطر عليه شخص وجعله يفقد عائلته من زوجة وابنة وكل حبيب له. إن كانت هذه حقيقتك فلا أريدك سيدًا لي بعد الآن.

أنهى كلامه يلهث محاولاً التقاط أنفاسه. نظر نظرة أخيرة في عيني ڤيكتور وأفلت يده جاعلاً منه منهاراً على الأرض لا حول له ولا قوة.

ابتعد سيباستيان ولم يلقِ نظرة للوراء. آلمه مظهر سيده ذاك.

تمنى أن تؤتي كلماته ثمارها وأكمل سيره للعربة ينتظر سيده.

اختفى صدى العبارة التي عنى الإمبراطور بها تيا وحل مكانها صدى كلمات سيباستيان. أحس ڤيكتور لأول مرة أنه عاجز بشكل لا يصدق. تتردد كلماته وكأنها عقاب له. يستند بيديه ورأسه للأرض مفتوح العينين عندما استوعب أنه فقد ثقة شخص سيضيع بدون مساعدته.

حاول ڤيكتور استعادة رباطة جأشه. وقف مشدود الظهر يعدل من ملابسه وشكله معيداً نظرات عائلته المتوارثة آخذاً قراره بوضع حد لذلك الإمبراطور.

عادت مشيته المستقيمة المليئة بالرزانة والهيبة. لمحه سيباستيان بابتسامة عندما رأى هالته المعتادة. شعر بفخر أنه أيقظ سيده من غفلته.

وقف ڤيكتور أمام سيباستيان وربت على كتفه مبتسماً له ليركب العربة.

أحس سيباستيان بالأدرينالين يتدفق في جسده وكاد يطير من الفرحة، لأول مرة يرى ڤيكتور يبتسم ولمن؟ له هو شخصياً!. سيتباهى بهذه المعجزة أمام جميع الفرسان والخدم والحرس وكل من في قصر دادلي.

لا ينكر ڤيكتور انزعاجه من الطريقة التي خاطبه بها سيباستيان والتي بنظره قليلة الاحترام بسبب فجوة العمر بينهما، لكن لو أنه لم يبح بتلك الكلمات لما استعاد ذاته.

لم يمضِ الكثير على توظيفه لسيباستيان بعدما طرد مساعده الذي كان مساعد والده في الأصل. رشاه بعض النبلاء ليوقعوا بڤيكتور.

أعجب بسيباستيان من لقائه الأول به. رغم ظنه أن مساعدًا شابًا لن يزيده سوى أعباءً أخرى، لكن سيباستيان أثبت العكس.

الروح الشبابية فيه أضافت متعة أكثر في محيط العمل. كان سيباستيان شاباً ذكياً متزناً والذي لم يفكر فيه ڤيكتور أن يكون هكذا ولو لمرة، لأنه رأى الكثيرين قبله وكلهم كانوا أغبياء مستهترين. حتى ابنته تيا التي كانت تبلغ الخامس عشرة من عمرها كانت تفقه أكثر منهم.

سيباستيان كان مختلفاً، أحبه ڤيكتور واعتبره كأخاه الصغير فقد كان أكبر من أن يكون كابنه. كان يحترمه أكثر من أي شخص آخر من الذين يعملون عنده.

كان أصغرهم سناً لكن أعقلهم. كبر بعينه أكثر عندما رأى تعامله مع تيا ابنته.

كان يدافع عنها عندما يتفوه أحدهم بسوء، ودائماً ما كان يسمعه وهو يثرثر مع أحدهم عن مدى إعجابه به هو سيده، يراه مثله الأعلى دائماً، لم يسمع ڤيكتور يوماً أنه قال كلمة سيئة بحقه.

عندما سمع كلماته اليوم عاد له شعوره في الليلة التي حررت تيا فيها قواها.

رغم أنها لم تقل له كلمة، لكن نظرة البرود الخالية من المشاعر عندما فصلت عناقه كانت كافية لتدميره. تنهد يرجع رأسه إلى الوراء يغمض عيناه يحاول الاسترخاء قليلاً من الأحداث المتعبة لهذا اليوم.

وصل وأخيراً إلى منزله بعد ساعتين كاملتين من الجلوس على ذلك الكرسي المؤلم للعظام.

دخل إلى قصره وأحس بشيء من الغرابة فيه. أسرعت له كبيرة الخدم وقالت:

ـ سيدي وصلتك رسالة من ستوك، وضعتها على مكتبك.

استقبل ڤيكتور كلماتها راكضاً إلى مكتبه يدعو أن يكون ما يفكر فيه خاطئاً.

دخل مكتبه بهمجية وتوجه بسرعة إلى الظرف وياللحظ!.

يبدو أن مخاوفه تحققت. ميز خطها من أول حرف وقعت عينه عليه، لديها خط مميز لم يرَ مثله من قبل. قرأ اسمه الذي على الظرف، التمسه ببطئ مع شعوره المفاجئ بغصة تجتاحه. ابتسم عندما انتبه إلى تلك الزهرة المجففة وطريقة تزيين الظرف له.

وضعت زهرته المفضلة وهي جولييت، الاسم الأول لها. أحب ڤيكتور هذه الزهرة لندرتها وعندما ولدت تيا أحس أنها نادرة، لكن لينا اعترضت وفي النهاية سميت بتيا.

أخذ ڤيكتور يتأمل الزهرة لفترة، رجعت له ذكريات لقاءه الأول مع لينا ويوم زفافهما... ويوم فراقها.

سحب الورق من الظرف وأعاده للمكتب وأخذ يقرأ الرسالة:

"كيف حالك أبي؟ أعلم أنك استيقظت أخبرني لواف.. أو ستيلا لا أذكر. هل تعلم، من الرائع أنك أفقت قبل قدومي، كنت سأنهار أمامك، لن أستطيع منع نفسي من البكاء. مجرد تخيلي لك على السرير غائباً عن الوعي كان يفطر قلبي. ماذا سيحل بي إن رأيتك؟.

كنت سآتي قبل يومين، لكن بسبب غلطة ستيلا باستخدام سحر الانتقال عرفنا أن جاك يريد جعلي رهينة حتى يستدرجك".

توقف ڤيكتور يحاول معرفة ما يحصل هنا، كيف لستيلا أن تستخدم سحر الانتقال؟ كيف لها أن تستخدم السحر من الأساس؟ يستحيل هذا على أي مصاص دماء مهما بلغت قوته!!. قلة هم الذين يستخدمونه ولكن لمسافات قصيرة، أما ما قطعته ستيلا فإن هذا مستحيل! أحس بالشك يتسلل إليه وحاول هو بدوره إبعاده عن عقله.

تابع قراءة الرسالة:

"بعد معرفتنا بهذا الشيء، قررنا (أنا ولواف) أن نؤجل الرحلة حتى نعد خطة محكمة كيلا أقع في شباك المدعو جاك. هل تعلم، أريد تمهيدك لموضوع ما، لا أريدك أن تنصدم عندما تراني. غيرت بعض الأشياء في شكلي لأنني خفت من أن يتعرف علي أحد عند قدومي لأكستاڤو. كنت سأتنكر، لكن لا حاجة لذلك الآن. سأخبرك ما الذي فعلته. لقد قصصت شعري إلى رقبتي... ربما أقصر بقليل، وأيضاً صبغت شعري للون قريب إلى شعرك. سينصدم الجميع عندما يروننني.

صحيح، بابا أي لون تفضل؟ الأزرق أم الأبيض؟ لحظة... ما الفائدة من سؤالك؟

ستصلك هذه الرسالة يوم عودتي، أو قبله بيوم، يالي من غبية!.

أريد أن أقول شيئاً لك، لكن أرجوك تنفس بعمق قبل أن تكمل قراءة الرسالة.

أرجع ڤيكتور الورقة إلى الوراء سامحاً للأخرى بالظهور.

وأول ما كتب فيها:

إنه أمر يا ڤيكتور دادلي! هيا نفذه.

ضحك ڤيكتور على طفولية ابنته، وامتثل إلى أمرها وأخذ نفساً عميقاً ثم زفره وأكمل قراءة الرسالة بحماس:

صحيح أنني أغضب من تصرفاتك تجاهي، لكن لأكون صادقة... لم أرتح يوماً وأنا بعيدة عن البيت. أعلم أنك تحبني أنا وأمي وأشعر بشيء يتحكم بك ويرغمك على هذا.

أعدك أنني سأكتشفه وأبيده من الوجود. أنا الآن أمتلك قوة تضاهي قوتك أنت وجاك معاً تخيل! سأنتقم لك أقسم.

وأنا أحذرك، إن لم تستقبلنِ بهدايا من أول شبر في غرفتي إلى آخر واحد.

أيضاً عليك أن تحضنني وكأنني أعظم ما تملك ولا شيء ينافسني بحبك لي.

أريد أن أشعر بمشاعرك أبي.

مدللتك الوحيدة والأبدية: تيا".

نزلت دموع ڤيكتور تأثراً بكتابات تيا.

أحس بالخزي من نفسه. حاول إخفاء ضعفه أمام ابنته، لكن المكابرة لم تحدث شيئاً سوى الخطر على تيا.

حاول التماسك لكن كلماتها الأخيرة أثرت في بشكل كبير.

يعيد قراءتها مع تتابع قطراته بالنزول، قال بين شهقاته:

ـ سأستقبلك بأفضل الهدايا وأغلاها، وسأعانقك بين يدي إلى أن تملي مني.
أنت من أخذت حبي كله واستحوذت على قلبي حين حملتك أول مرة وأمسكت خنضري بيدك الصغيرة المحمرة. لا تخافي حتى أمك التي أحببتها وظننت أن أحداً لن يتفوق عليها، لكن عند رؤيتك أول مرة رميت كلامي بعرض الحائط. أتذكر إلى الآن شكلك المحمر عندما أمسكت بك أول مرة، لم يمض على ولادتك سوى دقائق قليلة. منذ صغرك وأنت تتمتعين بالهدوء، لم تبكِ كثيراً يوم ولادتك، وطفولتك كلها. أتعلمين لقد...

توقف ڤيكتور فجأة وابتسم ساخراً من نفسه. لوهلة ظن أنها تقف أمامه، لو أكمل لم يكن لينتهي حتى بزوغ فجر يوم غد.

أخرج منديله من جيب سترته يمسح وجهه المغطى بالدموع.

تحمحم يرجع صوته مخفياً بحة البكاء وصرخ منادياً:

ـ سيباستيـــان.

قدم المعني بعد ثوانٍ مستجيباً إلى نداء سيده.

دخل سيباستيان وانحنى باحترام قائلاً:

ـ أمرك سيدي.

صمت ڤيكتور لحظات وهو يفكر بالأشياء التي سيجلبها وفي هذه الأثناء رفع سيباستيان رأسه وانتبه إلى عيون سيده الحمراء إثر البكاء.

عرف سيباستيان على الفور أن هذه الرسالة من تيا، واحتفظ بأسئلته لنفسه.

قال ڤيكتور بعد صمت قصير متخذاً القرار:

ـ إذهب إلى متجر سانتيلا واشتري جميع الملابس التي في على مقاس تيا وأخبر الخدم أن ينظفوا غرفة تيا بعمق. سأذهب أنا إلى سوق المجوهرات.

صدم سيباستيان وقال:

ـ سيدي هل أنت متأكد من موضوع سانتيلا؟.

رمقه ڤيكتور بنظرات حارقة، فأشاح بنظره مسرعاً وأردف سائلاً:

ـ كـ...كيف لهم أن يعرفوا مقاس الآنسة تيا؟

ـ تيا دائماً ما تشتري منه، هم يعرفون مقاسها. لا تنسَ أريد كل الفساتين هنا في القصر غداً قبل حلول السابعة مساءً. سأسبقك إلى العربة لا تتأخر.

ابتسم ڤيكتور أثناء كلامه وأحس سيباستيان بشيء مختلف في تصرفات سيده.

لم يصدق أن هذا الرجل الذي تجدد شبابه ببعض الكلمات من ابنته هو ذاته الذي كان منهاراً في قصر لإمبراطور قبل ساعتين. الساعة الآن تشير إلى الحادية عشرة ما قبل الظهر، ليس لديهم متسع من الوقت!. ألقى تعليمات ڤيكتور عند أول خادمة اصطدم بها وأكمل سيره لاحقاً سيده الغريب.

***

وصلت العربة إلى السوق المركزي بعد نصف ساعة.

نزل ڤيكتور منها وقد أحس بحماس غريب لأول مرة يشعر به.

نزل سيباستيان من مقعده المجار للسائق واقفاً أمام سيده.

تنفس ڤيكتور وقال بحماس:

ـ سنفترق هنا، لكل منا وجهة مختلفة. أشار ڤيكتور بإصبعه إلى اليمين مكملاً:

ـ سأسلك هذا الاتجاه المؤدي إلى سوق المجوهرات، أما أنت ستكمل طريقك للأمام وستجد متجراً كبيراً كتب على لوحته بالخط العريض "سانتيلا".

أومأ سيباستيان علامة فهمه كلام ڤيكتور ومشى كما وصف له.

بعد أن تأكد ڤيكتور أن سيباستيان لا يريد قول شيء، سلك هو طريقه.

وصل ڤيكتور بعد خمس دقائق سيراً إلى متجر يسمى "مجوهرات ريجلهوف".

دخل إليه يرى ما لديه من أشياء قد يشتريها، كان فارغاً ولا يوجد بائع فيه.

وجد العديد من المجوهرات، لكن لا أشخاص فيه. تجول فيه ڤيكتور قليلاً يتفقد مافيه من أشياء، لم ترقه المجوهرات، فقد كانت كلها ناعمة وأحجارها الكريمة صغيرة، ولم تكن تظهر ذلك اللمعان الذي يبحث عنه.

بعد مدة من التجول والتذمر من تلك المجوهرات، توقف أمام عقد مختلف عن جميع ما رآه، عقد من الألماس الأزرق. تأمله ڤيكتور لمدة، ينظر للعقد باندهاش، إنها المرة الأولى التي يرى فيها الماس الأزرق. أمسكه بين يديه يتفحصه متأكداً من حقيقته.

ليس خبيراً، لكن لمعة كهذه مهما حاولوا لن يستطيعوا تزييفها.

هذا ما كان يريده، عقد يلمع بشدة كابنته، إنه يليق بابنته، يتماشى مع لون عينيها.

أرجع ڤيكتور العقد إلى مكانه وقرر الخروج للسؤال عن الشخص الذي يدير هذا المتجر. كان على وشك الخروج عندما فتح الباب من قبل رجل قصير القامة تفوح منه رائحة الكحول. تضايق ڤيكتور من رائحته، تراجع للوراء مفسحاً له المجال للدخول.

قال ڤيكتور:

ـ أريد عقد الماس الأزرق.

نظر له الرجل وتقدم إلى طاولة البيع ولحق به ڤيكتور.

لم يكن ثملاً ربما شرب كأساً مع وجبة غدائه، هذا ما قاله ڤيكتور لنفسه.

أعاد ڤيكتور كلامه مؤشراً على العقد:

ـ أريد شراء هذا العقد من الماس الأزرق، سأدفع لك المبلغ أياً كان.

ـ ما الذي يضمن لك أنه أصلي ولست أخدعك؟

أجابه ڤيكتور بنبرة استنتاجية:

ـ لست خبيراً جداً، لكن أعتقد أنني قادر على تمييز لمعان الأحجار الكريمة.

ابتسم البائع وقال:

ـ سعر هذا العقد ألفاً وخمسة مئة قطعة ذهبية.

بدى للبائع أن ڤيكتور يفكر، وتوقع أنه سيغير رأيه ويخرج من المتجر، لكن صدمه برده:

ـ أشتريه بألفين وخمسة مئة قطعة ذهبية، ما رأيك؟

قال البائع بشيء من عدم التصديق:

ـ من أنت بحق خالق الجحيم؟؟!!.

وضع ڤيكتور الكيس الذي يحوي المبلغ وقال:

ـ ڤيكتور دادلي.

انصدم المسكين صدمة عمره، وانحنى على الفور مرحباً بڤيكتور.

أردف ڤيكتور قاطعاً كلمات الترحيب والتملق:

ـ ضعه في العلبة رجاءً، لا أملك الكثير من الوقت.

امتثل لكلامه وقام بوضعه في علبة مخملية سوداء كما السماء ليلاً.

أخذ ڤيكتور العلبة شاكراً البائع خارجاً من المتجر ذاهباً إلى غيره من المتاجر.

زار ما يقارب العشر متاجر، لكن لم يجد شيئاً بجمال عقد الماس الأزرق ذاك.

اشترى خاتماً وزوجاً من الأقراط، الخاتم كان ألماساً عادياً، أما القرطين فكانا من الياقوت الأخضر.

عاد أدراجه مستسلماً إلى العربة. أما سيباستيان، فلا شيء مميزاً حدث معه، فقد استجابت الآنسة سانتيلا مالكة المتجر لطلبه عندما ذكر اسم الكونت وعاد هو الآخر أدراجه وبقي ينتظر عودة سيده.

قررا لواف وتيا بعد نقاش طويل وحاد، حسم من قبل تيا، بأنها ستذهب صحبة ستيلا وهو سيبقى ليعتني بشؤون شعبه.

ركبت ستيلا العربة قبل تيا التي كانت تتلقى معلومات من قبل لواف الخائف.

وضعت تيا رجلها اليمنى على أول درجة من درجات العربة الثلاث، وقبل أن تكمل خطواتها، رفعت رأسها تلقي نظرة أخيرة على هذا القصر الذي لا تدري إن كانت ستعود له ثانية. حولت نظرها إلى لواف وابتسمت له ابتسامة وداع مكملة صعودها على سلالم العربة. دخلت العربة جالسة على المقعد المقابل لستيلا، تجتاحها مشاعر من الخوف والتوتر، مضافاً إليها الحماس للقاء والدها ورغبة الإنتقام من جاك.

أعادت رأسها للوراء مرخية جسدها على ذلك المقعد الصلب. تحركت العربة أخيراً متجهة إلى المكان الذي لم تتوقع تيا أن تعود له يوماً. كانت على وشك أن تغمض عيناها مستسلمةً للنوم، لكن تذكرت فجأة الرسالة التي أرسلتها إلى والدها، من المفترض أن تصله اليوم، أو أنها وصلته صباح أمس. تحمست تيا متخيلة ردة فعل والدها عندما يقرأ رسالتها، تساءلت إن كان سيحافظ على الظرف الذي تعبت حتى زينته لأنها سيئة عندما يتعلق الأمر بالأعمال اليدوية، بالإضافة إلى زهرة الجولييت التي عانت حتى تحافظ على رونقها دون سقوط ورقة واحدة منها أثناء تجفيفها.

انتقلت تتخيل أنواع الهدايا التي ستقدم لها، هل ستكون أنواعاً نادرة من الحلي المختلفة؟ أم تصاميم جديدة لم تطلق بعد؟ لربما يكون والدها أحضر كاهناً من المعبد حتى يحيط الحديقة بسحر الربيع؟ فهي تحب أن تكون حديقة القصر مزهرة على مدار السنة. ففي الشتاء تصبح الحديقة أشبه بأرض قاحلة ملأتها الثلوج، ولولا بعض الأزهار التي تنبت في الشتاء لكانت بالفعل أرض قاحلة، والدفيئة الصغيرة التي أنشأتها والدتها، لكان القصر حتمًا أشبه بالغابات في ليالي الشتاء.

أما الخريف فأوراق الأشجار تتساقط وهذا يصيب تيا بالإكتئاب.

أبعدت تلك التخيلات متنهدة بتعب. بعد عدة ساعات من سير العربة، قرر سائقها التوقف قليلاً لأن الأحصنة عطشة. روى السائق عطشها وأكمل رحلتهم.

استيقظت تيا إثر اصطدام رأسها بالنافذة بسبب الطريق المليء بالصخور كبيرة الحجم. ألقت نظرة على العالم الخارجي من خلال ذلك الزجاج العازل بينهما ممسكةً رأسها بألم. دقائق قليلة حتى عرفت أين هم الآن، من المفترض أن يظهر جنود نبلورد بعد ساعة من هذا المكان. عند خروجهم من هذه القرية، ستصادفهم غابة كثيفة الأشجار، وهذه الغابة هي المكان التي أعد فيها كمين نبلورد.

انحنت تيا ممسكة بقطعة القماش المرمية على الأرض، ليست قماشة عادية، لقد لف بها سيف مبارك، باركت تيا نفسها وستيلا وذلك السيف الذي قد يحتاجونه إذا ساءت

حالة تيا فجأة، استنزفت الكثير من طاقتها للمباركة، وهي خائفة من عدم قدرتها على استعمال قوتها كما ينبغي.

حركت تيا القابعة أمامها تخبرها باقترابهم من الغابة، لكن لا حياة لمن تنادي.

استسلمت تيا تاركة إياها نائمة، فقد نفذ صبرها وهي تحاول إيقاظها، اكتفت بإسدال قبعة عباءة ستيلا على رأسها مخفية ملامحها. عادت تيا تجلس على مقعدها تحضر نفسها، أمسكت القناع ـ الذي جلبته معها سابقاً ـ رابطة إياه من الخلف متأكدة من شكله بواسطه مرآة صغيرة. بعد ربع ساعة أعلن السائق أنهم وصلوا إلى المكان المنشود بضربه الأحصنة ثلاث ضربات خفيفة. وضعت تيا قبعة عباءتها بسرعة تمسك بالسيف محاولة السيطرة على خوفها. إلى الآن لم يعترض أحد طريقهم، أيعقل أنهم يستدرجونهم إلى وسط الغابة حتى لا يستطيع أحد النجاة؟ حتى لو استطاع الهرب من بين أيديهم، الغابة خالية من الحياة، سيموت لا محالة. إنها أشبه بمتاهة.

أحست تيا بوقع أقدام تكسر الأغصان المتناثرة من تحتها.

تأهبت متحولة مع إحساسها بإقتراب وقع الأقدام مع كل ثانية تمر. ويالللهول! لقد وصلوا بالفعل. أدركت تيا ذلك عند صراخ السائق معبراً عن ألم أصابه بسبب تلقيه ضربة من أحدهم. وضع واحد منه يده على مقبض باب العربة واستقبلته تيا بركلة من رجلها جاعلة منه يحلق في السماء ويرجع إلى الأرض ساقطاً فاقداً لحياته.

نظر باقي الجنود إلى مصدر الصوت مستغربين حدوث ذلك، أكثر من عشرين جندي يحيطون العربة منتظرين قائدهم حتى يجر رهينته بيده إلى مقره، لكن يالللمسكين لا يدري أنها من ستجره.

بثت تيا جزءًا من قوتها إلى السيف، مترجلةً من العربة مواجهة ذلك العدد الهائل من الرجال المسلحين. تغاضى جميعهم عن زميلهم الذي يتلوى متألما يلفظ آخر أنفاسه، تقدم آخر حيث تيا تقف على آخر درجة تفصلها عن الأرض، استقبله سيف يغرز في منتصف صدره، سحبت تيا السيف سريعاً جاعلة منه جثة هامدة. حطت قدماها وأخيراً على الأرض، أحاطها الجنود بسرعة من جميع الإتجاهات مضيقين عليها أكثر، هل تأثرت؟ أبداً. بدأت تجمع أكبر قدر ممكن من الطاقة بيدها حتى تبيد ما تستطيع منهم، تذكرت تيا كلام ستيلا عندما استخدمت قوتيها في آن واحد "فكري بشيء تكرهينه جداً"، أول ما جال في بالها هو جاك، فور أن أتى على مخيلتها توهجت عيناها بالأحمر الساطع إضافة إلى شعرها.

تجرأ أحدهم وتقدم إليها، لكن على الفور، بحركة واحدة من يدها، جعلته ومن خلفه طريحي الأرض. حاول باقي الجنود الصمود حتى الوقت الذي سيصل فيه جاك، لكن تيا كانت تخفيهم بسبب هالتها التي تحيط بها.

أطاحت بهم جميعاً، وانتقلت أرواح البعض إلى السماء.

كادت تعود إلى العربة، لكن استوقفها صوت صهيل قوي. التفتت وتلاقت بنظرات جحيم حياتها وحياة الآلاف غيرها لأول مرة، عندما رأت عيناه، تمنت في نفسها أن لا يكون هو. نزل من حصانه ملقياً نظرة على جنوده المهزومين من قبل فتاة واحدة. مشى فوق جثثهم التي تشكل عائقاً بينه وبينها، حيث كانوا متكدسين فوق بعضهم لا مكان للمشي، شعرت تيا بالمانا المنبعثة منه، تأكدت لحظتها أنه ليس سهلاً كجنوده. تمسكت بسيفها بقوة.

تفصل بينهما الآن جثتين، تسارعت دقات فؤادهما، لا يسمع سوى صوت أنفاس مضطربة. استطاعت تيا السيطرة على نفسها وتقدمت مصوبة سيفها تجاه قلبه، لكن استوقفتها تلك الطاقة مرجعة إياها إلى الخلف بضع خطوات.

ابتسم وقال بلطف مصطنع:

ـ كيف لك أن تغدري بي هكذا؟ ليس من الأخلاق يا صغيرة.

تجاهلته تيا مكملة محاولاتها في الوصول إلى ذروة قوتها، أحست بارتفاعها البسيط عن الأرض، ابتسمت راضية عما فعلته. فتحت عيناها تصوبهما على جاك واندفعت بسيفها إليه.

صد جاك هجمتها بسيفه في آخر لحظة، نظر إلى توهج عينيها بالأحمر لبرهة، وقد أحس بضعف مفاجئ، انزلق سيفه من يده ساقطاً على الأرض، بينما تراجع هو للخلف محاولاً الحفاظ على توازنه قدر الإمكان. استغلت تيا الموقف وغرزت السيف في بطنه بعمق وأخرجته بسرعة مخرجًا بدوره صوتًا تردد صداه على مسامع تيا.

بدأت الأشياء على الأرض ترتفع من حولهم واشتعل الشرار من تيا، لكن سرعان ما استطاعت التحكم بقوتها. حركت تيا بإيماءة من أصابعها الجثث مفسحة الطريق للعربة. توقفت عند جسده الهالك نازلة لمستواه مخبرة إياه:

ـ إياك والعبث مرة أخرى، لقد أشفقت بحالتك، ولم أرد أن أجعلك تتألم أكثر، ولم أمتك لأنني أريد منك أن تتعذب، فموتك ما هو إلا راحة لك. لا تنظر لي باستخفاف، فأنا أفوقك قوة يا قائد السحرة.

أدارت تيا جسدها عائدة إلى العربة، لم تلبث حتى أحست بيد تقبض على عنقها بأقوى ما عندها، أقسمت أنها تكاد تفصل رأسها عن جسدها.

ضحك جاك بصخب على تيا وقال كالمجنون:

ـ اعذريني سيدتي، ربما أحد لم يخبرك أنني ساحر من الدرجة الخامسة والتي لم يصل لها أحد سواي، كما أن سحري هو الشفاء، أتحسبين أنه يصعب علي شفاء الجرح الذي تسببت به؟ غبية، لا شيء يصعب علي شفاؤه.

حاولت تيا التملص من قبضته، خطرت في بالها فكرة، لعينيها تأثير على الذين ينظرون إليها مباشرة. بدأت تحاول إعادة وهجها الذي اختفى بعد أن هدأت.

أفقدها الألم القدرة على التركيز، فجأة مرت في ذاكرتها اللحظة التي تلقت فيها خبر إصابة والدها من قبل الذي يحكم على عنقها الآن. فتحت عيناها ناظرة في خاصته بعمق جاعلة منه غارقاً في تلألؤ عينيها بالأحمر، حالما صنعت ذلك التواصل، لم يلبث أن فقد جاك قدرته على التركيز وأفلت تيا، سقط هو بينما تيا ما زالت طائرة في الهواء تنظر له من الأعلى.

رفعت تيا يديها إلى الأعلى رافعة كل ما تحملت قوتها رفعه، صوبت يدها مباشرة تجاه جاك، جاعلة من تلك الأشياء تسقط فوقه. اقتربت منه واضعة يدها على رأسه مستخدمة سحرها لإفقاده الوعي حتى لا يعترض طريقها مجدداً.

أزالت تيا سحر الحماية عن العربة وركبت بها لتتابع العربة دربها.

استقبلها وجه ستيلا القلق، لكن تيا لم تكن تقوى على الكلام أو الحركة، استهلكت كمًا هائلًا من قوتها للمرة الأولى، لم تشعر بالألم في عظامها كهذا الذي يصاحبها في هذه اللحظة أبداً، مهما بلغ الألم في المرات السابقة، هو لا يقارن بما تشعر به الآن، تشعر بأن كل خلية في جسدها تؤلمها. تكورت على نفسها في ذلك الكرسي الضيق محاولة الإستلقاء، ولم يزدها هذا سوى ألماً.

نطقت تيا مقاطعة سيمفونية المعاتبة الآتية من ستيلا سائلة:

ـ ستيلا ألا تحملين أعشابًا منومة؟

ـ بلى، لكن أين سأقوم بغليها؟ الظلام على وشك أن يحل، أعتقد أننا سنتوقف، ربما ننام في نزل أو في العربة.

قالت تيا بقلة حيلة:

ـ ستيلا سأموت حتى ذلك الحين، أنا مستعدة لآكلها بدون غليها.

قالت ستيلا بانفعال محذرة:

ـ إياك! إنها سامة عندما تؤكل، عليك غليها أولاً.

تأففت تيا محاولة تحمل الألم حتى يخيم الليل وتتوقف العربة.

حاولت النوم، لكنه من المستحيل أن يأتي. تذكرت ستيلا أنها وضعت في حقيبتها حقنة مخدرة، رغم أن هذه تعد مخاطرة، لكن لا تستطيع أن تبقى مكتوفة الأيدي وتيا أمامها تتلوى ألماً. وافقت تيا بدون تفكير حتى. وبالفعل، حقنتها ستيلا بذلك المخدر الذي يعادل كأسين من الأعشاب المنومة. خيم الظلام بعد مدة قصيرة. سرحت ستيلا

قليلاً، تساءلت إن كان ما تفعله صائب أم لا، هل عليها قول الحقيقة؟ أم عليها الإكمال وكأن شيئاً لم يحدث؟ حائرة هي لا تدري ما الذي عليها فعله، إما أن تخسر حياتها، أو تُخسر الآخرين ما تبقى لهم من أيام باعتراف واحد.

الندم وتأنيب الضمير ينهشانها من الداخل.

لواف

ـ سيدي السحرة من نبلورد بدؤوا بالتزايد وهم يتخفون جيدًا في ستوك، وقد استولت نبلورد حديثًا على يماستا. نحن نفقد السيطرة على الحد منهم سيدي، غياب الكونت ڤيكتور أثر بمعنويات الفرسان كثيرًا، وأعداد نبلورد تتزايد بشكل كبير وسريع ولا نستطيع معرفة مصدر كل هذه الأعداد.

استمع لواف إلى كلام كريستيان بتركيز وانتظر إلى أن أنهى كلامه وقال:

ـ الكونت ڤيكتور سيعود إلى ساحة الحرب بعد المأدبة، علينا الرفع من معنويات جيشنا. كريستيان جهز الحصان لي، علي الذهاب لتقوية الجانب النفسي للفرسان، لن يكفيهم الدعم المادي فقط.

أطاع كريستيان أوامر سيده وذهب يجهز له حصانه وما قد يحتاج إليه من أسلحة.

تابع لواف أعماله الورقية ريثما ينتهي تجهيز حصانه.

نادته الخادمة مخبرة إياه أن حصانه جاهز، شكرها لواف ملتقطاً عباءته هامًا بالخروج. خطرت له هيتيسيا فجأة، غير مساره متجهًا إلى غرفتها. طرق الباب عدة طرقات، أذنت له ففتحه ودخل. كانت جالسة أمام مرآتها تجرب الأقراط الذي أهداها لواف لها. اقترب منها دون أن يتكلم، كان يبتسم فقط. وقف وراءها واضعًا يديه على كتفيها، نظر لها من المرآة قائلًا:

ـ أتسمحين لي باحتضانك؟ أريد أن أشحن نفسي قليلًا، على رصيدي أن يكون ممتلئًا؛ لأرفع من شحن جنودي.

قامت هيتيسيا من على كرسيها مبعدة إياه واقفة أمامه. اقترب لواف منها آخذًا إياها في حضنه، أحس بالراحة، لكن سرعان ما تلاشى شعوره، قابلته بالنفور، لا تحتاج لأن تصده، تنهيداتها المستمرة أثناء عناقه أرغمته على أن يفصل العناق مسرعًا في خروجه من غرفتها. ذهب ليدعم روحه، فوجدها زادت انكسارًا.

وصل لواف إلى بوابة القصر، أخذ خيله من يد كريستيان ممتطياً إياه متقدما عليه خارجاً من قصره.

انطلق بأقصى سرعة لحصانه، وبين الحين والآخر يترجاه بالإسراع، لا يريد أن تهلك بلده ويهلك شعبها الوفي معها.

وصل بعد مدة إلى حيث يمكث جنوده. توقف قبل خيمهم بشيء بسيط رابطًا حصانه على غصن شجرة، تابع طريقه سيرًا إلى أن وصل. نادى لواف بصوت عالٍ عند عدم رؤيته لمخلوق:

ـ جنود ستوك، بأمر مني أنا أميركم، أخرجوا منزلين أسلحتكم، لست عدوًا.

خرج الجنود واحداً تلو الآخر فرحين بقدوم لواف إلى معسكرهم.

تقدم قائدهم مرحّباً:

ـ شرف لنا حضورك سيدي. أنهى جملته منحنياً هو ومن معه.

ربت لواف على كتفه رافعاً رأسه جاعلاً من ظهر مستقيماً قائلاً بصوت منخفض:

ـ إياك وإحناء ظهرك أكثر من ثلاث ثوانٍ، حافظ عليه مستقيماً إلى آخر لحظة في عمرك، لا تسمح لأحد أن يزعزع ثبات واستقامة جبلك.

تحمحم لواف رافعاً من نبرة صوته مردفاً:

ـ اليوم، أنا لست هنا لأوبخ أو أسأل ما الماديات التي تنقصكم، أنا هنا لأقول لكم كلماتي وأعطي لكم ثقتي ومن ثم أعود أدراجي.

صمت لواف آخذًا نظرة سريعة على وجوه جنوده وأكمل: تعلمون أنكم الأمل للوطن حتى ننهي بحر الدماء هذا، ونعود جميعاً إلى بيوتنا الدافئة مرتاحين آمنين، أعلم أن غياب الكونت ڤيكتور زعزعكم، لكن لا يجب أن تهزموا بسرعة.

أتريدون أن نصبح ضعفاء أمام العدو؟ أتريدون من بلادنا أن تصبح سهلة المنال لأولئك السحرة؟. الكونت ڤيكتور سيعود إلى ساحة الحرب بعد أيام قليلة، عليكم أن تثبتوا له أنكم أهل للمسؤولية التي تركها لكم، دعوه يرى أن شبابنا قادر على حماية هذه الأرض بكل ما أوتوا من قوة، أروه قدراتكم بصد العدو وتدميره، أعلموه أنكم أقوياء معه وبدونه، أنكم قادرون على القتال بكل حالاتكم، أنتم جنود ستوك الذين لا يقهرون. علا صوت لواف في نهاية جملته وكرر من بعده الجنود:

ـ نحن جنود ستوك الذين لا يقهرون.

ابتسم لواف لجنوده وكما قال لهم، أنهى كلامه وعاد أدراجه بعد تقديمه ما كان جنوده بحاجة إليه أكثر من أي شيء آخر.

في مكان ما

ـ سيدي الإمبراطور، وصلتنا رسالة جديدة من الساحرة البيضاء.

التفت المعني لمخبره آمراً إياه بالتقدم وإعطائه ما جلبته ساحرته. التقط الرسالة وبدأ بقراءتها.

الرسالة:

"تحياتي لشمس امبراطوريتنا، أكتب لك في هذه الرسالة آخر أخبار أكستاڤو.

لكن قبل هذا، أريدك أن تمدني بمزيد من جرعات مصاصي الدماء.

الأخبار: على ما يبدو أن أكستاڤو ستشهد هزيمة ساحقة مذلة من قبل نبلورد، إنهم جيدون حقاً، وغياب ڤيكتور أعطاهم فرصة حتى ينتشروا بشكل سريع. لقد فعلت ما طلبته مني، وضعت سحر تعطيل القدرة وعدم اتزانها على ابنة ڤيكتور، لكن هو لا يزيدها إلا قوة، علينا تجربة سحر آخر.

وبما أننا ذكرنا ڤيكتور فلدي أخبار عنه هو الآخر. لقد تعافى من إصابته، ويقال أن ساحرًا هو من عالجه، لكن لا يوجد أي شخص شهد على هذا، لربما تكون مجرد جرعات من المعبد. الخميس القادم سيتم تتويجه بلقب أرشيدوق، ولم يفعل إمبراطورهم هذا عبثاً. هو يريد أن يزيد من سلطة ڤيكتور، وبالتالي سيصبح من السهل أن يقوم بأعماله القذرة دون عوائق. هو أيضاً يريد الاستحواذ على ابنته داخل ذلك الخاتم، لكن لا أعتقد أنه سيهزمها، بمجرد أن يضع عينه بعينها ستنهيه بلا أدنى شك، فهو لم يتخلص من لعنة دادلي بعد.

صحيح، تلك الطفلة ستعود إلى أحضان والدها خلال هذه الأيام.

هو متحمس جداً لاستقبال ابنته، برأيي لندعه يستمتع رفقتها قليلاً حتى يزداد ألمه.

من سوء حظ هذين الإثنين أنهما ولدا وهما يحملان لقب دادلي.

هذه الأخبار التي بجعبتي، كما تعلم سيدي لم أستطع التحرك بإرياحية الفترة الماضية لكنني أستطيع الآن.

ساحرتك المخلصة:

ب. س.

رمى الرسالة على مخبره وقال غاضباً:

ـ أرسل لهذه اللعينة جرعات مصاصي الدماء وقل لها ألا تعلق وتبدي رأيها في رسائلها، فقط الأخبار، الأخبار فقط، هذا ما أحتاجه للإطاحة بهم!.

خرج مخبره خائفًا ساحبًا نفسه كيلا يكون ضحية إخراج غضب قد يستخدمها سيده.

ـ ستشهدون ميتة مذلة لأبعد الحدود يا من بقيتم من نسل هذه العائلة المقززة.

بعد يومين | أكستاڤو الساعة 5:30 مساءً |

ـ سيدي ألم تتعب من الانتظار؟ سأل سيباستيان ڤيكتور معطياً له كأساً من الماء.

أخذه ڤيكتور وشربه دفعة واحدة ثم رد على سؤال سيباستيان:

ـ لم أستطع توقع وقت وصولها لأنني لا أعلم متى انطلقت من ستوك، لا خيار لدي سوى الجلوس هنا وانتظارها، أريد أن أكون أول من ستراه عند عبور البوابة.

تنهد سيباستيان مستسلماً وأخذ له مجلساً بجانب سيده. ظلا ينظران إلى تلك البوابة المقفلة، ينتظران لحظة تفرق بابيها معلنة عن دخول شخص يفتقده القصر ومالكه بشدة. بين الفنية والأخرى يأخذ سيباستيان نظرة خاطفة على سيده الشارد، لاحظ ولأول مرة أنه بدأ يهرم وما زال لم ينهِ عقده الرابع بعد، حتى الشيب بدأ يتخذ مكاناً له بين خصلات شعره البنية. بدأت بعض التجاعيد تظهر على وجهه وجسده لم يعد بالصلابة التي اعتاد عليها سيباستيان، أحس أن سيده يهلك ببطء لسبب يجهله.

بدأت الشمس تودع أكستاڤو سامحة للقمر بالقدوم، وما زال ذلك الأب البائس ينتظر العربة التي تتوسطها ابنته. كاد يستسلم، لكن أوقفه صوت حارس حين أعلن:

ـ افتحوا الباب، إنها الآنسة الصغيرة.

التفت ڤيكتور بسرعة ينظر للبوابة المتفرقة مفسحة مجالاً تمر العربة منه.

توقفت العربة عندما أغلقت الأبواب من ورائها، نزلت تيا واضعة قدمها على أرضية القصر الذي لم تعتقد أنها ستعود له يوماً في حياتها.

جرى ڤيكتور بسرعة مستقبلاً طفلته بالأحضان التي حرمت منها. بادلته تيا العناق شادة عليه أكثر، تحاول كبح دموعها من النزول، لكن صوت شهقات والدها منعها وانهارت هي الأخرى سامحة لعبراتها بالنزول.

نزلت ستيلا من الباب الآخر للعربة وألقت التحية على سيباستيان واقفة بجانبه متأثرة بلقاء سيدها وابنته. ابتعد ڤيكتور عن تيا ممسكاً وجهها ماسحاً دموعها، ينظر لها وكأنها كنزه الوحيد في هذا العالم، لا شيء يمنعه من خسارة كل ما لديه حتى تكون سعيدة.

ـ كان عليك أن تختاري لونًا أغمق حتى تشبهينني تيا.

ضحكت تيا بين شهقاتها قائلةً:

ـ لا أحد يستطيع أن يكون مثلك أبي، أنت الوحيد من نوعك في هذا العالم الواسع، لن يستطيع مخلوق مهما حاول، أيًا كان هو، لن يستطيع أن يشبهك.

عاود ڤيكتور معانقتها ناظرًا إلى السماء يشكر الرب لإعادة ابنته له إلى أحضانه سالمة دون خدوش أو جروح.

فصل ڤيكتورالعناق وقال موجهاً أمره إلى سيباستيان:

ـ سيباستيان قل للخدم أن ينقلوا الأغراض في العربة إلى غرفة تيا.

ـ أمرك سيدي.

خطى ڤيكتور ناحية القصر ممسكاً كتف تيا والضحكات لا تفارق كلاهما.

وصلا حيث تقف ستيلا، ابتسم لها وقال شاكراً:

ـ شكراً لك ستيلا لحماية تيا طيلة هذه المدة، اطلبي أي شيء يجول في بالك، كل طلباتك أوامر.

انحنت ستيلا وقالت:

ـ هذا واجبي سيدي، لا أريد شيئاً سوى أن تكون تيا سليمة حتى آخر لحظة.

ابتسمت تيا لستيلا بدفء ثم أكملت خطاها مع والدها.

توجها إلى غرفة المعيشة، طوال الطريق كانت تيا متشبثة بوالدها كطفلة صغيرة تخاف من أن تفقد والدها وسط ازدحام الحياة.

توقف تيا قبل أن يصلا، نظرت إلى والدها سائلة:

ـ أبي كيف يبدو مظهري الجديد؟.

ابتسم ڤيكتور ممسكاً خصلة من شعرها القصير مجيباً:

ـ إنه جميل جداً ويليق بك، بكل حالاتك جميلة تيا.

ضحكت تيا وقالت:

ـ أعرف هذا لا داعي لإخباري.

تابعت سيرها إلى غرفة المعيشة لاحقاً بها ڤيكتور. جلسا على الأرائك المقابلة بعضها لبعض، وبدأ الحديث الذي لن ينتهِ قبل طلوع الشمس.

أرخت تيا جسدها على الأريكة قائلة:

ـ أبي أنا آسفة على هروبي، لم أكن أعرف أن الحياة صعبة هكذا، اللعنة عليهم كيف لهم أن يهينوا ابنة ڤيكتور؟ أسوء ما عشته كان ذلك صدقني أبي.

ابتسم ڤيكتور بحنان يستمع بشغف لتذمرات ابنته.

ـ أكملي تيا، أريد سماعك تتحدثين حتى أسأم.

نظرت له تيا وقالت مؤشرة على نفسها:

ـ أنا؟ ستسأم مني؟ لن أسمح بذلك أقسم لك.

ضحك ڤيكتور من نظرات تيا وهي بدورها بادلته الضحك.

أردفت تيا بحماس:

ـ لدي الكثير من المغامرات، أحدها حدث أثناء طريقنا، لا تقلق فابنتك لديها قوة لن يصل أحد لها مهما حاول.

ـ ما هي هذه المغامرات؟ أصابني الفضول لأعرف.

اعتدلت تيا بجلستها وقالت:

ـ سأبدأ من الأحدث إلى الأقدم.

أومأ لها ڤيكتور وأردفت مكملة: تخيل أنني وقعت في كمين نبلورد أثناء مجيئي إلى هنا! لكن لا تقلق، لأنني قضيت عليهم جميعاً بهاتين اليدين، كان من المفترض أن يكون هنالك أيضاً جنود من ستوك، لكن لواف أرسل الجميع إلى ساحة المعركة لأن أكستاڤو تعاني من نقص في الجنود بسبب عدد السحرة الذي يزداد يوماً بعد يوم، ما زلت أعاني من آلام المفاصل بسبب ذلك الجاك، ما هو بحق؟ كانت المرة الأولى لي رؤية شخص تحيطه كمية المانا هذه، كيف اكتسبها بحق خالق الجحيم؟ فاجأني عندما استعاد عافيته، رغم أنني غرزت فيه سيف باركته ومددته بطاقتي كلها وقد غرزته بعمق، أنا متأكدة.

أجاب ڤيكتور عن تساؤلات تيا :

ـ جاك لا يهزم إلا إذا غرز مصاص دماء متحول مخالبه في صدره منتزعاً منه قلبه.

هذه الطريقة الوحيدة لموته، حتى لو أصبتِ قلبه فهو يستطيع معالجة نفسه، لكن إذا انتُزع مركز قوته فهو هالك، وهذا ما كنت أحاول القيام به عندما أصابني.

شهقت تيا مصدومة مما قاله والدها. سألته مستغربة:

ـ لماذا كنت تريد موته؟ أليس من الأفضل لو أنك أسرته؟.

ـ تيا أنت لا تعرفين شيئاً، ما رأيته كان نقطة صغيرة جداً من قوة جاك.

حتى لو أسرته، هو يستطيع الهروب، موته هو الطريقة الوحيدة لإيقاف هذه الحرب الدامية، والهدنة أمر مفروغ منه، لن تنتهِ الحرب إلا بموت واحد منا.

صمتت تيا، لم تكن تعرف أن البلاد بهذا اليأس. حلمت إما بانسحاب السحرة أو توقيع هدنة وستختفي بعدها كل كوابيس أهل أكستاڤو.

لفظ ڤيكتور كاسراً الصمت ناهضاً من كرسيه متجهاً للخارج:

ـ سأقول للخدم أن يحضروا العشاء، لابد أنك جائعة.

أمسكته تيا مستوقفة طريقه، نظرت له بعيون هي نقطة ضعفه وقالت:

ـ أبي لست جائعة، أكلت بالفعل قبل وصولنا بقليل. لا أريد شيئاً سوى الجلوس والحديث معك، لا تتركني وراءك مرة أخرى.

تراجع ڤيكتور خطوات للوراء جاثياً على ركبته ممسكاً بكفي تيا قائلاً بحنان:

ـ إذن أخبريني بما بقي من قصصك، أريد الاستماع لهم كلهم. علي أن أقدم الهدايا التي طلبتها في رسالتك، ألست مهتمة بشأنها؟.

ردت تيا متافجئة:

ـ أبي هل حقاً ملأت غرفتي بالهدايا؟! كان تعبيراً مجازياً لم أعنيه بالحرف.

ضحك ڤيكتور من صدمتها قارصاً خدها بخفة قائلاً:

ـ حتى لو لم تكتبِ ما كتبتيه، أتعتقدين أنني سأرحب بك خالي الوفاض؟.

ـ ليس هذا ما أعنيه. تنهدت تيا مستطردة: لكن أبي، أنا أعرف أن ميزانية القصر القادمة من الإمبراطور ليست بذلك المبلغ الكبير.

أنزل ڤيكتور رأسه إلى الأسفل يفكر بما يقوله لابنته. رفع رأسه ناظراً لها بصرامة قائلاً بجدية:

ـ تيا... أعتقد أن الوقت قد حان حتى تعرفي. نظرت تيا بتوجس منتظرة منه أن يكمل أن يكمل حديثه. أخذ ڤيكتور نفساً عميقاً يجهز نفسه، أردف مكملاً: نحن لسن عائلة عادية، نسلنا ليس مجرد نسل نبلاء. منذ زمن قديم، قديم جداً، كانت عائلة دادلي هي من تحكم أكستاڤو. كنا نحظى بذلك المقعد الذي يحلم به جميع أرستقراطي هذه البلاد. كان والدي أيضاً إمبراطوراً، كان آخر إمبراطور من سلالة دادلي. لقد تمت إبادة عائلتنا كاملة من قبل فرانك الإمبراطور الحالي، هو يكرهنا، لأن أجدادنا أسقطوا حكم أجداده، لكن هم يستحقون ذلك. كانوا يقتلون ويسرقون ويفعلون المستحيل من

أجل المال، كانت أكستاڤو في حقبتهم في فوضى عارمة. حدث إنقلاب عليهم وتم إختيار عائلة دادلي لحكم أكستاڤو.

قاطعته تيا بسؤالها:

ـ لكن كيف قتلوا جداي وباقي العائلة؟ هل حدث انقلاب أيضا؟

ـ على العكس تماماً، كانت البلاد مزدهرة، لكن فرانك استغل الفوضى التي خلفها السحرة في البلاد وبدأ يقتل العائلة حتى أبادها كلها، إلا شخصاً واحداً.

قالت تيا وهي تنظر له:

ـ والذي هو أنت.

هز ڤيكتور رأسه مكملاً:

ـ أصبت، كنت مريضا وتم عزلي في غرفة بعيدًا عن جميع أفراد أسرتي، حتى الخدم لم يحضروا إلى الغرفة يومًا. كنت لا أقوى على الأكل أو حتى شرب الدماء. نزلت دمعة من عين ڤيكتور، مسحها بسرعة متابعًا حديثه مشيحًا نظره عن تيا: من أنقذتني في ذلك اليوم كانت والدتك، الشخص الذي كنت أطارده وبسببه أصبت باللعنة التي جعلت مني لا أرى مخلوقًا لشهور. عندما رأيت وجهها لم أصدق، أظننت أنني أهلوس، كيف لعدوي أن يأتي إلى هنا؟ هي بالتأكيد تريد قتلي، هذا ما كنت أقوله لنفسي، لكنني صعقت عندما استخدمت لينا سحر الشفاء المحرم والذي كان أملي الوحيد لأتعافى. استعدت وعي وهي انهارت بين يدي، أتذكر إلى يومنا هذا صوتها الواهن وهي تحاول فتح بوابة التنقل. لا أدري أين نقلتني يومها، لكنها همست لي بتلك الإبتسامة المتألمة "كيف لك أن تموت بهذه السرعة؟ لم ننهِ حربنا بعد، عليك هزيمتي أولاً إذا أردت الموت".

كان يوجد في ذلك الكوخ الخشبي خادمتها شيراز. بقيت شهورًا لا بل سنينًا مع لينا في ذلك الكوخ المتهالك. كانت والدتك تصغرني بعامين، كانت مرحة والإبتسامة لا تفارقها. كلما سألتها عن سبب إيوائها لي تجيب أنها تريدني أن أكون قويًا عندما تواجهني، لكنها لم تعرف يومًا أن قوتي كلها تتلاشى عندما أكون أمامها، كنت أشعر بالضعف والعجز في كل مرة كانت تريد فيها المواجهة، لا أقوى حتى على خدشها، كانت ثمينة جدًا بالنسبة لي. عندما بلغت الثانية والعشرين من عمري تقدمت لها وقبلت حبي لها بصدر رحب، رغم أن الجميع كان معارضًا. قررنا بعدها العودة معاً إلى أكستاڤو لإستعادة حكم عائلتي حتى ننهي هذه المعركة التي لن ينتصر فيها أحد. كنت أكبر مفاجأة لجميع أهل أكستاڤو الذين يعلمون أن نسل دادلي كله قد اختفى. نشر فرانكلين إشاعة تقول أن العائلة خائنة، لأنها كانت تتعاون مع إمبراطورية كريستلوف التي تعد من أشد أعداء شعب أكستاڤو. الوحيد الذي رحب بي بشوق كبير كان والد لواف، كنا أصدقاء كما هو حالك أنت ولواف. عشت عنده

مدة لا بأس بها، استندت عليه حتى استطعت الوقوف مرة أخرى. أصلحت الإشاعات وكونت علاقات مع شخصيات من نخبة أكستاقو. عندما أعطيت لقب الكونت كنت سعيداً لأن خطتي بدأت لتوها، سرعان ما تحطمت كل خططي بسبب لعنة ألقاها فرانكلين علي جعلتني مقيداً أمامه مغلوب على أمري، وحياتك أنت وأنا ووالدتك امتلكها بخاتم في يده. شد ڤيكتور على يدي تيا أكثر وأردف محذراً: لذا تيا، مهما حصل، يوم المأدبة لا تنظري له، هو يريد السيطرة عليك أيضاً.

أوقف ڤيكتور حديثه يملؤ رئتيه ببعض الهواء مجهزاً نفسه للخبر الذي قد تكرهه تيا حقاً من بعده. نظر ڤيكتور بعيني تيا بعمق أكبر وقال: والأهم من كل هذا تيا، هو خبر واحد.

ـ ما هو؟.

ـ والدتك... هي لا تزال على قيد الحياة.

توسعت مقلتي تيا غير مصدقة ما يقوله والدها، هي متأكدة أنها رأتها في كفنها وتلت صلواتها أمام جثتها. تجمعت الدموع في عيون تيا وقالت بصوت مهزوز:

ـ كـ ..كيف؟ كيف لذلك اليوم أن يكون كذبة؟ أبي لقد صليت معي أمام جسدها. هزت تيا أكتاف والدها تزامناً مع نزول دموعها قائلة: كيف لك أن تقول هذا؟ كيف لأمي أن تكون حية؟.

أمسك ڤيكتور يداها التي على كتفيه وقال منفعلاً:

ـ أتريدين مني قتلها تيا؟! أمرني ذلك الحثالة بقتلها وإلا سيقتلك أنت وهي أمامي. لم أملك خياراً سوى اختراع هذه الكذبة على الجميع. مستعد أن أطعن نفسي بسيف منقوع بالماء المقدس مئة طعنة ولا أقتل المرأة الوحيدة التي أحببتها بيدي.

إنهارت تيا باكية على كتف والدها الذي عانقها مشاركاً إياها بكاءها. حاول ڤيكتور كتم شهقاته حتى يهدئ من تيا قليلاً. ربت على ظهرها هامساً لها بكلمات تساعدها على الهدوء، ظل على هذا الحال حتى توقفت تيا عن البكاء، لكنها لا تزال متشبثة به ترفض فصل العناق، كطفل صغير يرفض النزول على الأرض، يريد من والده أن يحمله طيلة الوقت.

ابتعدت تيا عن ڤيكتور بعد مدة ليست بطويلة وقالت ماسحة دموعها:

ـ أعتقد أن الخدم قد أنهوا نقل أغراضنا، تعال معي، أريد أن أعطيك شيئا. وقفت تيا ساحبة ڤيكتور خلفها إلى غرفتها. وصلا إلى غرفة تيا، أفلتت يد والدها تبحث عن الحقيبة المعنية. تجولت أنظارها بين الحقائب والصناديق التي ملأت الأرض حتى توقف نظرها عند أحد الصناديق. جثت على ركبتيها حتى تفتحه مخرجة ما جلبته

لوالدها. قلبت تيا الأغراض في الصندوق حتى وصلت إلى مبتغاها. نطقت تيا ملتفتة إلى والدها مبتسمة:

ـ ها هي ذي. مدت تيا تلك العلبة الخشبية المزينة ببعض الزخارف. أخذها ڤيكتور من يدي تيا وسأل مستغرباً وهو يقلب العلبة بين يديه:

ـ ما هذا؟ أهو صندوق مجوهرات؟.

ـ بحقك أبي، افتحها وحسب.

نظر ڤيكتور إلى تيا ثم أخذ يفك الشريط الأحمر الذي زينت به تيا العلبة. فتح ڤيكتورالعلبة مبتسماً من محتواها، قال بإطراء:

ـ أوه تيا، أنت تعرفين ذوقي جيداً، هذه الأزرار جميلة جداً.

ـ هل أحببتها؟.

ـ جداً.

ترددت تيا بإخبار والدها بما تريد قوله، استجمعت شجاعتها وقالت:

ـ أبي، أزرار الأكمام هذه عليك إرتداؤها يوم المأدبة، ستليق مع بدلة بيضاء. هل تعلم كم تعبت حتى وجدت أزرار أكمام بجوهرة تمتلك هذه الدرجة من البنفسجي؟ لم أكن أريدها قاتمة ولا زاهية بشكل مبالغ، لما ولدت بلون عينين صعب لهذه الدرجة؟.

تقدم ڤيكتور معانقاً ابنته بخفة لكنها صدته بسرعة قائلة:

ـ انتظر لحظة، لم أنتهِ بعد، يوجد المزيد.

توقف ڤيكتور ينتظر ما أحضرته تيا لكنها ساكنة لا تتحرك. أردفت محرجة:

ـ لكنني لا أعرف أين الباقي، ستيلا هي من تعرف. أوه سحقاً.

قهقه ڤيكتور ضاماً ابنته إلى صدره بيد، والأخرى يمسك بها هديته وقال:

ـ لا بأس تيا، إلى أن تخرجهم ستيلا ما رأيك أن ندخل إلى خزانتك؟.

قالت تيا باستغراب:

ـ خزاتني؟.

ـ أجل.

قالت تيا ببطء:

ـ حسناً لا بأس.

تقدم ڤيكتور سابقاً تيا إلى باب خزانتها، أشار لها حتى تفتح الباب، فعلت تيا ما أمرها به والدها، أمسكت مقبضي الخزانة فاتحة إياها بتريث. انبهرت تيا مما رأته، كانت خزانتها ليست كما تركتها. عندما ذهبت كانت فارغة لا يوجد بها سوى ذرات الغبار، أما الآن فقد ملئت بملابس جديدة ولم يسبق لها أن رأت مثلها!. التفتت إلى والدها سائلة من هول الصدمة:

ـ أين سأضع ملابسي؟ الخزانة لا تتسع حتى لأدخلها!.

ضحك ڤيكتور مربتاً على رأس ابنته مجيباً:

ـ لا تقلقي تيا، أعددت الغرفة المجاورة احتياطاً، تستطيعين وضعها هناك.

أشر ڤيكتور بإصبعه على ثوب مغطى بقطعة من القماش مستطرداً: هناك، أزيلي القماش وانظري للذي وضع تحته.

تقدمت تيا تزيل القماشة البيضاء التي تغطي الفستان. وقفت تنظر له بإعجاب شديد، لم ترَ أجمل من ذلك الفستان يوماً.

اقترب منها ڤيكتور ممسكاً كتفيها من الخلف قائلاً:

ـ صممته الآنسة سانتيلا خصيصاً لك، لم تكن تتوقع أن هذا الثوب المرصع بما لا يخطر على البال قد ترتدينه بيوم غير يوم زفافك. أنا ممتن لها جداً، لم أكن لأستطيع خياطة فستان لك للمأدبة بمدة قصيرة. أمسكت تيا فستانها النيلي البراق الناعم بسبب قماشه الحريري، تتفحصه بإعجاب وانبهار غير مصدقة أنه لها. تلمست أحجار الألماس الصغيرة عند عنق الفستان المربع ونهاية أكمامه المنفوخة التي تصل إلى نصف اليد. كانت به لمعة وبريق غريبين، لم تشهد تيا مثلهما من قبل. قالت تيا وهي تتفحص زخارفه:

ـ ما هي المدة التي استغرقتها الآنسة سانتيلا حتى أتمت هذا الفستان؟ خياطته ليست سهلة على الإطلاق.

قال ڤيكتور بابتسامة:

ـ ستكونين الأجمل يوم المأدبة، سيملؤ بريقك قاعة المأدبة ولن يستطيع أحدهم إبعاد نظره عنك.

التفتت تيا إلى ڤيكتور وقالت:

ـ لكن أبي أليس مبالغاً به قليلاً؟ لدي الكثير من فساتين المناسبات لم أرتديها بعد، سيكون من الأفضل ارتداء إحداها.

ـ لا تيا، لقد طال غيابك بين الأرستقراطيين، عليك الظهوربأبهى حلة لك.

ابتعد ڤيكتور وتوجه إلى أدراج مجوهرات تيا آخذاً منها علبة العقد من الماس الأزرق مردفاً:

ـ تعالي وقفي أمام المرآة، أريد أن أرى كيف سيبدو عليك العقد.

ـ أي عقد أبي؟.

مد لها العلبة قائلاً:

ـ هذا العقد.

أمسكت تيا العلبة فاتحة إياها، نظرت إلى والدها بعدم تصديق وقالت:

ـ مستحيل... أهذه الماسة الزرقاء التي صنفت كأندر حجر كريم؟.

أخذ ڤيكتور العقد من العلبة ملبساً هو تيا وقال تزامناً:

ـ بلى، إنها الماسة الزرقاء، إنها تبرق كما تفعلين أنت تيا، أنظري إنها مثالية تماماً لك! لن تليق بغيرك.

نظرت تيا لعنقها في المرآة متلمسة العقد بسعادة كبيرة. اندفعت بعناق والدها بقوة، حتى ڤيكتور ارتد للوراء من سرعة اندفاعها. بادلها الحضن ماسحاً على ظهرها برفق، أحس ڤيكتور بشيء ساخن ينسكب على صدره، أزاح تيا عنه ليجد عيناها تذرف شلالات تأبى التوقف التوقف، أخذ يتفحصها متأكداً من عدم إصابتها في أي مكان. بقلق سأل:

ـ تيا هل أنت بخير؟ هل تشعرين بالألم في أي مكان؟ هل أنت جائعة؟ هل الملابس ليس من ذوقك؟ أتريدين تغيير غرفتك لأخرى أكبر؟ أم أن لواف آذاك بكلامه؟ قولي لي من أساء لك؟ لن أدعه على قيد الحياة.

كانت تيا تهز رأسها نافية مع كل سؤال يطرحه والدها، قالت بين عبراتها وشهقاتها:

ـ إنه أنت أبي، كنت تعذبني بمنعي من تلقي الحنان الذي كنت أحتاجه أكثر من أي شيء آخر بعد وفاة أمي، لكن لا يمكنني السيطرة على نفسي بهذا الحنان الفائض أبي، لا يمكنني وصف شعوري، أنا متأثرة جداً. كنت تفعل الكثير دائماً حتى تعوضني، لكن بماذا قابلتك أنا؟ هربت من الشخص الوحيد الذي احتضنني بكل سوء

وطيب فيني. أنا أكره نفسي أبي، لست ابنة جيدة لك، أنت تستحق ابنة تبرك وليس ابنة تهرب منك.

انفجرت تيا باكيةً مجدداً ولم يعد ڤيكتور يستطيع السيطرة على الموقف، تملكه القلق والخوف، حاول التحكم بنفسه قليلاً حتى يحل الموقف. قبض على كتفيها مثبتاً إياها ناظراً لها بعينين اغرورقت الدموع وقال مهدئاً:

ـ لا بأس تيا، كل هذا من الماضي، دعينا نكفر عن الماضي بطويه وفتح صفحات جديدة للمستقبل المشرق، فالنجعله مشرقًا قدر الإمكان، أنا وأنت معاً. أنا آسف تيا، أعلم أنك لم تتلقِ حقك من مشاعر الأبوة، لكن صدقيني لو أنني لم أفعل هذا لما كنت أنت ولينا بخير. فعلت كل شيء للحفاظ على حياتكما، لكنني نسيت فعل الأكثر حتى أحافظ على الأسرة التي بنيتها، والتي هي ملجئي الوحيد من هذا العالم الموحش.

مسحت تيا دموعها سائلة والدها سؤالاً يعجز الجواب عنه:

ـ ما الذي يحدث بحق؟ ما الذي يوجد بذلك الخاتم اللعين؟.

تجمد ڤيكتور في مكانه لا يقوى على الكلام، لا يستطيع إخبارها بالتفاصيل؛ هذا من أجل سلامتها.

ـ تيا هذا شيء ليس عليك معرفته، من الأفضل أن تكتفي بما علمته.

نظرت تيا إلى ڤيكتور بإصرار، إنها تريد أن تعرف ما يثقل كاهل والدها.

أردف ڤيكتور متوسلاً بضعف:

ـ أرجوك، لسلامة لينا وسلامتك وسلامة جميع.

أجابته تيا بإنفعال:

ـ لا أبي لا، أتعتقد أن تضحيتك ستجعلنا سعداء حين ينتهي الأمر وتؤخذ حياتك مقابل بقائنا على قيد الحياة؟ ما الفائدة من الحياة إن لم تكن فيها؟ صرخت تيا مكملة: أجبني.

سكت ڤيكتور غير عالم بما سيقوله لابنته العنيدة، ما إن تعرف بالقصة كاملة لن تكون بخير. أيلتزم الصمت أم عليه قول أي أكذوبة حتى تكف ابنته عن عنادها؟.

قال ڤيكتور بغضة في صوته:

ـ تيا هل تعلمين لما طلب مني قتل والدتك؟ لأنني أخبرتها بقصة الخاتم بتفاصيلها، لا أريد أن يتكرر المشهد مرة أخرى. ضرب ڤيكتور صدره عند قلبه بقبضته مردفا:

لست حملاً لكل هذه الآلام التي تحتل قلبي، لا أريد المزيد لأنني لن أتحمل أكثر من ذلك. ابتعد ڤيكتور عن تيا ماسحاً وجهه وقال بصوت سيطر عليه الألم والندم:

ـ أعترف أنني ضعيف، ظننت أنني أحمي من أحبهم، لكنني لم أكن سوى خطراً أكبر طالما هم بجانبي، كان من المفترض ابعادك مع والدتك، على الأقل ستكونان بخير ولن يكون الخطر حولكما في كل لحظة. كنت ستعيشين بسعادة مع والدتك التي أحببتها بشدة وليس مع والدك القاسي الذي لا يشعرك بالدفء الذي تفتقدينه.

تقدمت تيا حيث يجلس والدها، نزلت لمستواه مميلة رأسها وقالت:

ـ أبي، دعنا نحارب سويةً ونعيد حكم العائلة واستقرارها، دعنا ننقلب مطيحين بذلك الظالم معاً. أمسكت تيا يد ڤيكتور متابعة: يداً بيد حتى النهاية، وهذه النهاية ستنتهي بفوز لا خسارة، سواء كانت مادية أو خسارة أرواح عزيزة.

رفع ڤيكتور رأسه ناظراً في مقلتي ابنته مطولاً، أحس بضعف كبير في تلك اللحظة.

وجد في عيني تيا ما يفقده في الأيام، حتى هو لم يعد نفسه، أصبح غريباً حتى عن نفسه.

وقفت تيا وقالت مغيرة الأجواء:

ـ آه سحقاً، يوجد الكثير من الدموع والحزن، علي أن أحاربها أبي، هل ستساعدني؟ علي قتل تلك الأحزان والدموع، هي فقط تفسد وجهي الجميل. آه لا أتحمل فكرة أن يصبح هذا الجمال رديئاً بسبب بعض القطرات المالحة.

فرت ضحكة من شفتي ڤيكتور رغم الحزن الذي يتملكه في هذه اللحظة.

سمعت صوت ضحكته وقالت بصدمة سعيدة:

ـ هل ضحكت؟ أوه نعم لقد فعلت. إذن هل علي إكمال تمثيلي حتى تستمر بالضحك؟ أم أجرب دوراً آخر؟ ما رأيك أن أكون الماركيزة ڤوليت؟.

استسلم ڤيكتور سامحاً لضحكاته بالخروج من جحرها، بادلته تيا الضحك كذلك.

تلك الغرفة التي كان لا يسمع فيها سوى شهقات متألمة، الآن هي تحتضن ضحكاتهم الصاخبة.

جاك

"أمسكت ذلك الظرف بين يدي مقلباً إياه بلا مبالاة، هه أي خدعة ينوون هذه المرة؟ هل سأصدق أن الإمبراطور يريد مني حضور مأدبته وأنا عدوه؟ ما الذي يجري في هذه الدنيا؟ أجزم أنهم يكيدون لي مصيدة من نوع ما. حتى أنهم استخدموا ڤيكتور لجذبي بشكل أكبر!. سحقاً لهم، يعرفون كيف يثيرون حماستي. لكن هل علي تلبية هذه الدعوة؟ طريقة كتابة هذه الرسالة تكاد تكون حقيقية، لكن لا يمكنني تصديق أنني إن كنت أريد أن أرى ڤيكتور مذلولاً ضعيفاً مغلوباً على أمره علي المجيء، أليست هذه المأدبة على شرفه؟ صحيح أنني أكرهه، لكنني أريد أن أكون أنا من يجعله ضعيفاً وليس أحداً غيري، هذا سيؤلمني لن يفرحني. لم لا؟ لن يتسنى لي رؤية ڤيكتور دادلي هكذا كل يوم، إنها مرة في الحياة فقط. سأذهب إذن، وفي الوقت ذاته، أستطيع رؤية حسناء أكستاڤو التي يتكلم عنها الجميع. تشه أشك أنها جميلة لهذه الدرجة، هم يقولون هكذا لأنها ابنة ڤيكتور لا أكثر.

صحيح من كانت تلك القوية التي واجهتها؟ رباه كانت خارقة، لقد تألمت عظامي حقاً. أيعقل أنها خادمة ابنة ڤيكتور؟ إذا كانت هي فعلاً فأنا أحترمه على حسن إختياراته. عقد جاك أصابعه واضعاً إياها خلف رأسه مرجعاً رأسه للوراء مستلقياً على الوسادة ناظراً للسقف مردفاً: يا ترى هل ما أفعله صائب؟ قتل الكثير من الناس لأصل إلى ڤيكتور، هل هو خاطئ؟، لكنني لا أقتل سوى مصاصي الدماء الذين يشكلون خطراً على حياة البشر والسحرة. من قال له أن يولد في العائلة التي قتلت عائلتي ذلك اليوم وفرت؟. سابقاً كنت أحترمه لأنه زوج السيدة لينا، لكن هي ميتة الآن، لا داعي للإلتزام بهذا الاحترام الكاذب. لا أريد أن نكون عبيداً لهم، السنوات الفائتة كنا دميً يتحكمون بها كما يريدون. سئمت من هذه الأوضاع الذليلة، سأنتصر حتى لو كلفني الأمر حياتي. آه تباً، لو أنهم لم يأتوا إلى هنا لكنا الآن بألف خير.

حتى أنا لدي حياة أريد عيشها، أريد الاستمتاع بشبابي قبل أن أشيخ، أريد أن أنهي هذه الحرب بأقصى سرعة حتى في جميع أنحاء بلادي دون خوف. جسدي أرهق بما فيه الكفاية. تلمس جاك قلبه وقال: إن كنت أريد الانتصار علي حماية هذا الشيء من مخالبهم، هذا هو هدفهم وكان ڤيكتور قريباً منه في آخر مرة، إنه عائد، علي أن أزيد من حذري. لأكون صريحاً يا نفسي، أنا مللت من حياتي هذه، لكن لا يمكنني الاستسلام حتى مع شعوري بالخسارة والخطر. لماذا؟ كبريائي لا يسمح لي. أشعر بالعار بمجرد التفكير، كيف يمكنني فعلها في الحياة الواقعية؟!. بعثر جاك شعره بغضب مردفاً: سحقاً لكم يا معشر مصاصي الدماء.

أغمضت عيني بنية أخذ قيلولة قصير حتى دخل معكر صفوي الدائم دانييل بقوة فاجأتني، قال والخوف يعتريه:

ـ سيدي جيش الكونت ڤيكتور داهم معسكرنا.

نهضت من على الكنبة بسرعة خلفت بعض الدوران في رأسي وأفقدتني الرؤية لثوانٍ وقلت:

ـ ماذا؟! كيف لهم الدخول؟ الحصن يستحيل كسره من قبلهم!.

ـ سيدي من الواضح أنهم جلبوا معهم ساحرًا متمرسًا حتى استطاع كسر الحصن الذي صنعته.

التقطت ملابسي بسرعة آمرًا دانييل:

ـ حاربوهم بالسحر إلى أن آتي أنا، ركزوا على سحر الحماية، لن أتأخر.

خرج دانييل ذاهبًا ليوصل أوامري للجنود. أما أنا فكنت أشتمهم أثناء ارتداء ملابس ساحة المعركة المدعمة بالمانا بأسرع ما يمكن".

في أحد غرف قصر فيكتور

تأكدتْ من أن الباب مغلق بإحكام وأن لا أحد في الجوار، فتحت بوابة الاتصال مجيبة على اتصال سيدها الذي قال صارخاً:

ـ باميلا ما هذا التقصير؟ أعلي طردك كما فعلت مع والدتك؟ أنت عديمة الفائدة فعلاً. هذه المرة أنا جاد في حديثي، إن لم أسمع معلومات مفيدة لن يخلصك مني سوى الموت. لقد هربت من ذلك الشخص مخلفة وراءك ابنة، من طلب منك الزواج بحق؟ أمرتك بالتقرب منه وليس أن تتزوجيه. أنت فقط تفسدين الأمور دائماً، الشيء الوحيد الذي استطعت فعله هو دخول قصر ابن دادلي ذاك والتقرب منهم، لكن كل هذا عديم الجدوى لأنك لا تعطيني أشياء مفيدة. أريد فضائحه وأعماله القذرة، ما حاجتي بموته أو نجاته؟ أريد مستنداته المالية.

قالت باميلا موضحة موقفها:

ـ جلالتك، تعلم أنني لا أستطيع دخول مكتبه بأي فرصة، هنالك بالفعل من هو مسؤول عن مكتبه. الوحيد الذي يستطيع أخذ هذه المستندات ويعرف مكانها هو مساعده سيباستيان، لكن بأي فرصة خادمة مثلي تستطيع سرقتها؟. وسبق وقد قلت لك جلالتك، الكونت لا يملك هذا النوع من الأعمال. إنه قانوني بكل أعماله.

قال الإمبراطور ناهرًا:

ـ أنت لا تعرفين شيئًا أيتها الغبية، هو يحاول خداع الجميع بهذه الصورة الحسنة بينما هو أقبح وأشنع من زوجك ذاته.

قالت باميلا بضعف شديد:

ـ لكن سيدي أنا حقًا لا أستطيع دخول مكتبه إن لم يقم هو باستدعائي، المكان الوحيد الذي أستطيع دخوله متى شئت هو غرفة ابنته.

استشاط الإمبراطور غضبًا من مخبرتِه التي لاحظ أن عواطفها بدأت تتملكها وقال:

ـ منذ متى ونحن نسمح للعواطف أن تتحكم بنا؟ يبدو أن علي إرسالك إلى جبل رايني حتى تستعيدي وعيك.

كانت باميلا على وشك الرد، أحست بشخص يدير مقبض الباب وبسرعة قطعت الاتصال تزامنًا مع فتح الباب.

سألتها لورين متعجبة من تواجدها في ذلك المكان:

ـ ما الذي تفعلينه هنا في قبو الأطباق؟.

ـ سقطت خرزة من قلادتي التي ورثتها من أمي وتتبعتها إلى أن وصلت إلى هنا، لكنني لا أجدها، ربما أخطأت التتبع.

قالت لورين وبعض الشك تملكها:

ـ سأبحث لك عنها، عليك الذهاب فالآنسة تيا تطلبك بعجلة.

بدأت تسير خارجة من القبو وهي تقول:

ـ ها أنا ذاهبة، شكراً لك لورين.

ـ ما بال تصرفاتها الغريبة؟ لكن أنا متأكدة أنني سمعت صوت رجل غاضب يأتي من الغرفة، لا يمكن لسمعي أن يخطئ. أمالت لورين رأسها متسائلة: ولما كانت متوترة أثناء حديثي معها؟ ليس كأنني اكتشفت سرها الكبير.

نطقت تيا بحماس:

ـ ها أنت ذا ستيلا، أين كنت؟ لقد ناديت عليك كثيراً.

ـ أسفة تيا، كنت أجري محادثة مع تمار، تعرفين لم نرَ بعضنا لمدة لذا تراكمت محادثات كثيرة.

أمسكت تيا يدها وقالت:

ـ لا بأس، الآن أرجوك هل يمكنك مساعدتي في إخراج هدايا أبي وسيباستيان والجميع؟ تعلمين لم أكن معك حين حزمتهم.

أفلتت ستيلا يدها متقدمة وقالت:

ـ آه نعم نعم.

أحست ستيلا بنظرات تكاد تخترقها، التفتت لمصدرها لتجد أنها من الكونت ڤيكتور.

سألته ستيلا متوترة:

ـ سيدي أهنالك شيء ما؟.

أجابها ڤيكتور وهو ما زال يحدق بها:

ـ لا أبداً، أنا فقط متحمس للهدايا.

هزت ستيلا برأسها بتوتر مخرجة ما جلبته تيا للجميع.

تتساءلون ما خطب ڤيكتور ونظراته؟ تلك الجملة التي كتبها تيا في رسالتها ما زالت ترن في عقله محدثةً صدى لا نهائي، جاعلة إياه يراجع مواقف قديمة. كيف لمصاصة دماء استخدام سحر الانتقال؟ تملكته شكوك حول ستيلا، ذلك الشخص الذي أدخله إلى منزله لأنه استنجد به، تساءل كيف لم يلحظ أي من تيا ولواف كلمة "سحر الانتقال" ؟. شكلت تلك الكلمة عند ڤيكتور أسئلة كثيـــرة حول ستيلا.

سأل نفسه:" كيف لي أن أدخل أي شخص عشوائي إلى منزلي؟ وفوق هذا أجعله يعمل فيه ويكون قرب ابنتي؟؟".

اقترب ڤيكتور من تيا التي تساعد ستيلا وقال هامساً:

ـ تيا سأغيب لبعض الوقت وأعود، علي إخبار سيباستيان بشيء مهم.

أومأت تيا متفهمة كلامه مكملة ما كانت تفعله.

صادف ڤيكتور في طريقه للمكتب لورين التي استوقفته قائلة بصوت منخفض:

ـ سيدي لقد سمعت صوتاً غريباً من قبو الأطباق، وكان أشبه بصوت رجل يوبخ رعيته، لكن حين فتحت الباب وجدت ستيلا تبحث عن خرزة سقطت من عقدها.

صعق ڤيكتور من كلام لورين وقد أصابت شكوكه، قال لها بعجلة من أمره:

ـ لورين هل سيباستيان في مكتبي؟.

ـ نعم سيدي إنه هناك.

شكرها ڤيكتور راكضاً إلى مكتبه، إن الخطر يداهم ابنته من أقرب شخص لها!.

دخل إلى مكتبه لاهثاً بتعب. نظر له سيباستيان الذي كان يرتب ملفاته بقلق وقال تاركاً ما كان في يده مسرعاً:

ـ سيدي هل أنت بخير؟ لما جئت راكضاً؟ جسدك لم يستعد عافيته بشكل كامل بعد.

دخل ڤيكتور مكتبه مقفلاً وراءه الباب، قال وهو يجلس على كرسيه:

ـ سيباستيان وكّل لي شخصاً حتى يتحرى عن ستيلا.

اقترب منه سيباستيان متعجباً:

ـ هكذا فجأة؟.

شرح له ڤيكتور:

ـ أشك أن ستيلا ليست سوى ساحرة تدعي أنها مصاصة دماء.

نظر له سيباستيان بصدمة دون قول كلمة واحدة.

تنهد ڤيكتور شارحاً له الموقف بدقة أكبر:

ـ هل تتذكر الرسالة التي تلقيتها من تيا قبل ثلاثة أيام؟ في أحد أسطرها ذكرت تيا شيئاً غريباً لا أدري كيف لم تلحظه. قالت أن ستيلا استخدمت سحر الانتقال وأنت تعرف أننا لا يمكننا استخدام هذا النوع من السحر، يمكننا التنقل لكن ليس بهذه الطريقة، وليس للمسافة التي قطعتها. والآن لورين قالت أنها سمعت صوت رجل غاضب من قبو الأطباق ولكنها لم تجد سوى ستيلا في ذلك القبو. بماذا تفسر هذا كله؟ إنها ساحرة لا شك في هذا.

قال سيباستيان يحاول تأكيد العكس:

ـ لكن سيدي أنت بنفسك ساعدتها حتى تستعيد قوتها بسبب ذلك العقار الذي كان كاتب القوانين يجبرها على أخذه.

أجابه ڤيكتور غاضباً من تشبثه برأيه:

ـ من الواضح أنها أخذت جرعة مصاصي الدماء، نتائجها ليست سريعة أبداً، لذلك ادعت اختفاء قوتها بينما هي تنتظر نتائج تلك الجرعات.

وضع ڤيكتور يداه على رأسه مردفاً بخيبة أمل: اعتقدت أنه وأخيراً تيا وجدت لها صديقة تستطيع أن تشاركها أحزانها وأفراحها، صديقة لن تجعلها وحيدة، صديقة لن تخذلها كما فعلن من قبلها.

سأله سيباستيان ببطء:

ـ إذن سيدي... هل ستخبر السيدة الصغيرة؟.

رد ڤيكتور بسرعة رادعًا إياه:

ـ إياك أن تخبرها، ليست مؤهلة عاطفيًا لتنزل عليها هذه الصاعقة. عندما تحين اللحظة سأخبرها، وحتى ذلك اليوم سأعمل على أن تكتشف لوحدها، سيكون ألمها أقل إذا كانت هي من عرفت.

جلس سيباستيان قبالة ڤيكتور وقال بقلب محطم:

ـ لم أعتقد يومًا أن تكون ستيلا هكذا، أنا توخيت الحذر من الجميع لكنني كنت طبيعيًا متخليًا عن الرسمية معها. ظننت أنني حصلت على أخت في القصر الكبير، مواستها وممازحتها، جميعها ذكرتني بأخواتي، لكن لما هي تخدعنا؟ ما غايتها التي تريد الوصول إليها؟.

صمت ڤيكتور مغلقًا عيناه يفكر بالمكان الذي أتت منه ستيلا. حاول تخيل ملامحها حتى يحللها، عله يكتشف أصلها.

فتح عيناه وقال لسيباستيان:

ـ تحرى عنها في إمبراطورية كريستلوف وليس في نبلورد.

سأل سيباستيان مستغرباً:

ـ لكن ألم تقل أنها ساحرة؟ لذا بالتأكيد جاك هو من أرسلها.

حرك ڤيكتور رأسه مستاءً وقال:

ـ ملامحها سيباستيان ملامحها.

ـ ماذا عنها؟ أنا لا أفهمك سيدي.

ـ إنها لا تشبه ملامح أكستاڤو، إنها من كريستلوف أنا متأكد، لا بل واثق. دقق في يؤبئها، لا يحتوي على الخط الذي يمتلكه جميع سكان هذه الإمبراطورية، لا يمكنني أن أخطئ في رؤية هذا الخط... لأن عائلتي من صنعته.

ـ ما الذي علينا فعله كونت؟.

ـ كخطوة أولى، اجمع أكبر قدر من المعلومات عن هويتها الحقيقية. أشك أن الاسم الذي نعرفه ليس إلا اسماً مزيفاً تتخفى تحته.

عاد ڤيكتور إلى غرفة تيا عندما أنهى إلقاء أوامره على سيباستيان.

أعطته تيا هداياه المبتقية بحماس شديد حتى ترى ردود أفعاله عليها. وعند انتهائها من والدها، قدمت لجميع من يعملون في قصر والدها هدايا بسيطة تقديراً لجهودهم.

دخلت غرفتها عند حلول منتصف الليل بعد أخذها لحمام دافئ يريح جسدها المتصلب. جلست على الكرسي الذي وضع أمام مرءاتها حتى تجفف ستيلا شعرها وتسرحه لها.

قالت تيا وهي نتظر إلى ستيلا من خلال انعكاسها على المرآة:

ـ لقد كان يوماً حافلاً حقاً، لكن السعادة تغمرني أكثر من أي وقت مضى.

ابتسمت لها ستيلا قائلة وهي تجفف شعر تيا:

ـ معك حق، أنا أشعر بالراحة لعودتنا إلى القصر.

حل الصمت للحظات، لكنه كان بالنسبة لتيا صمتاً لطيفاً. كلما تذكرت المشاعر التي تلقتها من والدها اليوم تصل الإبتسامة لآذانها.

انتهت ستيلا من تجفيف شعر تيا وبدأت تسرحه ببطء حتى لا تتألم صاحبته.
ألقت تيا نظرة على ستيلا من المرآة ملاحظة تجمع القطرات في مقلتيها.

استدارت تيا سائلة ستيلا بقلق:

ـ ستيلا أمن خطب ما؟ تبدين وكأنك على وشك البكاء.

لم تستطع ستيلا كبح دموعها أكثر وانهارت باكية واضعة رأسها على أرجل تيا.

اختارت تيا أن تلتزم الصمت وتكتفي بالطبطبة عليها حتى تهدأ.

توقفت ستيلا بعد مدة عن البكاء رافعة رأسها تنظر إلى تيا بأعين محمرة إثر البكاء، قالت ببحة:

ـ أنا لست شخصاً سيئاً تيا، هذا ما أريدك أن تعرفيه مهما حدث في المستقبل.

ضحكت تيا بصدمة وقالت لها:

ـ ستيلا ما الذي جرى لك؟ ولما تقولين هذه الكلمات؟ أحسست بسببها أنك ألقيت علي لعنة ما.

اعتصر الألم ستيلا من كلام تيا، بعفوية خرج منها إلا أنه حقيقي تماما.

ربتت تيا على كتفها مردفة:

ـ لا تقلقي أنا أيضاً أمر بهذا الأمر في بعض الأيام، قد أنهار باكية بدون سبب كما فعلت كثيراً في ستوك. كل ما تحتاجينه هو الراحة ستيلا، اذهبي للنوم الآن ولا داعي للاستيقاظ مبكراً، أنت أيضاً مرهقة مثلي. سأكمل شعري أنا، لا تعيري للأمر بالاً.

هزت ستيلا رأسها دلالة على أنها موافقة، نهضت خارجة من غرفة تيا.

ـ تصبحين على خير ستيلا.

ـ وأنت بخير تيا.

مشت ستيلا في ممرات ذلك القصر الشاهق وصولاً إلى غرفتها المشتركة مع تمار. دخلتها على أطراف أصابعها حتى لا تستيقظ شريكتها، توجهت نحو درج صغير عند سريرها وأخذت منه زجاجة بيرة تود شربها مع نسمات الليل اللطيفة. صعدت سلالم القصر متنقلة فيها من طابق إلى آخر حتى وصلت إلى سطح القصر. جلست ستيلا على أرضيته الباردة وبدأت تتجرع ما جلبته متأملة بدر تلك الليلة. دقائق قليلة حتى بشخص جلس بجانبها.

ـ لا تتغير عاداتك، لكن لماذا لم أحصل على دعوة؟ أتريدين أن تنعمي وحدك بهذه النسمات؟.

ضحكت ستيلا مجيبة:

ـ لم أكن أعرف أنك ما زلت مستيقظًا سيباستيان.

نظر سيباستيان للبدر سائلًا ستيلا:

ـ أليس لديك ما تريدين إخباري به؟.

تجرعت ستيلا من زجاجة البيرة ثم قالت:

ـ مثل ماذا؟.

نظر لها سيباستيان قائلًا:

ـ أي شيء، ليس شيئًا محددًا.

ـ وإن كان شيئًا أفضل الاحتفاظ به، لا أريد أن يعرفه أحد؟.

وضع سيباستيان يداه على ركبته وأسند رأسه قائلًا:

ـ لن أجبرك، أنت حرة في أسرارك.

ابتسمت ستيلا تتأمل القمر الذي يلمع مضيئًا الشوارع المظلمة.

قالت ستيلا بعد صمت طويل:

ـ ألم تشتق لمحادثاتنا؟ أنا أفتقدها جدًا. لم أجد أحدًا يستطيع فهم آلامي كما تفعل، رلما لأننا نعاني الشيء نفسه؟.

رفع سيباستيان رأسه مجيباً بعيون تلألأت حزنًا:

ـ سأكذب إن قلت أنني لا أفعل، لكن في هذه اللحظة بالذات... تغيرت مشاعري. عندما أكون هنا، الذي يسيطر على قلبي هو الفرح لا غير، لكن الآن، كلي ألم وحزن.

بلعت ستيلا آخر ما تبقى في زجاجتها مبتسمة بجانبية، قالت مصطنعة اللطف:

ـ كلنا في هذه الدنيا نعاني من الحزن والألم، وأنا أفهمك لأن لي عائلة في مكان بعيد كما هو الحال مع خاصتك. هذه المشاعر لن يفهمها سيدك مهما شرحتها، هذا شيء لن يفهمه غيرنا. لربما أنت دائمًا ما كنت تتألم، لكنك توهم عقلك بمشاعر الفرح عندما تصعد إلى هنا، والآن المشاعر المكبوتة قد خرجت ولن تسمح لك بالتوهم.

هز سيباستيان رأسه نافيًا:

ـ بل أنت التي لا تفهمين سر ألمي في هذه اللحظة.

ابتسمت ستيلا وقالت:

ـ أنت جاهل أيها الفتى، لا تثق بنبيل عندما تكون أقل من مقامه، سيرميك في أي لحظة عندما يجد من يفوقك مهارة.

أنهت ستيلا حديثها راجعة إلى غرفتها تاركة وراءها سيباستيان الذي ضرب الأرض بقبضته غاضبًا.

تيا

"إنه اليوم، يوم المأدبة. آه أشعر أن قرونًا قد مرت حتى يأتي هذا ليوم أخيرًا. أنا متوترة جدًا، أريد النهوض من على هذا الكرسي والهروب، لم أهيئ نفسي لمقابلة المجتمع الأرستقراطي مرة أخرى، لست مستعدة لأسئلتهن السخيفة ولا لحواراتهن الخالية من الفائدة. يا إلهي كيف يمكنني الخروج من هذا الوضع؟. هدأت نفسي قائلة: لا بأس تيا لا بأس، استرخي وسيكون كل شيء بخير، كل ما عليك فعله هو الالتصاق بوالدك ولن تتعرضي لأي مضايقات من قبلهن. نعم هذا هو الحل المناسب لتفاديهن.

ـ سيدتي أي مشبك تريدين؟.

سألتني تلك التي تلعب بشعري بأكثر حالاتي توترًا، اخترت واحدًا عشوائيًا، أي شيء فقط أكملي عملك بهدوء. صدقوني لو أنها عرضت على شوكة كمشبك شعر لم أكن لأنتبه. وفي منتصف صراع النفس هذا أتى منقذي، أوه أبي أنا أحبك كثيراً، أرجوك فقط أنقذني. ابتعدت مصففة الشعر متيحة لأبي مجالًا حتى يقف خلفي.

أمسك كتفاي ونظر إلي من المرأة قائلًا:

ـ تيا لا تتوتري، كل شيء سيكون بخير وأنا هنا بجانبك، لن يحدث أي شيء. أريحي نفسك أنت متصلبة تيا.

طبطب على كتفي الأيمن خارجاً من الغرفة حتى أُكمل استعدادي. لن أكذب، كلماته بثت القليل من الطمأنينة داخلي.

انتهت مصففة الشعر من عملها وسألتني:

ـ سيدتي ما رأيك؟.

أجبتها على عجل:

ـ إنه جيد، جيد جدًا.

ابتسمت فخورة بعملها وقامت بتوديعي بما أنها أنهت مهمتها.
نظرت إلى نفسي في المرآة بتمعن ناسية توتري الذي سيطر علي من ثوانٍ قليلة. ابتسمت راضية عن مظهري البراق، إنه بعيد كل البعد عن البساطة. صحيح أنني أفضل البساطة، لكن يستحيل ألا أقع بحب هذا الجمال كله!. آه أخشى أنني سأخطف الأنظار من الإمبراطورة بشحمها ولحمها. يا إلهي لا أستطيع أن أنظر لوقت أطول، سيغمى علي من جمالي!.

قطع تغزلي بنفسي طرق باب الغرفة الذي عرفت صاحبه.

ـ ادخلي ستيلا، لقد انتهيت.

فتحت المعنية الباب مستقبلة إياي بشهقة لربما وصلت إلى غرفة أبي.

قالت بمجاملة مبالغ بها:

ـ يا إلهي هل زارنا ملاك اليوم؟!.

ضحكت من مبالغة ستيلا، أوه لحظة... إنها ليست مبالغة، إنها حقيقة!.

لفتت جزئي العلوي مستندة بيدي على الكرسي سائلة:

ـ ستيلا هل مظهري مبالغ به؟.

هزت رأسها نافية:

ـ أبدًا، إنه يوم مهم بالنسبة لك. عليك أن تكوني أجمل الحاضرين.

نهضتُ من الكرسي معانقة إياها قائلة بتذمر:

ـ أوي لما لا تستطيعين القدوم معي؟ سأكون وحيدة لساعات طويلة.

ـ صدقيني لو يمكنني الذهاب ومرافقتك لفعلت، لكن ليس باليد حيلة.

تنهدت مستسلمة للأمر الواقع فاصلة العناق متجهة للمكان الذي ينتظرني فيه أبي.

طرقت الباب طالبة الإذن بالدخول. أجابني صوته من الداخل يدعوني للدخول. دخلت غرفته واستقبلني أبي بكامل أناقته، أقسم أن أحدًا في هذه البلاد يستطيع التفوق عليه وسامة.

قلت له مادحة:

ـ أووه، أنظروا إلى الأرشيدوق ڤيكتور دادلي، أشك أنك أخي.

ضحك أبي معدلًا ربطة عنقه حتى لا ترص على رقبته خانقة إياه.

تقدم مني قائلًا:

ـ يا إلهي هل هذه ابنتي؟! واه لقد أنجبت شيئًا بهذا البريق الفتاك.

تبادلنا الضحكات لدقائق مع كلمات عشوائية بين الحين والآخر، وقد أنهي أبي الموقف مادًا يده لي حتى أمسك بها ونذهب إلى القصر الإمبراطوري.

كان الصمت سيد المكان في العربة، استشعرت فيه التوتر الذي طغى على كلينا. حتى ڤيكتور متوتر، من أنا كيلا أتوتر؟.

كنت أفكر طوال الوقت بخطة حتى أكون مستعدة في أي وقت، إذا أراد الإمبراطور أن يمس أبي بشر. لم تسنح لي الفرصة في المنزل لتفعيل قواي، لذا قررت تفعيلها في طريقنا. تأكدت من أن أبي شارد تمامًا وببطء أدرت رأسي للنافذة مفعلة قواي، في أسوء الحالات، عيناي المتوهجتان تفيان بالغرض. حاولت تنظيم أنفاسي التي بدأت تضطرب بسبب المانا التي تدفقت في جسدي. استغرقت العملية بعض الوقت، لكنني سيطرت عليها.

توقفت العربة معلنة وصولنا للقصر الإمبراطوري. تقدم أبي نازلًا من العربة قبلي مساعدًا إياي في النزول من العربة بسبب الارتفاع البسيط بين الأرض وسلالم العربة. أحسست برعشة سرت في جسد والدي عندما أمسكت يده، آه سحقًا، نسيت أن بإمكانه الشعور بالمانا المتدفقة في جسد ما عند ملامسته.

سرنا في ممرات القصر خلف كبير الخدم الذي يوجهنا إلى قاعة المأدبة، وكأنها المرة الأولى.

وصلنا بعد مدة وقد أصبحنا واقفين أمام باب القاعة. أحسست بمغص تسلل إلى معدتي محدثًا اضطرابًا على ملامحي، ربت أبي على كف يدي مهدئًا توتري لأننا سندخل بعد ثوان قليلة، شابكت يدي بيده الذي ثناها حتى أدخل يدي في ثنيتها أتشبث به.

فتح الباب تزامنًا مع قول كبير الخدم:

ـ لقد وصل الكونت ڤيكتور دادلي الذي أقيمت على شرفه هذه المأدبة، وبصحبته ابنته الكونتيسة تيا دادلي.

فتح الباب على مصراعيه وتحولت جميع الأنظار علينا.

سمعت شهقات وهمسات فور أن وطأت أقدامنا القاعة. ميزت من بين تلك الجموع وجه ابتسم مشجعًا، ومن غيره لواف؟. بادلته الابتسامة جاعلة ظهري مستقيمًا مزامنةً خطواتي مع أبي.

ابتعد الحضور مفسحين لنا الطريق حتى نصل للإمبراطور.

همس أبي محذرًا للمرة المليون:

ـ مهما حصل تيا، لا تنظري إلى عينيه.

لم أجبه، لأن ما في رأسي عكس ذلك تمامًا. توقفنا عن التقدم عندما بقي بيننا وبين درجات عرشه بضع إنشات.

انحنيت أنا وأبي سوية قائلين:

ـ تحياتنا شمس الإمبراطورية فرانكلين.

ابتسم فرانكلين مجيبًا:

ـ مرحباً بكما.

تعدل كل منا بوقفته لكن أبي كان رأسه يميل للأسفل قليلًا.

رفعت رأسي ناظرة في عيني الإمبراطور، سامحة لوهج مقلتاي الأحمر بالخروج. تسرع المسكين مبتسمًا بنصر، لكن سرعان ما هدمت مخططاته عندما بدأ تأثير عيني بالظهور عليه. شد قبضته على يد كرسيه محاولًا إخفاء ألمه، اكتفيت بهذا التحذير معيدة عيناي للونهما الطبيعي.

تحمحم نازلًا من عرشه ملتقطًا دبوس الأرشيدوق من علبة مدها له خادم يقف على يمينه. عند اقترابه منا، لاحظت أبي يمد يده إلى داخل صدره مخرجًا قلادة كانت تحت ملابسه، حاولت معرفة هوية هذه القلادة لكنني عجزت. عادت أنظاري إلى الإمبراطور الذي صار يقف أمام أبي الآن. نزع من سترة والدي دبوس الكونت، قال تزامنًا مع تعليقه لدبوس الأرشيدوق:

ـ بصفتي إمبراطور أكستاڤو، أعلن أن ڤيكتور دادلي أصبح أرشيدوق هذه المدينة، وابنته تيا دادلي أرشيدوقة لمدينة أكستاڤو.

أنهى الإمبراطور عمله نافضًا غبارًا وهميًا من على ملابس أبي، انحنينا أنا وأبي بخفة احترامًا للإمبراطور. عاد جالسًا على عرشه مصفقًا بيديه معلنًا عن بدء المأدبة أخيرًا. ألحان لطيفة هادئة تعزف في هذه القاعة، نظرت لأبي مبتسمة بفخر وبادلني بدوره راسمًا ابتسامة أكبر من خاصتي. وأوبس! سحبتني يد ذلك الثعبان قبل أن أقول مباركاتي لوالدي، سمعت صوت قهقهته على تصرف لواف ملوحًا لنا ذاهبًا لأصدقائه. توقفنا أنا ولواف على إحدى الطاولات الفارغة، إنها ليست تلك نفسها الذي كان عندها عند دخولنا. ركلته بخفة غاضبة من تصرفه.

قال متألماً:

ـ أوي على رسلك.

زفرت بغضب دون قول كلمة، اكتفيت بنظراتي ليفهم ما فعله.

أردف ممازحًا:

ـ حسناً سأغفر لك هذه المرة لأنك أميرة هذه المأدبة، عليك أن تفرحي، لأنني لا أغفر بسهولة.

لانت ملامحي بسرعة مطلقة ضحكة خفيفة.

أمسكت كأس نبيذ كان على الطاولة مقلبة إياه قائلةً:

ـ لواف أتعتقد أن أبي سيكون بخير؟.

بلع لواف ما تجرعه من كأسه وقال مستغربًا:

ـ ما بال هذا السؤال؟ أهو سؤال مفخخ؟.

أعدت الكأس على الطاولة كما هو وقلت:

ـ لواف أنا جادة في حديثي.

ـ تيا من أي خطر قد يحاط وهو في قصر الأمبراطور؟.

قلت شاردة في انعكاسي على الكأس:

ـ لربما الخطر من صاحب القصر نفسه؟.

استغرب لواف من كلامي سائلًا بقلق:

ـ تيا أمن شيء يحدث مع والدك؟.

تنهدت موجهة أنظاري عليه:

ـ لا، أنا فقط أتساءل.

قال مغيرًا الموضوع وهو يشير بيده الحاملة لكأس النبيذ على الطاولة:

ـ ألن تشربي؟.

ـ أنا لا أحب الخمور.

ـ أوه صحيح، نسيت ذلك.

صمتُ مستمعة للألحان المفضلة لدي. نظرت للواف ورأيت بصره مصوبًا على مجموعة من الشبان والذين ميزتهم من النظرة الأولى.

نطقت بما ينتظر مني قوله:

ـ اذهب إليهم.

نظر لي متعجبًا:

ـ ماذا؟.

دفعته بخفة قائلة:

ـ أعلم أنك تريد الحديث مع أصدقائك.

نظر لي يتأكد من كلامي، أردفت وأنا أحرك يدي ليرحل: اذهب وحسب.

ـ حسناً، ألقاك فيما بعد.

هززت رأسي دون تعليق اخر، عدت شاردة بانعكاسي الظاهر على كؤوس الخمور المختلفة أفكر بما قد يحدث الليلة، لا أظن أن الإمبراطور سيجعلها مأدبة طبيعية لأبي، أنا مشوشة بالكامل، لا يمكنني الاسترخاء أبدًا. أريد أن أبقى بجانبه وأحميه من أي خطر، لن أسامح نفسي إن تأذى مرة أخرى.

انطفأت الأنوار فجأة، عادت للعمل مع ألحان جديدة، نعم إنه وقت الرقص. اجتمع كل شخص مع شريكه في المنتصف وبدؤوا الرقص بانسجام وتزامن. جلت بنظري أبحث عن أبي الذي يكون شريكي في هذه المأدبة، لكن مهلًا... لا أثر له في القاعة بأكملها!!!. خطوت بسرعة إلى طاولة أصدقائه أسأل عنه ولم أتلق منهم سوى أنه ذهب لمكان ما.

خرجت من القاعة بسرعة وأصبحت أجري في ممرات القصر غير عالمة وجهتي، كل ما أعرفه أن أبي بخطر الآن، ولن يستطيع أحد غيري تخليصه من هذا الخطر"

في غرفة بعيدة عن قاعة المأدبة، ڤيكتور محجوز يتم تعذيبه من قبل الإمبراطور.

ضحك فرانكلين بصخب قائلًا:

ـ انظر إلى حالك ڤيكتور، يا إلهي تبدو ككلب يعذب من قبل سيده طالباً منه الرحمة!، لا يتملكني سوى الضحك عندما أنظر إلى وجهك.

قال ڤيكتور مرتجفًا مترجيًا:

ـ أرجوك جلالتك، اترك ابنتي وشأنها. أنا... أنا هو المذنب وليس هي.

وضع فرانكلين سبابته على ذقنه يصطنع التفكير وقال:

ـ صحيح هي ليست مذنبة بشيء. نظر إلى ڤيكتور مكملاً: ولكن جرمها أنها ابنتك. أنهى كلامه بضحكة صاخبة عندما بدأت دموع ڤيكتور بالنزول وهو يترجاه حتى يبتعد عن تيا.

أردف الإمبراطور بخبث:

ـ نسيت أن أخبرك أن عدوك يشاهدك وأنت مذلول هكذا. أخبرني عن شيء أكثر إذلالًا من هذا؟.

كان جاك في الخلف يراقب بصمت قابضًا قبضة يده بقوة. أي نعم هو عدوه، لكن لا يستطيع أن يراه وهو هكذا. كان يدعي أن ينتهي هذا العرض سريعًا حتى لا يقدم على شيء قد يندم عليه فيما بعد.

خرجت فجأة غمامة سوداء عندما فتح الإمبراطور خاتمه، رآها جاك وهي تسيطر على جسد ڤيكتور الذي بدأ يصرخ ألمًا بسبب ذلك الشيء الذي يدخل إلى جسده.

أراد جاك في تلك اللحظة أن يبرح الإمبراطور ضربًا، لكن سحره لن يعمل بكامل قواه في هذه الغرفة.

دقيقة هي حتى فتح الباب، توجهت الأنظار على ذلك الشخص الذي اقتحم المكان.

صرخت تيا ترامنًا مع توهجها كلها بالأحمر:

ـ أبـي!!!.

قال ڤيكتور وهو يصارع ذلك الشيء:

ـ تيا اخرجي بسرعة.

رمت تيا كلام والدها بعرض الحائط، وبسرعة البرق أطاحت بالإمبراطور أرضاً من ضربة واحدة فقط. نظرت له ببؤبؤ عينيها الأحمر بعمق وقالت:

ـ حذرتك بلطف لكنك لم تفهم، لم تترك لي خيارًا آخر. أغمضت تيا عيونها ثم فتحتها مرة أخرى وقد زاد وهجها هذه المرة، أردفت: قل وداعًا لحياتك.

كانت تيا على وشك غرز مخالبها فيه، لكن أوقفها صراخ والدها قائلًا:

ـ تيا توقفي، أغلقي الخاتم وحسب.

نظرت تيا بسرعة إلى يدي الإمبراطور، وسرعان ما رأته وقامت بإغلاقه محررة والدها من ذلك الوحش الذي كاد يستحوذ على جسده. إنهار ڤيكتور فاقدًا وعيه.

قالت تيا مهددة فرانكلين:

ـ اسمع يا هذا، قوتي تفوق جميع أتباعك سوية، حاول مرة أخرى لمس والدي وسأجعلك رمادًا وعبرة لمن يحاول معاداة آل دادلي.

قبضت تيا على رقبته مفرغة جل غضبها عليه، خففت من حدة قبضتها عندما تحول لون وجهه للبنفسجي. قالت مبتعدة عنه:

ـ رأيت ما يمكنني فعله، جرب والعب مرة أخرى، أعدك لن تعيش المرة القادمة.

نظر لها فرانكلين بعين واحدة يحاول استرجاع حياته التي كانت ستسلب منه.

أدارت تيا جسدها ذاهبة حيث والدها، واستقبلها مشهد ظنت لوهلة أنه حلم.
رأت جاك وهو يعالج والدها، تسلل الشك إلى عقلها قائلًا لها أنه يلقي لعنة عليه أو سحرًا قاتلًا. أبعدته تيا عن جسد والدها بعنف وبدأت تجمع بعض الطاقة في يدها، تخطو للأمام وهو يزحف للوراء.

أوقفها جاك وقال بصدق:

ـ اهدئي، كنت أعالجه. أقسم لك أنني أعالجه ولا أنوي شرًا هذه اللحظة بالذات.

تفحصته تيا بدءًا من عينيه اللوزية وشعره الممزوج بين بني وأشقر، ووجهه الذي يحمل ملامح حادة وفي ذات الوقت لينة، نهاية بيديه ورجليه تتأكد إن كان يخفي شيئًا بهما.

توقفت تيا عن تكوين رمية قاتلة وقالت بشك:

ـ ولما تريد مساعدة عدوك؟ ألم تكن سعيدًا عند رؤيته هكذا؟.

وقف جاك مبعدًا الغبار عن ملابسه معدلًا هندامه، قال متنهدًا:

ـ هو عدوي، لكن لا أستطيع رؤيته مذلولًا لهذه الدرجة، لست بهذه القسوة.

جثت تيا عند رأس والدها واضعة إياه على رجلها ضاربة وجهه بخفة عله يستيقظ. لكنه لم يفعل.

تقدم جاك قائلاً:

ـ لن يستيقظ هكذا، ما خرج من الخاتم هو لعنة بالسحر الأسود، علاج تأثيرها يتطلب الكثير من المانا. أبعدها جاك مكملًا علاجه إلى أن رآه يفتح عينيه.

أمسك ڤيكتور رأسه يئن بخفة من الألم الذي داهمه. نظرت تيا إلى جاك غاضبة، ظنت أنه عالج والدها لكنه فقط أعاد له وعيه.

قالت تيا بنظراتها التي يتحاشاها جاك:

ـ لما هو يتألم؟ ألم تقل أنك عالجته؟.

تنهد جاك موضحًا:

ـ الغرفة بها بعض من حواجز السحر، لم أستطع استخدام كامل سحري، لذلك هو استيقظ مع الآثار الجانبية. كما قلت لك لعنات السحر الأسود تحتاج الكثير من المانا.

سأل ڤيكتور متألمًا:

ـ ما الذي يحدث هنا؟.

نظرت له تيا وقالت مطمئنة:

ـ لا تقلق أبي كل شيء بخير. حولت تيا نظرها إلى جاك وقد هدأت عيونها، وأردفت: سأخرجه من هذه الغرفة، لكن أرجوك عالجه.

وافق جاك على تقديم المساعدة، قام هو وتيا بإخراج ڤيكتور من الغرفة ومدداه في ذلك الممر الطويل. استطاع جاك استعمال قوته دون ألم عكس ما حدث في تلك الغرفة.

كانت تيا تمسك بيد ڤيكتور قلقة بسبب وجهه الذي تصبب عرقًا واعتصرت ملامحه ألمًا. استعاد ڤيكتور طاقته في لحظات وصعق عندما رأى جاك بجانب ابنته. تأكد جاك من نجاح سحره ووقف مادًّت يده إلى ڤيكتور وقال:

ـ ستكون في كامل قوتك عند لقائنا القادم، سأتأكد من أنني سأكون الشخص الذي تحاربه وليس ذلك الجرذ.

ابتسم ڤيكتور ممسكًا بيد جاك التي ساعدته على النهوض مجددًا.

ابتعد جاك عنهما لكنه التف قائلًا لڤيكتور وعلى وجهه ابتسامة نقية:

ـ أحسنت صنعًت بتربية ابنة تفوقك قوة، إلى الآن عظامي تتألم من ضرباتها القوية، هي من ستنصركم علينا.

فتح بوابته راجعاً إلى حيث ينتمي مبتعداً عن صخب هذا المكان.

نظرت تيا مستغربة إلى والدها الذي اكتفى بإيماءة من رأسه.

أمسكت يده وقالت:

ـ علينا العودة إلى القاعة، بدأت الموسيقا منذ مدة.

ـ لا تقلقي تيا، لن تفوتيها على مهلك.

ـ يستحيل أن أضيف إلى قائمتي حدثًا لم أقدم فيه رقصتي المميزة.

ضحك ڤيكتور على عفوية ابنته، يحاول اقناع نفسه أن من رآها في تلك الغرفة هي ذاتها التي تجره الآن.

دخلا القاعة مجددًا وتقدما إلى منتصفها. ولحسن الحظ، لم ينته وقت الرقص.

وقف ڤيكتور مقابلاً تيا منحنياً ومادًا يده سائلًا:

ـ أتعطيني شرف هذه الرقصة سيدتي؟.

ابتسمت تيا ممسكة بيد والدها معلنين بدء رقصة تيا التي لم يستطع أحد اتقانها غيرها هي. تتمتع تيا بليونة وخفة عاليتين، لذلك من الصعب على باقي فتيات أكستاڤو مجاراتها في الرقص.

كان الجميع ينظر لهما بإعجاب والبعض ينظر لهما بغيرة.

انتهت الآلات من عزف الألحان وتبعها تصفيق حار لآدائهما المثالي.

جاك

"يا إلهي ما الذي جرى لي؟!. لما لا تخرج صورة تلك التي تدعى تيا من رأسي؟. لا أستطيع سوى التفكير بها منذ اللحظة التي خرجت فيها من قصر الإمبراطور. هي فعلًا فائقة الجمال كما تقول الشائعات، أسحب كلامي عنها قبل ملاقاتها. لكن لحظة... لما خفق قلبي عندما وقعت عيني في عينيها؟ آه سأجن. أخرجي من عقلي يا ابنة دادلي. مشاعر كتلك، لأول مرة أشعر بها، كنت أريد الحديث معها لساعات دون انقطاع. أهذا ما يسمونه بسحر عيني تيا دادلي؟ هل فعلًا يوجد سحر ما في عينيها؟ لا أنكر شدة تأثير سحرها، ليس طبيعيًا!. كنت سأقع في حبها لوهلة. بحق أيوجد شخص بهذا الجمال على سطح الكون؟.

نظرت إلى الساعة المشيرة للثانية عشر منتصف الليل، تساءلت إن كانت المأدبة قد انتهت في هذه الأثناء، أم ما زالوا يستمتعون بوقتهم؟.

تملكتني رغبة في الحديث مع ابنة ڤيكتور، حتى أنا مستغرب من نفسي.

في كل مرة أحاول فيها تغيير ما أفكر به يعود تفكيري في نهاية المطاف إليها.

لا أدري كيف أصفها، كل شيء فيها جذاب. من لون شعرها المشابه لوالدها، إلى عينيها التي تمثل البحر بلونها، إلى ملامحها الحادة واللطيفة في الوقت ذاته، إلى هالتها القوية وحضورها الطاغي، من كل جانب هي مثالية.

لو أنني بقيت قليلًا بعد، لربما استطعت صنع حوار قصير بيننا.

ضربت نفسي قائلًا: جاك ما بالك تتحمس لإجراء حوار مع عدوك؟ أمن خطب ما في عقلي؟ أم هذا ما يقولون له إعجاب من النظرة الأولى؟. وماذا يعني هذا؟ لن نجتمع على أي حال، فكلانا عدو للآخر.

ربما لو كانت الأوضاع عكس الآن، لكنت أحببتها في وقت مبكر.

لا أريد التفكير بها أكثر، لكن لا أستطيع التحكم بنفسي. لقد استولت على عقلي من بضع دقائق، ما الذي قد تفعله لو بقيت لوقت أطول؟.

هذا ليس مهما الآن، علي أن أنال قسطًا من الراحة، سيكون الغد متعبًا.

استلقيت على وسادتي الحبيبة مغمض العينين غارقًا في النوم الذي لم أره من يومين.

استيقظت على زقزقة العصافير عند الفجر، فركت عيناي قليلًا محدقًا إلى السقف أحاول استيعاب أنني مستيقظ.

نهضت خارجًا من كوخي الصغير متجهًا للبحيرة بنية غسل وجهي المنتفخ بسبب قلة النوم. اعتقدت أن جنودي ما زالوا نائمين، لكنني وجدتهم جميعًا خارج خيمهم يلمّعون سيوفهم. رفعت يدي بكسل كرد لسلامهم. وصلت للبحيرة التي تتمع بماء بارد منعش عذب. غسلت وجهي بمائها عدة مرات، نظرت إلى انعكاسي في الماء وفجأة ظهرت، رأيت صورتها مبتسمة بإشراق. ابتسمت بخفة على انعكاسها الخيالي، استيقظت من شرودي ضاربًا وجهي محدثًا نفسي: كفاك تفكيرًا يا هذا، لا يمكنك التفكير بها بعد الآن. جففت وجهي بالمنشفة التي كانت على كتفي وعدت بخطواتي إلى كوخي الصغير. بدلت ثياب نومي لأخرى خاصة بالتدريب.

دخل دانييل وبيده ظرف ميزت ختم صاحبه، قلت متأففًا أثناء إغلاق أزرار قميصي:

ـ ما الذي تريده باميلا هذه المرة؟ سئمت من مساعدتها دون معرفة شكلها حتى.

رد دانييل قاصًا علي محتوى الظرف:

ـ إنها تطلب خنجرًا من الفضة وخشب الزعرور.

نظرت له بصدمة قائلاً:

ـ ما الذي تريده؟ فضة؟ خشب الزعرور؟ لا وألف لا.

ـ لما لا تلبي طلبها سيدي؟.

التفت له بغضب ناطقًا:

ـ ألم تفهم ما تريده؟ هي مقدمة على قتل مصاص دماء.

ـ أعلم سيدي.

انفجرت من بطء استيعابه صارخًا:

ـ إنها تعمل في قصر ڤيكتور، يعني أنها تريد قتله أو قتل ابنته.

قال دانييل بابتسامة:

ـ أوليس هذا ما تريده سيدي؟.

ضربت جبهتي من غباء مساعدي، تنهدت قائلًا:

ـ لا أريد أن أنتقم هكذا، لدي خطة ولن أخرج عنها. لا أريده أن يموت بسرعة، أريد أن يتمنى الموت بنفسه.

قال دانييل بعد أن استوعب أخيرًا:

ـ أوه لقد فهمت سيدي.

زفرت بفرح:

ـ الحمدلله أنك فهمت.

سألني دانييل قبل خروجه:

ـ سيدي هل أرسل لها رفضنا لطلبها؟.

أجبته وأنا أضع الدرع على صدري:

ـ نعم، افعل هذا.

انتهيت من تثبيت درعي خارجًا من الكوخ متجهًا إلى ساحة التدريب.

علمت الجنود بعض تقنيات السحر قد تفيدهم في أثناء مقاتلاتهم.

صعدت إلى الجبل كالعادة أراقب آداءهم. جلست على الأرض أفكر في باميلا تلك، لا أعرف شيئًا عنها سوى أنها ساحرة. حميتها ولبيت ما تطلبه لإحساسي بالمسؤولية تجاه البشر والسحرة، لكن لم أقابلها يومًا وجهًا لوجه، وترفض التواصل باستخدام سحر الاتصال. كل معلوماتي عنها أن اسمها باميلا وهي في أواخر العشرين وتعمل لدى ڤيكتور كخادمة. تساءلت عن رغبتها في اقتناء سلاح قادر على قتل مصاص الدماء، لم تشكِ يومًا من معاملة سيئة تتعرض لها في قصر ڤيكتور، لما تريد فجأة قتله؟ ربما يكون مصاص دماء اخر غير ڤيكتور؟ لربما يكون أحد الخدم الذين يعملون معها. لكن لا، لن أرسل لها ما طلبته. ليس لأنني عاجز عن جلبه، أنا بالفعل أملك الكثير منه، لا أريد أن يقتل الشخص الخاطئ. لن أسمح لشخص أن يقتله قبل أن آخذ بثأري.

ترددت ثانية بإرسال الخنجر لباميلا، قد تكون في خطر وتريد حماية نفسها من شخص ما. ليس بالضرورة أن يكون سيدها.

أشرت لدانييل أن يصعد حيث أنا، حتى أعلمه أنني غيرت رأيي وليرسل خنجرًا لباميلا ويعلمها في رسالة أنها إن أقدمت على قتل ڤيكتور لن يصيبها خير.

هز دانييل رأسه بإيجاب ونزل متجهًا لمخزن الأسلحة آخذًا منه خنجر الفضة والزعرور مرسلًا إياه إلى باميلا.

صرخت في أحد الجنود الذي كان يلقي نكاتًا عوضًا عن التدريب، قلت:

ـ أوي أنت، أتريد أن يلقى عليك النكات في ساحة المعركة؟ عد إلى التدريب قبل أن آتي وألقي دعابة أمام جثتك.

ضحك الجندي مجاريًا لي وقال:

ـ أمرك سيدي، سأكون أنا من يلقي النكات على جثثهم.

ابتسمت له ابتسامة خفيفة ونزلت من الجبل مشاركًا إياهم تدريبهم.

حل الليل بعد ساعات طويلة قضيناها في التدريب. وقفت ملتقطًا أنفاسي وقلت للجنود مصفقًا بيدي لأجذبهم:

ـ لقد انتهى تدريب اليوم، تستطيعون النوم أو الأكل، أيا كان ما تريدونه تصبحون على خير.

سألني جندي قبل أن أغادر:

ـ سيدي هل يمكننا الشرب؟.

نظرت له بقلة حيلة وأجبته:

ـ من سيثمل أيام الحرب سأضمه إلى قائمة مصاصي الدماء، ولن يكون من جيشي بعد الأن.

سمعت خيبات أمل خرجت من الجنود، لكن هذا أفضل لهم.

سيستيقظون صباحًا مع آثار الثمالة القاتلة، ولن تتوافر لديهم القدرة على التحمل الكافية للتدريب".

ـ ستيلا. نادت تيا بألم صديقتها بسبب إحساسها بطعنات في ظهرها.

نادت بأسماء الخادمات بشكل عشوائي لكن لا أحد منهن يرد.

حاولت النهوض والذهاب إلى غرفة والدها التي لا تبعد كثيرًا عن غرفتها، مع كل حركة تتحركها تيا يزيد ألمها، استسلمت من محاولة التحرك إلى أي مكان.

راجعت بذاكرتها ما أكلته وشربته وهل قامت بأخذ شيء من شخص مشبوه. من أعطاها كل شيء من الأمس حتى اليوم كان ستيلا، هي من قدمت كل وجباتها ومشروباتها. جال في بالها أنه تسلل أحد ما إلى القصر ووضع شيئًا ما في طعامها وربما شرابها. إنه ليس بسبب قوتها التي استخدمتها في المأدبة منذ يومين بالتأكيد، يستحيل أن يصل تأثيرها بعد يومين كاملين!. والألم فقط يتمركز في ظهرها لا غير. استلقت تيا بصعوبة على سريرها المريح تنظر إلى السقف مقاومة ألمها قدر المستطاع. كيف ستصمد حتى يحل الفجر وتعود الحياة للقصر؟ ولما لا أحد يسمع نداءاتها؟ وكأن الغرفة عازلة للأصوات. مرت ساعة وهي تصارع الألم. سمعت تيا نقرات قادمة من نافذة غرفتها، اعتقدت أن بعض أغصان الأشجار تدلت على نافذتها وحركت بفعل الهواء. تحولت النقرات إلى طرقات متقطعة، أجزمت تيا أن يد شخص هي التي تفعل ذلك. حاولت النهوض بتريث، زاد إنزعاجها بسبب صوت الطرق على النافذة وصرخت بصوت عالي:

ـ كفاك طرقًا يا هذا أيًا كنت، سأفتح النافذة.

وصلت تيا بصعوبة وهي تبكي من شدة ألمها، تريد استخدام قوتها لفتح النافذة دون فعل كل هذا، لكنها أيضًا لم تستجب لاستغاثتها.

فتحت تيا النافذة مردفة بتنهد:

ـ لن أسامحك طيلـ...

بتر كلام تيا بسبب ذلك الذي أقبض بيده على فاهها مغلقًا إياه دافعًا تيا ملصقًا إياها بالحائط. حدث ذلك بسرعة كبيرة، حتى تيا لم تدرك الموقف إلا عندما ألصق ظهرها في الحائط، وأحست سيوفًا غرزت فيه. نزلت دموعها غير قادرة على التحمل أكثر. نظر لها الآخر بقلق بسبب قطراتها التي تتساقط بغزارة شديدة، سألها متطمئنًا:

ـ هل أنت بخير تيا؟.

فتحت تيا عيناها عندما ميزت صوته، نظرت له بصدمة وخوف. هي الان عاجزة تمامًا، لا تستطيع استخدام قوتها ولا أحد يصله صوتها مهما رفعته.

أنزل القابع أمامها يده وكرر سؤاله مضيفًا:

ـ هل أنت بخير تيا؟ لا تقلقي، أقسم أنني لن أؤذيك.

هزت تيا رأسها نافية ودموعها تأبى التوقف.

أنزل جاك لثام وجهه محدثًا تيا بهدوء راق لها:

ـ أخبريني لما تذرفين كل هذه الدموع؟ أمن شيء يؤلمك؟.

ردت تيا بصعوبة:

ـ أشعر بسكاكين تغرز في ظهري.

استقام جاك بوقفته وسألها:

ـ أتستطيعين السير إلى السرير؟.

صرخت به تيا بين دموعها:

ـ أيها الغبي هل كنت سأستغرق كل هذا الوقت لفتح النافذة لو أنني أستطيع السير؟.

ـ لا خيار آخر إذن.

حملها جاك واضعًا إياها على السرير كما كانت قبل وصوله.

قال لها طالباً:

ـ أعطيني يدك حتى أحدد إن كان شكي في محله.

كانت تيا مكسوة بحمرة طفيفة على وجنتيها خجلة من تصرف جاك قبل قليل.
أعطته يدها بتردد، أمسكها ناظرًا بعينيها المحمرتين المنتفختين بسبب البكاء.

قال جاك بصدمة:

ـ يا إلهي كيف لك أن تكوني على قيد الحياة؟.

رمقته تيا بنظرة منزعجة وقالت:

ـ أتريد موتي يا هذا؟.

ـ ليس هذا ما قصدته، لكنني أستشعر الكولاكتين في جسدك، كميته ليست بسيطة.
إنها كافية لقتل مصاص دماء نقي السلالة.

قالت تيا بتعجب:

ـ الكولاكتين؟!.

أجابها جاك موضحًا:

ـ إنه سم قوي جدًا ومن الصعب الحصول عليه لأنه من المحرمات في هذه الأرض. وإذا قبض على شخص بحوزته الكولاكتين لن ينجو من موته مهما حاول. طريقة تخضير هذا السم معقدة جدًا، ويأخذ وقتًا طويلًا حتى يتركز السم ويصبح قاتلًا. لا أدري كيف وصل لجسدك، كل ما أعرفه أن علي معالجته قبل فوات الأوان.

ظهر ضوء أصفر مائل للبياض من يدي جاك التي تعالج تيا، كما تحولت عيناه للأصفر. كانت الأخرى تتصب عرقًا تئن بألم تحاول التحمل قدر الإمكان. رأت تيا بعد مدة رجفة بيدي جاك وقد اعتصر وجهه يحاول تحمل المانا المتدفقة في جسده، يريد إنقاذها حتى لو كان خطرًا على حياته.

أكمل علاج تيا بعد نصف ساعة متواصلة، كان يلهث بألم بينما ينظر إليها مبتسمًا كأن شيئًا لا يحدث في قلبه.

احتاجت تيا بضع دقائق حتى استعادت عافيتها بالكامل.

قالت وهي تعتدل بجلستها مسندة ظهرها للخلف:

ـ شكرًا لك جاك، من الممكن أن أكون ميتة لو أنك لم تأتِ. أوه صحيح لما أنت هنا؟.

نظر لها جاك مسحورًا بملامحها، قال بتوتر:

ـ لا... لا أدري، وجدت نفسي فجأة أذهب إليك.

سعلت تيا بخجل من جواب جاك. صمت الإثنان لمدة لا بأس بها، قالت تيا بفضول:

ـ جاك، ما مدى ثقتك أنني لن أهاجمك في أي لحظة بعد أن عالجتني؟.

نظر لها جاك مجيبًا:

ـ حتى أنا لا أفهم نفسي، عندما أكون مع عدو أحذر وبشدة، لكن معك، أنا أتخلص من كل ذلك الحذر، عجزت فهم السبب.

نظرت له تيا بعيون زرقاء متلآلئة كما البحر مع قمر ليلة صافية، وقالت:

ـ أ..أنا أيضًا أشعر براحة عند تواجدك، لا أدري حقًا إن كنت عدوًا. ربما الظروف جعلتك هكذا، لا أعتقد أن داخلك مظلم لهذه الدرجة.

ـ أليس وضعنا غريب بعض الشيء؟ لم نرَ بعضنا البعض سوى مرتين، لكن لما كل هذه الراحة تجاه بعضنا؟.

أجابت تيا تساؤله مبتسمة:

ـ لربما هي القلوب؟.

نظر لها جاك غارقًا في ابتسامتها، قال مؤيدًا:

ـ معك حق، يبدو أن القلوب لانت لبعضها رغم الظروف.

أمسكت تيا يد جاك واضعة قبضتها داخلها، فتحتها قائلة:

ـ تداا، إنها هدية. ضحكت تيا على سحرها مردفة: لم أعرف أنه يمكنني فعل هذا الشيء اللطيف بهذه القوة العنيفة.

ابتسم جاك ناظرًا للوردة البيضاء التي وضعتها تيا في يده باستخدام سحرها.

وقف جاك عندما أحس أنه أطال في جلسته وقال:

ـ إذن... علي الذهاب الآن. مشى إلى أن وصل إلى النافذة والتفت مردفًا: محادثتنا هذه ستكون سرًا أليس كذلك؟.

رفعت تيا خنصرها مجيبة:

ـ أعدك.

ابتسم فاتحًا النافذة قافزًا منها عائدًا أدراجه.

نظرت تيا إلى يديها بعد فترة من خروجه وقالت:

ـ لما راودني شعور بالتسمك به؟ لا تيا لا يمكنك، ليس من الصواب فعل هذا. مضت مدة عن آخر لقاء، كيف سمح لنفسه بأن ينسى؟ بالنسبة لي، يستحيل علي نسيان هاتين العينين.

اقتحم سيباستيان مكتب سيده دون مقدمات صارخًا:

ـ سيدي، ستيلا تشكل خطرًا بقربها من السيدة الصغيرة.

رفع ڤيكتور رأسه سائلًا بقلق:

ـ ماذا هناك؟.

أجابه سيباستيان بوجه مخطوف:

ـ ستيلا ساحرة بيضاء من إمبراطورية كريستلوف.

صدم ڤيكتور بما سمعه لتوه من مساعده. صمت محاولًا استيعاب كلمات سيباستيان يرددها في عقله مرارًا غير مصدق لما يجري.

أجابه ڤيكتور بصدمة:

ـ إذن هذا يعني أن أمها كانت أيضًا.. أقصد أنها.. أنهما مجرد جاسوستين؟ وكل الوفاء والحب الذي أظهراه كان كذبة؟ كل حب ستيلا لتيا مجرد تمثيل؟ إنها مسرحية خطط لها باحترافية كبيرة. أخرج ڤيكتور قهقهة ساخرة من فاهه مكملًا: لقد خدعت من ساحرتين؟ أنا ڤيكتور دادلي أدخلت جواسيسًا إلى قصري واءتمنهم على عائلتي وأسراري. العار يلازمك يا ڤيكتور أينما ذهبت، وهذه فضيحة لن يغفرها أحد لي. سأعتبر خائنًا وأقدم رأسي ثمنًا للخيانة.

قال سيباستيان يحاول مواساة سيده:

ـ لا سيدي، سنقضي عليها وندفن سرها معها في قبرها.

أمسك ڤيكتور رأسه منتهدًا وقال بصوت يتخلله الألم:

ـ لقد وثقت بها واعتززت بها، والأهم مني هي تيا. هل تعرف مدى اليأس الذي سيجتاحها إن عرفت؟ ألمي وألمك يا سيباستيان، لن يساوي نصف ألمها حتى.

أرخى سيباستيان رأسه بحزن قائلًا:

ـ أتفهم تمامًا مشاعر الآنسة تيا، فقد خانني أعز صديق لي. كنت أعتبره أعز من الأخ وأخذت رصاصة بدلًا منه، لكنني أدركت متأخرًا أنه من أطلقها.

هذا الشعور، لا أتمنى لأحد تجربته، إنه مؤلم أكثر من فراق الحبيب أو خيانته. شعرت وقتها أن نفسي خانتني.

ـ وماذا أقول عن شخص لم يجد واحدًا على الأقل يشعره بالصداقة النقية؟ هو فقط محاط بأكاذيب ادعت أنها أصدقاء. دائمًا أتساءل بمن سأثق في الشدائد إن كانوا هم الشدائد؟، كيف لي الوثوق بهم؟ لكن هل تعلم يا سيباستيان، صحيح أنك أصغر مني بكثير، لكن أعتقد أنني أستطيع الاعتماد عليك في المواقف الصعبة، لأنك أثبت في كثير من الأوقات إخلاصك وصدقك معي. لربما أنت هو الشخص الذي سيعلمني هوية الصداقة النقية؟ أو على الأقل معنى الصدق تجاه من تحبهم.

ابتسم سيباستيان سائلًا ڤيكتور:

ـ إذن... هل بإمكانك اعتباري صديقًا مخلصًا يقف بجانبك في السراء والضراء؟ صديق يجعل من كتفه الشيء الذي تستند عليه عند وقوعك؟.

صمت ڤيكتور ولم يقل جوابًا لسؤال مساعده.

أردف سيباستيان عائدًا إلى موضوعهم الأساسي:

ـ سيدي هل تريد معرفة باقي المعلومات عن ستيلا؟.

أومأ ڤيكتور برأسه علامة على الإيجاب.

قال سيباستيان ساردًا ما حصل عليه:

ـ اسمها الحقيقي ليس ستيلا ريدن، بل باميلا تسولغيير. تبلغ من العمر تسع وعشرين عامًا، ولدت من أب وأم نقيي الدم. إنها ساحرة بيضاء نقية.

عائلتها منذ القدم وهي تعمل لصالح الإمبراطور، وهم معروفين بولائهم الشديد له. ولدت في قرية صغيرة، رغم عمل والديها لصالح الإمبراطور، إلا أن أجرهم كان متواضعًا كما هو الحال معها، لهذا تربت وترعرعت في قرية صغيرة.

عندما كانت في عمر الثانية والعشرين، تزوجت من ابن خالتها الذي أحبها، لكنه مات على أيدي جنودنا عند آدائه لمهمة ما وتم كشفه عندما حاول استخدام السحر أمام الحدود الشمالية.

تعتبر ستيلا أقصد باميلا، أهم ساحر وجاسوس لدى الإمبراطور، لكن على ما يبدو أنها تفقد مكانتها تدريجيًا.

ـ عين شخصًا لمراقبتها طالما هي بجانب تيا، لا يهمني ما تفعله في خلوتها، كل ما يهمني هو سلامة تيا.

ـ أمرك سيدي. أتأمرني بشيء آخر؟.

قال ڤيكتور بابتسامة لم يستطع سيباستيان رؤيتها:

ـ لا، يمكنك الذهاب يا صديقي.

شقت الابتسامة وجه سيباستيان رغم ما يجتاحه من ألم، شعور أن قدوته أصبح صديقه، يستطيع الآن أن يشارك أفكاره مع شخص ما. هو ليس أي شخص بالنسبة له، هو الشخص الوحيد الذي آمن به عندما رفضه الجميع ظانين أن صغر سنه يجعله مفتقرًا للكفاءة، فهو بالطبع لا يملك الخبرة السابقة، لكن هو يعتبر حياته خبرة تكفيه عن أي تجارب أخرى.

فتح سيباستيان الباب خارجًا بسعادة، اصطدم بالوجه الذي كان أكثر شيء لا يريد رؤيته في هذه اللحظة بالتحديد.

تغيرت ملامحه من سعيدة إلى عابسة.

سألته ستيلا مستغربة:

ـ ما بال ملامحك انقلبت هكذا؟ وكأنك قابلت من سلبك عائلتك.

أجابها سيباستيان كاذبًا:

ـ لا، أنا فقط أجفلت منك، لم أتوقع رؤيتك أثناء خروجي ههه.

ابتسمت ستيلا مصدقة كذبته الواضحة، سألت:

ـ هل الكونت متفرغ؟ هناك شيء عاجل علي إخباره به.

سكت سيباستيان مفكرًا بالإجابة الأنسب، قرر أن يتعامل معها كأنه لا يعوف شيئًا عن حقيقتها. قال لها:

ـ نعم إنه متفرغ، كما تعرفين، أمور الجيش كلها متروكة لي، لذا هو حاليًا لا يفعل شيئًا.

ـ حسنًا شكرًا لك سيباستيان، حظًا موفقًا لك في عملك.

رسمت ستيلا تلك الابتسامة التي لطالما أحب رؤيتها على محياها، لكن هو أصبح يمقتها عندما عرف أنها مجرد كذبة ولا وجود للحقيقة فيها.

اكتفى بالابتعاد عنها ذاهبًا في طريقه دون مبادلتها الابتسامة.

طرقت ستيلا الباب منتظرة إجابة ڤيكتور سامحًا لها بالدخول.

ـ ادخلي ستيلا.

فتحت الباب بتروٍ مبتسمة ابتسامتها التي خدعت بها الجميع.

ـ سيدي تيا لديها رغبة، وتتمنى أن توافق عليها.

رفع ڤيكتور رأسه تاركًا ما بين يديه قائلًا:

ـ ما هي؟.

ـ تريد تعلم المبارزة والفروسية كما يتعلمها الجنود.

ـ هل نسيت أنها فتاة؟ تعلم أن هذا مرفوض في مجتمع النبلاء.

ـ لكن سيدي، هي تتوق لهذا.

قال ڤيكتور بغضب دون إحساس منه:

ـ من أنت حتى تتوسطي لابنتي عندي؟.

جفلت ستيلا من رد فعله المفاجئ، قالت بصوت خائف:

ـ سيدي لم أقصد، أ..أنا فقط فعلت هذا رغبة مني في مساعدتها.

وقف ڤيكتور مسندًا يداه على المكتب قائلًا:

ـ من الآن فصاعدًا، ما تريده ابنتي ستقوله لي أنا مباشرة، لا حاجة لك أو لغيرك حتى يتدخل بيني وبينها.

انحنت ستيلا معتذرة:

ـ آسفة سيدي لم أكن أقصد هذا.

ضرب ڤيكتور مكتبه بقوة غاضبًا وقال:

ـ كفاك نفاقًا، لم أعد أحتمل كل هذا الكم من النفاق.

انتفضت ستيلا من صوت قبضته وصوته هو نفسه، أسرعت بالخروج من مكتبه، لأنها ستموت على يديه لو بقيت لوقت أطول.

أرجع شعره للوراء غاضبًا من نفسه على هذا التصرف المتهور الذي ارتكبه.
ضرب جميع خططهم بعرض الحائط بسبب لحظة غضب سيطر عليه فيها شعور الألم من خيانة عزيز وثقت به وأمنته على أسرتك.

خرجت ستيلا مزيلة قناعها مفكرةً أثناء مشيها:

" ما الذي حصل لدرجة جعله غاضبًا لهذا الحد؟ لا يهم، علي دخول مكتبه وقراءة مستنداته بأي وسيلة، حتى لو اضطررت لقتلهم جميعًا. لكن تيا أصبعهم، ليست مجرد قيثارة عادية، لينا وضعت عليها تعويذة تجعل منها شخصًا لا يقهر.

لو أن أمي تخلصت منها قبل أن تموت ألن يكون من الأفضل؟ على الأقل لم تكن ابنتها مخلوقًا لا يقهر. لن يقتلها الخنجر بسهولة، علي نزع قلبها حتى أضمن موتها. وڤيكتور أصبح فريسة سهلة بسبب السحر الأسود.

أما الباقين، فقوتهم لا تساوي نصف قوتي. سأهرب مع المستندات ماحية العائلة التي يتمنى الجميع أن تباد. آه ما أجمل الحياة دونكم يا قوم دادلي**!**".

أنهت ستيلا حديثها مغيرة طريقها ذاهبة إلى غرفتها حتى تتجرع جرعات مصاصي الدماء عندما أحست بأن تدفق المانا في جسدها عاد من جديد.

في مملكة كريستلوف

قصر شاهق الارتفاع، جدران منقوشة باحتراف تسر أعين الناظرين لها، رصعت بعضها بأحجار لامعة وكأن الشمس عكست عليها، يتوسط ذلك الجمال كله إمبراطور طاغية ظالم لا رحمة في قلبه، ولا حب فيه غير حب تلك القطع الدائرية الصفراء اللامعة، كل همه ألا تختفي عن ناظريه فيصاب بالجنون.

نادى على مساعده سائلًا:

ـ أفعلت ما طلبت منك؟.

ـ نعم جلالتك، لقد أضفت إلى جرعات كاميلا سحر الشر، أضمن لك أن عاطفتها بددت كليًا.

ضحك ذلك العجوز بصوت يفقع طبلة الأذن من بشاعته، قال:

ـ من طلب منها أن تعمل لدي مع هذه العاطفة اللعينة؟ هل ظنت أنني سأتركها وشأنها تهدم كل ما خططت له لسنوات بمشاعرها الغبية تلك؟ لا هي ولا والدتها تتعلمان الدرس.

عاد يضحك تلك الضحكة ثانية عندما أنهى كلماته. قطب مساعده حاجبيه منزعجًا من صوت ضحكه غاضبًا من أفعاله، لكن هل يجرؤ حتى على التمرد؟ سيهلك هو وعائلته ويمحى أثرهم من الوجود.

أردف جلالة الإمبراطور موجهًا كلامه لمساعده:

ـ عندما تنتهي مهمة كاميلا وتعود للإمبراطورية، اقتلها، فلن أحتاجها بعد أن تعطيني مبتغاي، فهي عديمة الجدوى، ما يشفع لها هي مهاراتها في السحر، عدى ذلك هي مجرد مصدر ازعاج يتبع مشاعره.

انحنى مساعده هامًا بالانصراف عندما لم يضف سيده شيئًا آخر.

تقف شاردة على شرفتها تراقب تلك النافورة التي تتوسط حديقة قصرها تفكر بشيء واحد، مهما حاولت ابعاده عن رأسها، يعود وكأنه يصر على أن يتخذ من رأسها مسكنًا له. لاح شبح ابتسامة على وجهها عند تذكرها نظرة القلق في عينيه تلك الليلة، أرادت لو أنه أطال البقاء، ودت لو تكلمت أكثر واستمعت إلى صوته الذي راقت لها نبرته، أحبت أن تطيل النظر إلى بريق عينيه اللافت، وجدت نفسها في ذلك البريق.

قُطع تفكيرها عندما دخل والدها شرفتها قائلًا:

ـ ما بها جميلتي؟ شرودها يقول أن أحدهم تمكن من أسرها.

ضحكت تيا على كلام والدها وقالت:

ـ أنت محق لقد أسرني أحدهم.

كشر ڤيكتور ملامحه، بانزعاج قال:

ـ من هذا الذي تجرأ؟.

ـ والدها هو الذي تجرأ.

قهقه ڤيكتور مبعثرًا شعر ابنته بلطف معانقًا كتفها بخفة، قال:

ـ تيا، أريد أن أقول لك شيئًا، خذيه من شخص جربه.

نظرت له مستغربة من كلامه، صمتت علامة كي يكمل كلامه.

حدق بها بجدية مردفًا:

ـ لا تتعلقِ بأي غريب؛ لأنه سيخونك بأرخص ثمن، حتى لو كان أقربهم لك، اجعلي في قلبك احتمال أن الشخص قد يصبح غريبًا في لحظة، لا تثقِ بأي أحد ثقة عمياء، صدقيني إن سلمته حبك وثقتك كلها، عندما يأتي اليوم الذي سيبيع فيه كل ما كان بينكما ستتألمين ألمًا يحول الحب في قلبك إلى كره، وستنموا رغبة الانتقام فيه.

ـ حتى لواف وستيلا؟.

ـ نعم تيا، كل شخص... إلا الذي أقسم بروحه لحمايتك، وبالفعل حماك بروحه.

قالت تيا بابتسامة مرتاحة:

ـ إذن لواف ليس منهم؛ لأنه حماني بحياته.

ـ متى؟.

ـ ألا تتذكر يا أبي؟!.

ـ لا، لا أتذكر شيئًا كهذا!.

ـ عندما كنا في أمسية أقامها الماركيز ستيڤن، وهجم السحرة فجأة في منتصف الأمسية. كاد أحدهم يقتلني بضربة من سيفه، لكن لواف تلقاها في صدره بدلًا من اختراقها لقلبي، لقد نزف بشدة يومها، لا أدري كيف عاش يعدها، من الواضح أن إرادته في العيش عالية.

قال ڤيكتور مندهشًا:
ـ واه، لم أتوقعه شجاعًا لهذه الدرجة!.

قالت تيا بابتسامة دافئة:

ـ إنه حنون أكثر مما تتخيل يا أبي، كما أنه شجاع ووفي، صحيح أنه متهور بعض الشيء ويغضب بسرعة، لكن عندما يضعف صديق له، لا يتردد بإعطائه قوة حتى لو اضطر لأخذها من قوته، سيمدك بما لديه حتى تقف مرة أخرى على قدميك، ولا مانع عنده أن ينهار عوضًا عنك.

حتى لو تخلى عني الجميع، أنا واثقة أنه لن يفعل ذلك. يملك قلبًا نقي المشاعر أصبح نادرًا، أتمنى ألا أخسره يومًا، أنه أخي رغم عدم وجود رابطة بيننا.

ربت ڤيكتور على كتف ابنته قائلًا:

ـ الآن، أنا مطمئن أنه لو رحلت، سيكون بجانبك رجل أستطيع أن أرتاح لو كان معك، وسأعلم أنك ستكونين بخيرطالما هو بجانبك.

ـ سأكون بخير حتى لو كنت وحيدة، فأنا لا أقهر، لا أحد يستطيع التغلب علي هل نسيت؟.

ـ لم أنسَ، لكن يجب أن يكون لديك شخص يحمي ظهرك وتتكئين عليه عندما تمرين بالصعاب، كلنا نحتاج ذلك الشخص في حياتنا يا تيا، هو ذلك الشخص الذي نستند عليه حتى لا نقع عند اقترابنا من السقوط.

سألته تيا بفضول:

ـ من هو ذلك الشخص بالنسبة لك أبي؟.

نظر ڤيكتور إلى السماء مفكرًا، وأجاب:

ـ سابقًا كان والد لواف، ولا يزال لكن... جاءت لينا وكانت أكثر تحملًا.

ـ هل كانت أمي بهذه القوة؟.

ابتسم ڤيكتور قائلًا:

ـ أمك يا تيا، لو عرفتيها كما عرفتها، ستدركين أنها أقوى مني ومنك ومن مئة رجل. لا أتكلم عن قوة السحر، بل أتكلم عن قوة روحها، لا تخاف شخصًا حتى لو كانت الأمة كلها تخاف منه. أشك أنها تعرف معنى كلمة خوف.

حدقت تيا بالسماء مضيفة:

ـ تذكرت عندما هجم شخص على غرفتي، كان ضخم البنية عريض الكتفين، لم أجرؤ حتى على النظر في عينيه، بينما أمي لم يهز لها جفن، انقضت عليه وكأنها تحارب ذبابة. إنها شخص عظيم حقًا. أتمنى لو أنني عرفتها كما فعلتَ أبي.

نظر ڤيكتور في عيني تيا شادًا على كتفها قائلًا:

ـ أراها في وجهك تيا، تشبهينها بأدق التفاصيل، ستصبحين يومًا مثلها، لكنك تفوقت بالجمال عليها.

ـ يقولون أنك إذا أحببت شخصًا، لا ترى أحدًا بجماله، فكيف تراني أجمل من أمي؟.

أجابها ڤيكتور بابتسامة عريضة:

ـ عندما ترين قطعة منك على هذه الدنيا ولدت، حتى لو كانت أقبح شخص في العالم، ستكون في نظرك أميرة من حكايات الأساطير. ستفهمين ما أقصده عندما تحملين طفلك بين يديك في المستقبل، ستحبينه أكثر مني.

قطبت تيا حاجباها بانزعاج وقالت:

ـ لا أريده إن كنت سأحبه أكثر منك ومن أمي!.

قهقه ڤيكتور يربت على رأس تيا بخفة مبتعدًا عائدًا إلى مكتبه.

التفتت تيا مراقبة إياه حتى اختفى عن مدى رؤيتها.

بعد مدة دخلت تيا غرفتها تزامنًا مع دخول ستيلا لها.

قالت تيا معاتبة:

ـ ما بالك تختفين فجأة دون قول كلمة واحدة؟ أشعر أنك تتغيرين ستيلا، لست كما عهدتك.

ابتسمت ستيلا ابتسامة صفراء مجيبة:

ـ تيا تعلمين أنني هنا خادمة كما باقي الخادمات، لست متفرغة كما كنت في ستوك.

لامست تيا بكلامها بعضًا من القسوة، لكنها تجاهلتها وقالت لنفسها أنه بسبب الأعمال في القصر.

جلست تيا على كرسيها قائلة:

ـ ستيلا، أشعر أن أبي يخفي عني شيئًا.

ـ شيء مثل ماذا؟.

ـ لا أعرف، لكن هذه الأيام حديثه أصبح غريبًا. أكاد لا أفهم ما يرمي إليه.

ـ ربما شعر أن وقته قد حان، لذلك يسرد وصاياه قبل أن تؤخذ روحه.

صعقت تيا مما قالته ستيلا لتوها. نظرت لها مصدومة دون أن تنبس ببنت شفة.

أدرفت ستيلا تحاول تصحيح مصيبة كلامها:

ـ اعذريني تيا لم أقصد حقًا، أنا فقط متعبة هذه الأيام، وأتفوه بكلام دون وعي مني.

حاولت تيا تخطي الصدمة التي تلقتها من ستيلا وقالت مغيرة الموضوع:

ـ ستيلا، هل تعتقدين أن بإمكاني جلب النصر لمصاصي الدماء؟ قال أحدهم لأبي مرة "هي التي سنتصركم علينا".

سألت ستيلا متعجبة:

ـ هل هو ساحر؟.

ـ نعم، وليس أي ساحر. لاحت ابتسامة لا إرادية على وجه تيا عند نطقها بهذه الجملة.

نكزتها ستيلا مازحة:

ـ ياه لقد كبرت صغيرتنا تيا، عيناك مليئة بالقلوب يا فتاة.

ضربتها تيا معترضة:

ـ مستحيل أن أحب ساحرًا!، لن يجتمع الحب مع العدواة في قلب واحد.

ـ القدر يستطيع فعل المستحيل تيا، لا تستهيني بأي شيء في الحياة، فالخيال يصبح حقيقة بين ليلة وضحاها.

قالت تيا بصوت مكسور:

ـ إن حدث واجتمع قلبان كانا ينبضان بالعدواة ثم الحب، فنتيجة هذا الحب تكون بموت أحدهما أو كلاهما. مثل هذا الحب، لا يتحقق سوى في القصص والروايات.

حل الصمت لبعض الوقت، استأذنت فيه ستيلا بالخروج حتى تكمل أعمالها.

لم تعطها تيا إجابة لذلك، انسحبت بهدوء.

هبت رياح باردة فجأة انتفض منها جسد تيا، أدارت ظهرها مغلقة الشرفة مانعة الهواء البارد من الدخول.

استلقت تيا على سريرها نافثة نفسها بضجر. ظلت تحدق بالسقف بضع دقائق إلى أن بدأ جسدها يتحرك فجأة. حاولت التوقف عن المشي، لكن لا فائدة! إنه ليس جسدها، هي فقط روح فيه، تابعت قدماها السير رغم محاولاتها في منعها من التقدم. ساقتها إلى مكان مجهول لم تره من قبل. كان مكانًا يعج بالأواني وأوعية وقدور وأشياء مختلفة، كلها تنتمي للمطبخ. سمعت خطوات تقترب من الباب، بدأت تتلفت بحثًا عن مخبأ حتى لا يراها أحد الخدم. وقع بصرها على مساحة فارغة أمامها صندوق ضخم، حشرت نفسها في تلك المساحة الصغيرة كابحة صوت أنفاسها المضطربة. أحست بصوت الباب وهو يفتح، احتضنت تيا جسدها حاشرة نفسها أكثر حتى لا يلحظها الشخص الذي دخل إلى هذا المكان الغريب.

سمعت ذلك الصوت الذي تستطيع تمييزه أفضل من غيرها، إنها هي بلا شك!.

ـ جلالتك، لقد وصلني الخنجر من جاك، والمستندات المالية سآخذها بالغد، سأبيد هذا القصر بأكمله قريبًا.

فجعت تيا من الشيء الذي سمعته، وضعت يدها على ثغرها كاتمة شهقة صدمتها، كادت عبراتها تسقط، لكنها جاهدت على كبحها مركزة في الحوار التي تجريه صديقتها مع ذلك المجهول.

أجابها صوت غليظ يطرئ على عملها:

ـ أحسنت باميلا، سأعطيك ما تريدينه كما اتفقنا. رأس ڤيكتور مقابل أحلامك كلها.

ردت باميلا بسعادة:

ـ لي الشرف بخدمتك جلالتك، لن أخذلك كما فعل أفراد عائلتي، قلت لك أنني مميزة، حتى لو سارت الأمور ببطء، أنا سأنجز المهمة في نهاية المطاف.

ـ كما توقعت من ساحرة إمبراطورية كريستلوف الأولى والوحيدة.

نزلت تلك الكلمات على تيا كدلو ماء بارد جمد جسدها، لم تكن قادرة حتى على تحريك اصبع واحد.

أنهت باميلا اتصالها بقهقهات صاخبة تدخل فرحًا على قلبها، بينما كانت تلك القهقهات سهامًا تدخل قلب تيا. لم تتوقع ولو لمرة أن تخونها ستيلا.

اعتَبَرتها صديقة... لا بل اختًا. هي لم تخنها فحسب، هي كذبت عليها بكل شيء، من اسمها إلى أدق تفاصيلها.

سمعت تيا الباب يغلق دلالة على خروجها. انتظرت دقائق قليلة ثم همت بالخروج.

خطت هذه المرة بإرادتها، قادت جسدها بنفسها ليس هو من قادها.

ذهبت إلى الملجأ الذي لن يخذلها مهما مرت السنين، سيبقى وفيًا طيلة حياته.

دخلت مكتب والدها محطمة الفؤاد، عيناها اغرورقت بالدموع.

نهض ڤيكتور بقلق عندما رأى نظرة الحزن على محياها.

احتضنها ساحبًا حزنها له. تعلقت تيا بسترته وبدأت تبكي بصمت لم يشهده ڤيكتور منذ جنازة لينا. كانت ترتجف وكأنها تجهش باكية، لكن دون صوت.

علم ڤيكتور أنها اكتشفت ما كان يريد منها اكتشافه منذ مدة.

قالت تيا بصوت يملؤه الحزن والخيبة:

ـ كيف لها أن تخدعني هكذا؟ كيف لها أن تكون ممثلة بارعة لهذه الدرجة؟ كـ... كيف استطاعت تمثيل الحب والفرح والحزن؟ هل كل تلك الضحكات بيننا مزيفة؟ ومشاعرها التي كانت تغمرني بها، كانت مجرد خدعة؟ حاكت كل تلك المسرحية بإتقان. علمتني كيف أستخدم قوتي، ألم تخف على نفسها مني إذا اكتشفت ما تنوي فعله؟ أي سحر وضعته حتى صدقتها؟ لست وحدي، بل جميعنا خدعنا. لقد قلت أن الصديق الذي صنعتُ معه مواقفًا، لن يطعنني في ظهري. إذن، لما قامت ستيلا بذلك؟ لماذا قامت بهدم كل مافي قلبي من مشاعر الحب والثقة؟. أجبني أبي لماذا؟. صرخت تيا بآخر جملة صرخة تعبر عما يجتاح قلبها هذه اللحظة.

طبطب ڤيكتور على ظهرها بخفة مجيبًا:

ـ هذه هي قوانين الحياة، كل صديق سيتحول إلى عدو في يوم. وإن لم يفعل، فهو سيموت بدلًا من أن يخون.

ـ لكن أبي، ليس لهذه الدرجة! مهما كانت سيئة، يستحيل أن تفعل ذلك. لن تستطيع إظهار ما أظهرته لي لو لم تمتلك ذرة منه في أعماقها.

ـ بعض الأشخاص يا تيا، حتى لو أحبوك من أعماقهم، يستطيعون إخفاء هذا الحب وإظهار الكره بدلا منه. فما بالك بمن يخفي الكره ويظهر عكسه؟

قالت تيا بين دموعها منفعلة:

ـ هؤلاء هم القمامة.

قرص ڤيكتور وجنتها مؤنبًا :

ـ احفظي لسانك، لا يجب على الأطفال التفوه بمثل هذا الكلام البذيء!.

ضحكت تيا من كلام والدها رغم مافي قلبها من ألم، لم تخطئ حين توجهت إليه. إلى الأبد، سيكون هو من سيسعدها، إلى الأبد.

قالت وهي تشد على العناق أكثر:

ـ ستبقى الوحيد الذي لن يخونني حتى لو أعطوك كنوز الأرض كاملة. كنت وما زلت وستبقى منزلي الوحيد، الذي ألجأ إليه في أوقات حزني، وفرحي، ويأسي، وكل حالاتي. أنا أعتز بك أكثر من أي شيء أبي.

أبعد ڤيكتور تيا عنه وقال ناظرًا في عيناها الحمراوتان من البكاء:

ـ لا تشعريها بعلمك لحقيقتها، أنا وسيباستيان نرسم مخططًا حتى نوقعها في شباك فخنا، تحلي بالصبر قليلًا.

أنهى ڤيكتور جملته تزامنًا مع اقتحام سيباستيان المكتب، كأنه ثور هائج.

أردف ڤيكتور بقلة حيلة:
ـ ما الذي حدث هذه المرة؟.

ـ سيدي جنود نبلورد على مشارف الوصول إلى حدود أكستاڤو!!.

تحرك ڤيكتور ساحبًا مسدسه من درجه آمرًا سيباستيان:

ـ جهز كل الجنود، لقد بدأ زمور الخطر بالعمل.

ـ أمرك سيدي.

خطى ڤيكتور بسرعة خارجًا من الغرفة، لكنه عاد أدراجه ملقيًا على تيا بضع كلمات:

ـ مهما حدث، لا تزيلي حذرك. احمي نفسك فقط هذه المرة، علي حماية شعبنا.

لم تتمكن تيا من قول شيء له، لأنه اختفى بمجرد أن أنهى حديثه.

صعد ڤيكتور على ظهر حصانه واقفًا في المقدمة، ومن خلفه قرابة الألفي جندي، تجهزوا في أقل من عشر دقائق.

صرخ ڤيكتور بصوت عالي باثًا الحماسة في أرواحهم:

ـ اليوم سنعود لحماية بلادنا، هل أنتم مستعدون؟.

الجنود بصوت واحد:

ـ أرواحنا فدى للوطن.

انطلقوا بكل ما أوتيت أحصنتهم من سرعة.

وصلوا بعد مدة إلى ساحة المعركة، كان من الواضح أن للسحرة السيطرة الكبرى في الساحة.

تقدم ڤيكتور وجنوده ممسكًا سيفه بيده يبث له مافي جسده من قوة. بدأ الجنود يقاتلون السحرة مانعين إياهم من الدخول إلى أكستاڤو. كان ڤيكتور يقتل أربع أو خمس جنود سوية، سمع صرخة قادمة من سيباستيان، وفي غمضة عين، قفز على ذلك الذي تجرأ وهاجم مساعده.

صدم عند رؤيته وجهه والذي كان يبتسم رغم ألمه، قال ساخرًا:

ـ يبدو أنك تخليت عن حماية ابنتك وجئت إلى هنا، سندخل إلى العاصمة أي أننا سندخل، شئت أم أبيت.

ـ صدقني حماسك هذا لن يوقعك إلا في المشاكل. استسلم، فهذا آمن لك ولمن يتبعك.

قال جاك مباغتًا ڤيكتور:

ـ تشه، في أحلامك.

رفع جاك سيفه المنقوع بالماء المقدس مصوبًا إياه ناحية قلب ڤيكتور باغيًا غرزه هنالك تمامًا.

بدأ ينزله صارخًا بأعلى صوت عنده:

ـ إذا لم يكن اليوم هو يوم وفاتك؛ فلن يكون أي يوم آخر.

حاول ڤيكتور الهروب، لكنه مقيد بقيود سحرية وضعها عليه جاك.

بقيت مسافة قليلة بين السيف وقلب ڤيكتور، لكن شيء ما أوقفه عن إكمال ما يريد فعله. وكأن أحدًا يمسك يديه مانعًا إياه.

رفع نظره لتقابله تلك العيون المتوهجة.

صرخت بصوت هز كل ذرة تراب في المكان:

ـ أنزل سيفك عن أبي.

صدم ڤيكتور عند سماعه صوت تيا، لكنه استغل الموقف مبعدًا جاك عن جسده.

توقف الجميع عن القتال عندما سمعوا ذلك الصوت الذي هز ساحة المعركة بأكملها.

حاولت تيا السيطرة على عاطفتها التي بدأت بالظهور عندما نظر لها جاك بعينيه، صُنع تواصل بصري قصير بينهما، لكنه كان كافيًا ليزعزع مشاعرهما.

أردفت وهي تقترب منهما:

ـ ما حدث ذلك اليوم، كان مجرد خدعة منك، لا عاطفة في قلوب سكنتها الكراهية يا قائد نبلورد. وقفت أمامه مكملة حديثها: اليوم، أحدنا سيقول وداعًا لهذا العالم.

اعترضها ڤيكتور بيده قائلًا:

ـ تيا هذا ليس مكانًا لفتاة مثلك، عودي من حيث أتيت.

نظرت له تيا بعيون كلها قوة وشجاعة:

ـ من يدخل هذه الساحة، لا فرصة لديه للتراجع أو الانسحاب، إما الموت أو النصر.

ـ تيا أرجوك، استمعي لي هذه المرة فقط، عودي إلى المنزل الآن.

صرخت تيا رافضة:

ـ قلت لك لا، لن أتحرك من هنا حتى يموت أحدنا!.

قال جاك ببعض الحزن:

ـ لتكون معركة بيني وبينك، والذي سيقتل الآخر له النصر، ولن يعترض السحرة مصاصي الدماء مرة أخرى، والعكس صحيح.

تدخل دانييل مانعًا سيده:

ـ لا سيدي، لا تتهور!، فلا فرصة لك للفوز عليها.

تجاهل جاك كلام جنوده راميًا سيفه على الأرض سائلًا:

ـ ما قولك؟ وسأتخلى عن سيفي في المعركة.

أغمضت تيا عيناها معززة قوتها، أجابته:

ـ موافقة.

أنهت تيا جملتها رامية كرة من الطاقة على جاك جاعلة إياه يصطدم بصخرة، نشأ عن اصطدامه صوت قوي أحس الجنود بسببه أن عموده الفقري قد انكسر. وقف بصعوبة يحاول جمع القليل من قوته. لم يلبث أن يفرح لاستطاعته النهوض وإلا وتيا ملقية عليه كرة أخرى أقوى من سابقتها.

بصق جاك دمًا هذه المرة، قال مبتسمًا:

ـ أتعتقدين حقًا أن تلك الليلة كانت مجرد خدعة؟ ألا تقرئين العيون يا ابنة دادلي؟ ثم من ذا الذي كذب عليك وقال أن العاطفة لا تأتي في قلوب الأعداء؟ فالحب لا يعرف عدوًا من صديقًا آنستي، ووالداك أكبر مثال.

اهتزت مشاعر تيا بسبب ما قاله توًا، حاولت التمسك بموقفها.

خطت مقتربة منه حتى أصبح أمامه، قالت بقسوة مصطنعة:

ـ كيف لي أن أصدقك أنت من بين الجميع؟ أكثر شخص يكره مصاصي الدماء أحب أحدهم، أتمزح معي؟.

قال جاك بينما يحاول التقاط أنفاسه:

ـ تعلمين أنني أستطيع معالجة نفسي ومهاجمتك الآن صحيح؟، لكنني لم أفعل ذلك؛ لأنك تنظرين لي بأعين تجعلني ضعيفًا أمام من وثقوا بي لإعادة حقهم. عندما أرى القسوة بعينيك، لا أستطيع سوى الاستسلام أمامك، لا أدري كيف وقعت لك بهذه السرعة.

قالت تيا بدموع مكبوتة:

ـ ومن يحب شخصًا يقتل عزيز حبيبه؟ كيف لك أن تقتل أبي وأنت تدعي أنك تحبني؟

ـ لن تشعري بما في قلبي إلا إن جربته تيا، لن تلوميني عند معرفتك لما يختلج فؤادي، وأنا لا أدعي حبك؛ لأنني لا أستطيع الكذب على أحد بمشاعري.

ـ لا أستطيع سماع المزيد من أكاذيبك.

قال جاك ممسكًا وجنة تيا:

ـ سامحيني تيا، لكنني مضطر لفعل هذا.

أنهى جاك اعتذاره معتليا تيا ناظرًا في عينيها مردفًا:

ـ أنا من قال أن النصر لمن سيقتل الآخر، وأنا أريد الراحة لشعبي، لن أنساكِ تيا، وداعًا.

أغمضت تيا عيناها موهمة إياه باستسلامها... لكن لا. فتحتهما عند شعورها باقتراب السيف منها، نظرت بعيونها الحمراء كآخر سلاح في هذا الوضع. أبعدت عنها سيف جاك بحركة من اصبعها. داهمه صداع عندما وقع في فخ تيا ونظر إلى عينيها. نهضت تيا نافضة الغبار عن سترتها وبنطالها، قالت:

ـ يستحيل أن أستسلم بهذه السهولة.

أمسكت بسيف جاك وبدأت تؤرجحه في الهواء ثم غرزته في الأرض مردفة:

ـ ألم تقل أن المنافسة بدون سيوف، فقط بالقوى؟ أين ذهبت كلماتك يا قائد السحرة؟ خدعتني وتراجعت عن كلمتك أمام جنودك، أتساءل ما هو موقفهم عندما رأوا قائدهم يخلف بما قاله؟.

ـ من أنت حتى تشككي بمدى وثوق جنودي فيي؟ أنت لا تعلمين شيئًا.

قالت تيا مقترحة:

ـ انضم إلينا وستكون بخير أنت وقومك.

ـ ما المقابل؟ كيف لي أن أثق بك؟.

تقرفصت تيا أمامه مقيده جسده بقيود سحرية، أجابت:

ـ فقط ساعدنا على قتل فرانكلين، أو أسره لا فرق، لكن نحن نحتاج القوتين حتى نتغلب عليه.

ـ لا وألف لا.

وقفت تيا مادة يدها على عنقه ساحبة إياه، وقالت:

ـ أنت من اخترت هذا.

قبضت تيا على عنقه سالبة أنفاسه. تدرك أنه لن يموت من شيء كهذا، لكن سيكون من السهل قتله فيما بعد.

ابتسم جاك قائلًا بصعوبة:

ـ ظننت أنك أذكى من هذا تيا، ولست آسفًا لما سيحدث الآن.

كسر جاك قيود تيا متحررًا من قبضتها، أطلق جاك كل ما استطاع من المانا في جسده، حتى جعلت تيا ترتد إلى الوراء من قوتها.

تقدم جاك بعيونه الصفراء قائلًا:
ـ أنت من اخترت العداوة على الحب، ولن أرفض اختيارك سيدتي.

كاد جاك يمسك تيا لكن حال بينه وبينها جدار منعه من التقدم، فتحت تيا عيناها ورأت جميع جنودهم يشكلون حاجزًا يمنع جاك وجنوده من التقدم. مد ڤيكتور يده لها مبتسمًا، أمسكت تيا بيده مومئة برأسها.

قالت ڤيكتور محمسًا:

ـ النصر لنا اليوم.

قالت تيا موجهة الحديث لوالدها:

ـ اليوم، أعتقد أنني سأخرج قوة لم يكن أحد ليصدق أنها توجد لدى أحدهم. أريد منك يا أبي أن تكون متماسكًا ولا تخف مما ستراه الآن.

أغمضت تيا عينها تحاول التركيز حتى تصل قوتها لذروتها. كانت تشعر بتدفق المانا في جسدها. حاولت تحمل الألم الذي اجتاح جسدها، أحست أنها بلغت أقصى حدود قوتها، فتحت عيناها التي توهجت بنار وليس بالآحمر كما العادة. تراجع الجميع مسقطين حصنهم سامحين لها بالهجوم على العدو كما فعلوا المثل. رمى لها ڤيكتور سيفه حتى يسهل عليها القتال، واكتفى هو بقوته سلاحًا. أمسكته تيا وفور توضعه بين يديها تحول لونه من الفضة إلى الأحمر الذي توهجت به. أسرعت تيا مهاجمة جاك بكل ما أوتيت من قوة، صد جاك هجتمها ولكن ارتد على اثرها مصطدما بذات الصخرة، لكن هذه المرة لم يتأذ كسابقتها، فقد أحاط جسده بدرع يحميه من هجماتها المباغتة. ازداد إصرار تيا على إصابته، عادت مرة أخرى صارخة، صرخ هو الآخر مندفعًا لصد هجمتها. تقاطع سيفاهما محاول كل منهما الفوز على الآخر. رصت تيا على أسنانها مقاومة سيفه دافعة إياه. صرخت تيا باثة جل قوتها، مزحزحة إياه من مكانه. أحست تيا بحرارة في باطن قدميها؛ بسبب احتكاكها بالأرض مقاومة ذلك الضخم الذي أمامها. رغم اختلاف البنية بينهما، إلا أنها استطاعت تحريكه بينما هو لم يقدر. بدأت دفاعات جاك تنخفض تدريجيًا، بدأ قلبه يُعتصر ألمًا، لم يجرب هذه الكمية من المانا قبلًا، أحس أنه سيتوقف لا محالة!. لاحظت تيا تراجعه في الدفاع، فاستغلت ذلك بإطاحته أرضًا. أخرجت تيا مخالبها رافعة يدها للأعلى، وقبل غرزها في قلبه قالت:

ـ لن أسامحك على مشاعرك الكاذبة، ليتني مت ذلك اليوم ولم أفتح لك النافذة. كادت تغرز مخالبها نازعة قلبه، منهية هذا الصراع الذي طال بين المعشرين، لكنها توقفت عندما رأت دمًا يُبصق من فمه، هدأ وجهها وتبدلت ملامح الغضب إلى قلق.

عادت إلى طبيعتها تهز جثته التي تبصق دمًا دون توقف. لاحظ الجنود واحدًا تلو الآخر ما حدث، توقف الجميع عن القتال يشاهد منتظرًا ما سيحصل. صرخت به تيا وقد خانتها عبراتها:

ـ ألست ساحر الشفاء؟ لما لا تفعل شيئًا، لما لا تعالج نفسك؟.

رد عليها جاك بصوت يكاد يسمع:

ـ لأن العلة في من يعطيني القدرة على الشفاء. ضرب جاك قلبه بخفة مردفًا: العلة هنا، الجزء الذي تستهدفونه.

ضحكت تيا بين دموعها مستنكرة:

ـ أنت تمزح صحيح؟ الآن سأجدك قابضًا على عنقي وتضحك بانتصار. قل أن كل هذا مجرد تمثيلية مثل سابقاتها.

تقدم ڤيكتور ممسكًا كتفي ابنته مخبرًا:

ـ تيا إنه لا يصطنع الألم، لقد استخدم كمية مانا لا يحتملها قلبه؛ لذا عاد هذا عليه بنتيجة عكسية.

التفتت تيا لوالدها بعيونها الدامعة مترجية:

ـ أبي أرجوك أنقذه، علينا إنقاذه، لا يمكنني مشاهدته يموت هكذا أبي!!.

أمسكها ڤيكتور مهدئًا إياها، قال هامسًا:

ـ تيا تماسكي، سآخذه معنا كأسير وأستدعي لينا لتعالجه، اهدئي وتماسكي حتى لا يشك أحد بما سنفعله. اصطنعي الألم من قوتك وابقي ساكنة.

أنهى ڤيكتور حديثه حاملًا ابنته وقد تصنعت الإغماء، قال معلنًا:

ـ أعلن انتصار مصاصي الدماء، وكل أرض سلبتموها هي ملك لنا الآن. من سيحاول منكم أيها السحرة التقدم، لن يلقَ سوى طعنة تميته.

أشار ڤيكتور برأسه لسيباستيان قائلًا:

ـ اجلبوا جاك معكم.

صعد ڤيكتور جواده واضعًا تيا أمامه، بدأا بالتقدم ومن خلفهما الجنود يهتفون بأهازيج النصر. أراد ڤيكتور مشاركتهم، ولكن شهقات تيا المكبوتة مزقت قلبه لأشلاء. علم أن شرودها اليوم على الشرفة كان بشخص ما، وهو الآن جسد يصارع الموت. خنقتها العبرة، لم تعتقد يومًا أنها قد تحب شخصًا كهذا الذي أحبته.

تقول في نفسها أنه مزيف، لكن قلبها يأبى التصديق. غفت تيا على صدر والدها مستسلمة لآلام عظامها، وبكائها المكبوت الذي أرهق رئتيها.

تتساءلون لما كل هذا النحيب على شخص لم تعرفه سوى منذ أيام قليلة؟ هي لم تعرفه من يوم أو يومين، بل هي عرفته من سنين ولا أحد يعرف بسرها، حتى هو نفسه نسي ما كان بينهما سابقًا. عرفته باسم غير جاك، لم تكن تدرك هويته حينها، فقط تعرف أنه العدو الأول لبني جنسها. عندما رأته لأول مرة في طريق عودتها، حافظت على اتزانها أمامه، لكن وهل تكذب على نفسها؟ عيونه تلك هي نقطة ضعفها، ولكن فعلت كل هذا به؟ أحيانا قد يعمى القلب بالانتقام والنصر. وفكرة أن القلب انخدع، كانت كافية لتعمي تيا عن أي فعل قد تفعله، صحيحًا كان أم خاطئًا. أول لقاء لهما كان في معبد أكستاقو، كانت تيا تمقت الرهبان فيه أكثر من أي شيء آخر في صغرها. هربت في يوم من تلك القاعة الضخمة المقيتة لها برماديتها المبالغ بها، رأته يجلس وحيدًا على حدود النافورة الكبيرة يؤرجح قدماه في الهواء كأنه ينتظر أحدًا.

جلست إلى جانبه صامتة، بعد مدة تجرأت وسألت:

ـ ما اسمك؟ أنا أدعى تيا.

التفت إليها باسمًا بإشراق:

ـ أنا جوزيف، سررت بلقائك.

ـ هل أنت هنا تنتظر عائلتك حتى تنتهي كما أفعل؟ أم أنك تتجول في الأرجاء وحسب؟.

حملق في السماء مجيبًا على تساؤلات تيا:

ـ لا، أنا أفتقد عائلتي لذلك أنا هنا.

استغربت تيا جوابه وعادت تطرح سؤالًا:

ـ لم أفهم قصدك، هل هم من الرهبان ولا تستطيع رؤيتهم؟.

أشار جاك بإصبعه إلى السماء قائلًا:

ـ بل إنهم هناك في الأعلى، لا أستطيع احتضانهم أو الشعور بدفئهم، لكن على الأقل أستطيع الحديث معهم.

فهمت تيا ما قصده في كلامه سابقًا وأشفقت عليه، فكرت بطريقة لإخراجه من حالته هذه، التفتت للنافورة وخطرت لها خاطرة. رشقت بعضًا من الماء بيدها عليه، ضحكت ببراءة على تعابيره الغاضبة، حالما تبدلت ملامحه لأخرى سعيدة، وكأن

ضحكاتها تسبب العدوى. أصبح الإثنان يرشقان على بعضهما البعض الماء، ملتفين حول النافورة مالئين تلك الساحة الكبيرة بأصوات ضحكاتهما.

قطع لعبهما صوت أمها منادية تيا مؤنبة إياها:

ـ تيا، ها انت ذا هربت مرة أخرى، كدت أصاب بالجنون.

نسيت تيا صديقها الجديد وركضت تجاه والديها بفرح، قالت لينا منصدمة:

ـ يا إلهي! لما شعرك وملابسك مبتلة هكذا؟ لم يمض الكثير على شفاء حمتك.

قالت تيا ضاحكة تؤشر حيث كان يقف جاك:

ـ كنت ألعب مع جوزيف، بدا أنه حزين لذا أردت أن أخفف عنه.

قال ڤيكتور متعجبًآ:

ـ لا يوجد شخص هناك تيا، أكنت تتوهمين؟.

ـ بابا أقسم لك كان يقف هناك تمامًا, لا أدري كيف تبخر!.

قال ڤيكتور مجاريًا ابنته:

ـ ربما أتى والده وأخذه.

نفت تيا برأسها:

ـ لا، لا يمكن؛ لأن عائلته في السماء.

قالت لينا مغيرة الموضوع:

ـ من متحمس لذكرى ميلاده التاسعة؟؟.

صرخت تيا بصوت عال متحمسة:

ـ تيا!!!.

أمكست كلًا من يد والدها ووالدتها عائدين إلى قصرهم. وقف جاك يراقب تحركاتهم بعيون مشتعلة، لقد رآه. أخيرًا، ذلك الوغد الذي أطاح بعائلته موتى أمامه.

تكررت لقاءاتهم التي لم يستطع جاك تجنبها؛ لأنها أصرت على اللعب والتحدث معه، وليكن صادقًا، لم يستطع أن يرفض لأنه يحتاج لشخص يسليه، حتى ولو لدقيقة واحدة، فالوحدة تكاد تقتله. لم يخبرها يومًا أن اسمه الحقيقي هو جاك وليس جوزيف، أراد إخفاء هويته خشية أن تعرفه لينا إن سمعت اسمه. استمروا هذه

اللقاءات المتفاوتة في أوقاتها حتى بلغت تيا الثانية عشرة، لم تعد تراه كما لو أنه تبخر في الهواء، انتظرته في كثير من الأحيان، لكنه لم يأتِ. استسلمت بعد ستة أشهر وأصبحت تدخل مع والديها مرة أخرى متحملة الرهبان وجشعهم وتملقهم للنبلاء، وهم ليسوا إلا مجرد منافقين يسعون نحو المال.

وصلوا بعد مدة إلى أكستاڤو، استقبلهم الناس مهللين لانتصار ڤيكتور على السحرة أخيرًا. سلك ڤيكتور طريقًا غير طريق جنوده، أخبرته تيا عن رغبتها بإخفاء قدومها لساحة المعركة اليوم. أخذ ڤيكتور سيباستيان وأربعة جنود كانوا مسؤولين عن التأكد من أن جاك لا يزال حيًا. وصلوا إلى القصر مدخلين جاك بسرعة كبيرة، بينما ڤيكتور أخذ تيا إلى غرفتها وأمر ستيلا ولورين بمراقبتها.

همس بأذنها مذكرًا:

ـ إياك وأن تقصي على ستيلا شيئًا، اكتفي بالصمت على أسئلة تلك الساحرة.

هزت تيا رأسها ببرود شديد، كأنها قطعة من الجليد.

أسرع ڤيكتور إلى مكتبه مخرجًا صندوقًا من أحد أدراج المكتب، فتحه ملتقطًا القلادة المتوضعة داخله، لبسها وتمتم بكلمات غير مفهومة، بعدها انفتحت أمامه بوابة أطلت منها لينا برأسها قائلة بابتسامة وصلت لأذنيها:

ـ وأخيرًا تذكرت أن لك زوجة؟؟.

قال متعجلًا:

ـ لينا، أحتاج قواك، أحدهم يحتضر.

أخرجت لينا جسدها كاملًا واقفة أمامه، سألت:

ـ ما الذي حدث؟ ومن الذي يحتضر؟.

ـ جاك، لقد استعمل مانا لا يتحملها قلبه، وقد غلبت جسده وقلبه بالكاد ينبض الآن.

انخطف لون لينا، قالت,

ـ علينا الذهاب بسرعة، الوقت يداهمنا!.

أمسك ڤيكتور بيدها واستخدم قدرته بالتنقل لمسافات قصيرة ناقلًا كلاهما إلى الغرفة التي وضعوا فيها جاك.

تفحصته لينا بسرعة حتى تحدد حالته، نطقت بقلق:

ـ أخشى أن قوتي وحدها لا تكفي، أحتاج لقوة داعمة.

قال سيباستيان بتوتر:

ـ ومن أين سنأتي بساحر داعم سيدتي؟!.

ران عليهم صمت موتر لينطق ڤيكتور فجأة:

ـ تيا.

نظر كل من لينا وسيباستيان له متعجبان.

أردف ڤيكتور موضحًا:

ـ تيا تمتلك قوًا سحرية، ولربما تكون داعمة لك لينا.

ردعته لينا خائفة:

ـ لا ليست تيا، لن أسمح لها بفعل هذا. تنهدت بحنق مكملة: سأفعلها وحدي، أظنني أستطيع.

كاد ڤيكتور يتكلم لولا إيقاف سيباستيان له. حملق بها قلقًا عليها، لم تعد قواها كما كانت سابقًا، هي الآن أضعف من الماضي، ولا يظن أنها ستحتمل. بدأت لينا تتلو التعويذة المحرمة على قلب جاك، تقدم ڤيكتور يردعها عن تهورها، لكنها أوقفته قبل أن يصل إليها. إنها المرة الثالثة التي تستخدمها، تصببت عرقًا وتآوهت متألمة من القوة التي بثها قلبها.

قال ڤيكتور يحاول إقناعها:

ـ لينا أرجوك توقفي، لا أريد أن نكون بواحد ونصبح باثنين.

قالت بصعوبة تحاول مصارعة ألمها:

ـ لا تقلق، أعرف كيف أتحكم بتدفق المانا، لست مبتدئة كهذا الشاب.

بقيت على هذا الحال قرابة ربع ساعة حتى توقفت يدها عن إطلاق قوة الشفاء لإحساسها بنجاح المهمة. وقعت لينا فور انتهائها، أسرع ڤيكتور مسندًا ظهرها قبل تمدد جسدها على الأرض، قال معاتبًا بنبرة خوف:

ـ حذرتك من استخدامها، انظري إلى حالك الآن، أسعيدة أنت؟.

ابتسمت لينا بألم مجيبة:

ـ نعم إنني سعيدة. هذا الطفل، لن يتغير قسمي لعائلته، سأحميه حتى لو أضرتني حمايته. وجهت نظرها إلى ڤيكتور مردفة: وأنت يا ڤيكتور، عليك أن توضح له أنك لم تقتل عائلته بل إنه فرانكلين، تخفى بهيئتك حتى يخلق هذه الحرب بينكما.

تنهد قائلًا:

ـ قمت بإخباره سابقًا، لا أدري إن صدق أم لا، لكنه كان يظهر بعض المودة ولا يرفض لقاءاتي، لذا أعتقد أنه يصدقني.

تقدم سيباستيان ماسحًا العرق عن جبين جاك الذي داهمته الحمى، وقد أوضحت لينا أنه مجرد عرض جانبي سيختفي بغضون ساعات قليلة. انتهى من عمله خارجًا تاركًا سيداه حتى يقولا ما يريدانه دون الاكتراث لأحدهم.

سأل ڤيكتور متشككًا:

ـ أتعرفين قصة هذين الاثنين؟.

ـ من تقصد؟.

ـ تيا وجاك. لا أعتقد أن الأمر بسيط جدًا.

ـ أتتذكر الطفل الذي بقيت تيا تقص علينا ما فعلته معه عندما نذهب إلى المعبد؟.

ـ بلى أتذكر، وكان اسمه جوزيف، لكن ما علاقة هذا بذاك؟.

ـ إنه جاك، لكن باسم آخر.

فتح ڤيكتور فاهه مشدوهًا بما علمه، الفتى الذي كانت ابنته تقص عليه حكاياتهما ما هو إلا تلك الجثة التي أمامه!!.

قال بصدمة:

ـ منذ متى وأنت تعرفين؟.

ـ رأيته مرة وهو يلعب مع تيا، تعرفت عليه على الفور، عيونه لا تخفى علي.

ران عليهما صمت طويل لم يحدث أحدهما الآخر فيه.

سألت لينا كاسرة الصمت:

ـ ڤيكتور، هل لي برؤية تيا؟.

أمسك يدها مجيبًا:

ـ لنذهب معًا.

فعل ڤيكتور ما فعله عندما دخلا إلى الغرفة التي يقطن بها جاك. حطت أقدامهما على أرضية غرفة تيا، رأتها في شرفتها منكسرة الملامح. لم تستطع منع عبراتها من النزول، اشتاقت لها كثيرًا. عندما رأتها أحست أنها وجدت الجزء المفقود منها. تراجع ڤيكتور مقفلًا باب الغرفة حتى لا تدخل ستيلا أو لورين فجأة. عاد واقفًا بجانب لينا، أمسك كتفها يبث بعض الشجاعة لها.

قالت لينا بين دموعها بصوت منخفض:

ـ تيا، أما زلتِ تتذكرين هذا الصوت؟.

التفتت تيا إلى الصوت غير مصدقة ما سمعته، إنه صوتها لا شك بذلك! إنه صوت والدتها!! نظرت لها غير مصدقة، إذن والدها لم يكن يمزح عندما أخبرها أن أمها ما تزال على قيد الحياة. ركضت إلى حضنها الذي افتقدته كثيرًا. حاوطتها بكل ما تبقى لها من طاقة، تشبثت بها كما لو أنها عادت إلى طفولتها. أغرقت كتف والدتها دموعًا، لقد اشتاقت لها شوقًا لم تحمله لإنس قط. تقدم ڤيكتور محتضنًا كلاهما شاعرًا بدفء عائلته أخيرًا. فصلت تيا العناق، أخذت تتفحص وجه والدتها، لا تزال جميلة كما عهدتها، لكن بعض ملامح الوهن تمركزت على وجهها لكنها لم تنقص من حسنها شيئًا.

قالت تيا معاتبة بصوتها المبحوح لكثرة بكائها:

ـ لما جلعت أبي يخفي الحقيقة عني طيلة هذه الأيام؟ لماذا جعلتني أتعذب بفقدانك أمي؟ وهل دموعي هينة عندك وعند أبي؟.

قبّل ڤيكتور رأسها بخفة مجيبًا:

ـ سأبيد العالم كله لو ذرفتِ دمعة واحدة تيا.

أضافت لينا:

ـ وأنا سأريهم ما يحدث عندما ينزلون دمعة من عيون ابنتي الوحيدة.

ضحكت تيا قائلة:

ـ لكن أنتما اللذان أبكيتماني.

قال الإثنان معًا:

ـ أنشن الحرب على أنفسنا؟.

امتلأت الغرفة بصوت ضحكاتهم، وأخيرًا عادت البهجة إلى عائلتهم الصغيرة. جلس ثلاثتهم على الأريكة الموجودة في غرفة تيا. اتكأت تيا برأسها على كتف والدتها، بينما تمسك بكفها الأيسر كف والدها الأيمن.

قالت تيا بابتسامة تغلغل بعض الحزن فيها:

ـ هل ستدوم سعادتنا في هذه اللحظة إلى الأبد؟.

مسحت لينا على شعر ابنتها بخفة مجيبة:

ـ ستدوم إن اختفى فرانكلين من حياتنا إلى الأبد.

أضاف ڤيكتور:

ـ في الوقت الحالي تيا، يجب الحفاظ على حياته حتى ننتصر في الحرب. ما حدث اليوم أبعد ما يكون عن انتصار وانتهاء، حلفاء جاك وجنوده لن يقفوا مكتوفي الأيدي. لقد اقترب، لكنه لم يصل بعد.

سألت لينا مغيرة الموضوع موجهة سؤالها لتيا:

ـ هل تودين الذهاب لرؤيته تيا؟.

رفعت تيا رأسها بسرعة مجيبة بسؤال آخر:

ـ هل أستطيع أمي؟.

ـ بالطبع تستطيعين!.

قال ڤيكتور موجهًا كلامه إلى لينا:

ـ لننتظر قليلًا، حتى لا تشعر ستيلا ولورين بشيء غريب.

قالت تيا متذكرة:

ـ لقد نسيت، أمي عليك الحذر من ستيلا لأنها...

بترت لينا كلام ابنتها قائلة:

ـ أعلم، إنها جاسوسة من إمبراطورية كريستلوف.

ـ ما زلت غير قادرة على تصديق هذا، أعني كيف لهذا أن يحدث؟.

فرت دمعة من عين تيا اليسرى، قامت بمسحها مردفة:

ـ لا يهم الآن، أ..أيمكنكما أخذي إلى غرفة جاك؟.

أمسك ڤيكتور يدها ناقلًا إياها إلى تلك الحجرة، ومن ثم عائدًا إلى غرفتها عند لينا. وقفت تيا تنظر له ممدًا على السرير، وتلك الكمادة تعتلي جبهته المتصببة عرقًا، تقدمت خطوات بطيئة حذرة، لن تزيل حذرها منه مرة أخرى. رغم أنه واهن لا قدرة له على فتح عينيه حتى، إلا أنها لا تستبعد فكرة استيقاظه المفاجئ. سحبت الكرسي جالسة بجانب سريره ممسكة الكمادة الساخنة رامية إياها واضعة أخرى باردة، جففت عرقه المنهمر على وجهه بمنشفة جافة كانت بجانب إبريق الماء. أخذت تنظر إلي وجهه المضطرب، شردت به لحظات، داهمها الألم والخيبة، لم تنسه يومًا، لكنه نسيها أيامًا.

قالت تيا وقد تجمعت الدموع في مقلتيها:

ـ أتدري، لم أنسك يومًا. وكيف لي أن أنسى من كنت أتحدث وألعب معه لساعات؟ كيف لي أن أنسى ذلك الفتى ذي الشعر الناعم، الذي يتراقص لمعانه مع أشعة الشمس؟ كيف سأنسى أول شخص أعجبت به؟!. أوحقًا نسيتني؟ ألا تتذكر حتى لو قليلًا؟ هل نسيت تلك التي أخرجتك من وحدتك؟ هل نسيت عندما نضجر في المعبد ونهرب للحديقة معًا؟ نلعب ونلعب حتى نشعر بأمعائنا تنعصر ألمًا.

أجابها صوته الواهن نافيًا:

ـ كيف لي أن أنسى من احتلت موطني؟ لم أستطع إيجاد أخرى تحررني من احتلالك، أنت مجرمة تيا، مجرمة. الانتقام من أبيك أفقدني بصيرتي، حفظت كل إنش من ملامحه حتى لا أخطئ في انتقامي، ولكن ماذا سأفعل؟! كان عذابًا بالنسبة لي قتله. كنت لا أدري هيئتك عندما كبرتِ، لكن اسمك يتردد في رأسي كلما جالت في بالي خاطرة محو اسمه من الوجود. لأصدقك القول، لم أتعرف عليك في الغابة ذلك اليوم، لكن قلبي رجف وكأنني أمام حبيب لا يجب أن يتأذى.

سألته تيا بين دموعها:

ـ لماذا إذن جعلتنا اليوم نقاتل بعضنا؟ أنت مجرد كاذب تريد الانتقام.

أمسك جاك كفها مبررًا:

ـ تعمدت أن أخسر أمامك، تعمدت أن أقاتلك لأرى مدى ضعفي أمامك، أردت هذا حتى أثبت لقلبي أنني واقع لك، وتعمدت أذية نفسي حتى أتمكن من الجلوس معك والتحدث بدون خوف وقلق من صوت وقع أقدام أحدهم، وبدون ازعاج في منتصف الليالي، أردت أن أزيل حاجز الخوف بيننا تيا. أنت من أعماك سوء الفهم، ولست أنا من بادر في الهجوم.

ضحكت تيا ضحكة ممزوجة ببعض الدموع، وقالت:

ـ نحن مختلان صدقني.

أراد جاك أن يبادلها الضحكات، لكن لا طاقة له تسمح بهذا. اكتفى برسم ابتسامة دافئة على شفتيه.

تذكرت تيا شيئًا، قالت مستفسرة:

ـ جاك، أتعرف ساحرة تدعى باميلا؟.

ـ باميلا؟! كيف تعرفين هويتها؟؟!!!.

ـ كما توقعت، لقد استخدمتك ولم أخطئ بما سمعته.

ـ ما الذي تقصدينه؟.

ـ باميلا هي ذاتها خادمتي ستيلا. اكتشف أبي خداعها من زلة لسان منها لم أنتبه لها إلا عندما عرفت حقيقتها.

قال جاك بقلق:

ـ كوني حذرة تيا، لو كنت أعرف هويتها في القصر لما أرسلت لها الخنجر.

ـ لا أحد منا كان يتخيل ذلك. لن ألومك... هذه المرة فقط.

رفع يده مبتسمًا لها ماسحًا جواهرها التي يسبب له تساقطها ألمًا لا يستطيع تحمله.

ستوك

" إنها تمطر بقوة! دائمًا ما أشعر بالسعادة عند هطول المطر، لكن اليوم كانت أتعس ليلة ماطرة بالنسبة لي. الكآبة خيمت على القصر... أو ربما علي فقط. فالجميع يضحك فرحًا ما عداي، ليتني ما أخذتها لقصري يومًا. لم ألقَ من هذا القرار سوى الحزن، آه لكن لا أستطيع أن أكرهها. سنين فنت ولا أزال متشبثًا بها كرضيع لا يريد فقدان والدته. كنت أعلم أنها سترحل في يوم ما. آه آلام القلب هذه، لا أستطيع تحملها، كنت غبيًا علقت نفسي بها، صدتني وكنت أخرق ألاحقها بدون كرامة. سحقًا للحب الذي جعلني أنسى أن لي كرامة، علي نسيانها والتركيز على كومة الأوراق تلك على مكتبي. ليست الأخيرة في هذا العالم، ستأتي فتاة تنسيني إياها، وربما لن تأتي وأموت على حبها. يجب علي إكمال مخطط ميزانية الجنود، لست متفرغًا لأفكر بالحب. تخليت عن تيا وجعلتها تواجه الخطر وحدها ولم أفكر بها لهذا الوقت الطويل، من هي هيتيسيا حتى أشغل جل عقلي بها؟ لم أعرفها سوى من سنتين مضت. سأعود للعمل فهذا أفضل من تضييع الوقت على شخص لم يفكر بمشاعري ولو لمرة واحدة ".

عاد لواف لكومة الورق على مكتبه، أمسك واحدة عشوائية، لأنها كانت مبعثرة، كانت مسودة لرسالة تيا إلى الڤيكونت ڤيكتور... والدها. كاد يبعدها وينتقل لأخرى، لكن الفضول أخذه لقراءتها، خصوصًا لأنه يحب أسلوب تيا في كتابة رسائلها. أخذ لواف يقرأ الرسالة، استوقفته جملة، ذاتها التي اسوقفت ڤيكتور. حملق بالكلمات لوهلة، لا يستطيع تصديق ما كتبته تيا، كيف لم تنتبه لكلماتها؟!

خاطب نفسه ضاحكًا: " لحظة لحظة.. هل كنت أستضيف جاسوسة في قصري؟ هل كانت تيا بجانب ساحرة طيلة هذه الأيام! لكن كيف لم يشعر أحد بالمانا المتدفقة منها؟ لا بد أنها استخدمت جرعات مصاصي الدماء " حاول لواف استرجاع ذكرياته معها، أردف منصدمًا: " عيناها... إنها عيناها. ليست من أكستاڤو، إنها من كريستلوف!!. تيا، إنها بخطر الآن، علي حمايتها من هذه الساحرة ".

| أكستاڤو قصر الڤيكونت ڤيكتور الساعة 02:00 بعد منتصف الليل |

أزاحت قطعة القماش عن خنجرها تتفقده، أمسكته من نصله تبتسم لانعكاسها عليه. دسته في حزام ثوبها مستعدة لإتمام الخطوة الأولى من خطتها، تريد القضاء تيا حتى يسهل عليها التخلص من البقية. خطت متجهة إلى غرفة ضحيتها الأولى. وصلت إليها بعد فترة وجيزة. وضعت ذلك القناع اللطيف على وجهها وهمت تطرق الباب قاصدة إيقاظها. دقة.. دقتين.. ثلاثة دقات.. لا أحد يجيبها. تساءلت باميلا أين يمكن أن تكون في هذه الساعة، كما أن نومها ليس عميقًا وتستيقظ من صوت وقع أقدام الأشخاص. قررت فتح الباب والدخول، لقد دخلت بالفعل، لكن لا أحد في الغرفة! أين عساها تكون في هذا الوقت؟.

مشت باميلا بممرات القصر باحثة عنها، لن تنام حتى تخرج قلبها من بين عظامها. اصطدمت بها في عملية بحثها.

قالت تيا بابتسامة عريضة:

ـ ستيلا ما الذي تفعلينه هنا في هذه الساعة؟ ظننتك نائمة.

اقتربت من تيا بخطوات متوازنة، ليس وكأنها ستقتلها بعد ثوانٍ قليلة.

ـ كنت أريد أن أخبرك بشيء ما.

ـ أخبريني ستيلا، أنا متفرغة تمامًا.

اقتربت منها حتى أنها استطاعت رؤية وسم أكستاڤو من عينيها، قالت بهمس غارزة خنجرها في بطن تيا:

ـ كنت أريد إخبارك أنني وجدت المتعة في القصر، وأردت شكرك بطريقتي الخاصة.

أنهت جملتها ساحبة الخنجر بسرعة بعد أن غرزته بعمق، ومع انتزاعها للخنجر تطايرت دماء تيا على ملابسها البيضاء وبعض النقط على وجهها. ابتسمت مستمتعة بملامح تيا المتأملة. انقشعت الغيوم مفسحة المجال لضوء القمر بالظهور، انعكس من تلك النافذة الضخمة التي تمسكت بحدودها تيا.

قالت تيا ممسكة بمكان طعنة خائنتها:

ـ كنت أنتظر اليوم الذي ستظهرين فيه حقيقتك، طوال الوقت لم أصدق كلامهم عنك، لكنني الآن صدقته يا آنسة باميلا.

ـ يا إلهي لقد تأثرت! سأبكي من كلامك، ماذا تحسبينني حتى أصادق شخصًا مثلك؟ أنانية لا تفكر إلا بنفسها، تفرض رأيها على الجميع وكأنهم لا يملكون أحقية في

العيش كما يريدون، طفلة تبكي من أبسط شيء ولا شيء، وعلي تحمل دموعها المستفزة، تعيش دور الضحية لوالد طاغية قاسي لا يفكر بابنته، وأنت أعلم شخص بأفعاله لك، متعجرفة، متكبرة، متسلطة كما والدها. تبررين أفعالك مع جاك بحجة أنك ضحية لخدعة وقلبك كسر من قبله، والحب والكره لا يجتمعان معًا، وأن الانتقام أعمى بصيرتك. تعبت من نفاقك وكذبك. تمنيت لو كنت لمرة واحدة فقط صادقة في أفعالك، دائمًا أنت الضحية ونحن الوحوش التي آذت مخلوقًا صغيرًا بريئًا مثلك، نحن من نستحق الموت عوضًا عنك. أتعلمين تيا، لم أحبك ولو لمرة، ولم أشعر بأي مشاعر تجاهك. تخلصي من مشاعرك المزيفة تجاهي، لست سوى شخص يريد الاهتمام، أنت لا تحبينني أصلًا، أنت فقط تريدين شخصًا بجانبك لتتخلصي من شعور النبذ الذي يلازمك منذ الصغر إلى الآن، أنت فعلًا منبوذة، ليس مجرد شعور تيا.

كانت كل كلمة بمثابة سهم في قلب تيا، حاولت التماسك لكن عاطفتها كان لها رأي آخر. فرت دمعة من عين تيا ثم تبعتها شلالات لا يمكن التحكم بها.

صرخت تيا بين دموعها بصوت يملؤه الألم:

ـ لماذا خدعتني لماذا؟ لقد أحببتك من كل قلبي وليس كما تقولين. كنت أول صديقة أحصل عليها، وأول شخص آتمنه على أسراري بجميع حالاتها. لم أعاملك بيوم كخادمة، دائمًا ما عاملتك كصديقة؛ لأن مشاعري كانت هكذا، لم أفكر بك ولو للحظة إلا كصديقة. أعلم أنني سيئة الطباع لهذا لا أحد يصادقني، أعرف أنني أنانية ووقحة ومتكبرة وطفلة مدللة لا تحتمل أن يقال لها لا على طلبها، كنت يائسة من أن يتقبلني أحد على حقيقتي هذه، حتى وجدتك. ظننت أنك تقبلتني وكنت أطير فرحًا، وأخيرًا لدي صديقة! لكن أين هي الآن؟ أنت لست ستيلا التي كانت بجانبي في سنوات عمري الفائتة، لقد تغيرت كثيرًا، أنت لست هي، أعيدي لي صديقتي.

ردت باميلا ساخرة:

ـ لقد تأثرت جدًا بمشهدك آنستي، لن أصدق كاذبة مثلك. وأنا هي أنا، صديقتك لم تذهب إلى أي مكان، كانت مجرد شخصية مؤقتة في مسرحيتي القصيرة. لم ولن تكن جانبًا من شخصيتي الحقيقية.

ـ أنت لست شخصًا سيئًا، لقد أخبرتني بهذا " أنا لست شخصًا سيئًا تيا، هذا ما أريدك أن تعرفيه مهما حدث في المستقبل." ألا تتذكرين كلماتك يا هذه؟!

صرخت باميلا مغلقة أذنيها:

ـ اخرسي، لا أستطيع سماع صوتك المقزز أكثر.

أنهت جملتها راكلة تيا جاعلة منها تسقط على الأرض منعكسًا عليها ضوء القمر. تآوهت تيا بألم؛ لأن باميلا ركلتها في جرحها. لا تستطيع الصراخ، لا أحد

سيسمعها. كادت باميلا تعاود طعنها لكن هذه المرة في قلبها. كانت على وشك إتمام مرادها، لكن استوقفتها تيا المشعة.

قالت تيا بابتسامة:

ـ هل نسيت عزيزتي الساحرة؟ عندما يتعرض الساحر لخطر تتدفق المانا من تلقاء نفسها حامية صاحبها؟ ذكية أنت، لكنك لم تتغلبِ علي بعد.

انتهت تيا من كلامها دافعة جسد باميلا بابعادها لقبضتها. اصطدمت باميلا بالجدار محدثة دويًا ملأ أرجاء القصر بأكملها.

اقتربت تيا مقيدة باميلا بقيود قوية من السحر، قالت لها كلماتها الأخيرة:

ـ صحيح أنني مليئة بالعيوب والطباع السيئة، لكنني لست مخادعة خائنة. لا تقارني شناعتك بخاصتي... باميلا.

أنهت جملتها تزامنًا مع وصول الحراس، أردفت آمرة إياهم:

ـ ضعوها في غرفة مضادة للسحر.

ـ أمرك آنستي.

سكنت قوة تيا بعد رحيل الحراس، عاد ألمها أقوى ونزيفها ازداد أكثر، تماسكت متجهة إلى مكتب والدها، لكنه سبقها بالوصول إليها. رأى ڤيكتور فستان ابنته الوردي الفاتح قد استحال إلى الأحمر القاتم.

انهارت تيا بين يدي والدها، قالت جملة كانت كفيلة بموت والدها:

ـ لقد طعنت بخنجر من الفضة والزعرور، أنا أحبك أبي، وكذلك أمي.

غابت تيا عن العالم بعد لفظها لجملتها التي جعلت من والدها غير قادر على التصرف بسبب اضطرابه. جرى بها إلى غرفتها آمرًا سيباستيان بالإتصال بالطبيب. وضع يده ضاغطًا على جرحها مانعًا النريف من الازدياد. وضعها على سريرها منتزعًا من قميصه قطعة كبيرة من القماش، عاد يضغط على الجرح إلى حين وصول الطبيب. ليته لم يدع لينا تذهب، كانت على الأقل ستوقف النزيف الذي كلما عدت ثانية سلبها من عمر تيا.

وصل الطبيب أخيرًا، قال ڤيكتور بصوت خائف وقلق:

ـ لقد طعنت بخنجر من الفضة وشجر الزعرور، أرجوك أيها الطبيب افعل أي شيء حتى تبقى على قيد الحياة، لن أستطيع تحمل حياتي من دونها.

أومأ الطبيب لڤيكتور وهم يفحص تيا وجرحها، قال الطبيب عندما انتهى من معاينتها:

ـ لا أريد قول هذا، لكن أيها الأرشيدوق، لا فرصة لعلاج ابنتك. أستطيع خياطة جرحها ومعالجته، لكن ليس لدي دواء أستطيع فيه معالجة آثار الخنجر. فكما تعلم سيدي، طعنة منه كافية لقتل مصاص دماء بالغ، لكن بما أن ابنتك قيثارة، فإن لديها قدرة على تحمل تأثيره. سأحاول معالجة تأثير الخنجر بسحري، ولكن لا أضمن لك أن تنجح العملية. أولًا سأعالج الجرح ثم التأثير، جسدها يقاوم بشكل جيد. لذا لا تقلق كثيرًا، لدي أمل بأن قدرتي لن تخذلني.

بدأ الطبيب بإخراج معدات يحتاجها لخياطة جرح تيا. قام تعقيمه أولًا، ومن ثم مسح الدماء المتدفق من الجرح حتى يخيطه. انتهى من خياطته منظفًا الدماء، لافًا إياه بضمادة بيضاء.

طلب الطبيب من ڤيكتور وسيباستيان الابتعاد عنه قليلًا خشية أن يتأذا بسحره. امتثل الاثنان لأوامره واقفين عند الباب يراقبان ما يحدث بخوف شديد.

بدأ الطبيب يتلو التعاويذ آملًا أن تنفع إحداها، صدم عندما شعر بقوة تيا تنسجم مع خاصته داعمة سحره حتى يتمكن من إنجاز المهمة على أكمل وجه. استغرقت عملية تنقية جسدها أكثر من نصف ساعة، لكن لم يشعر الطبيب بأي إرهاق بسبب بسبب مانا تيا التي تراقصت مع خاصته.

تمتم بعد انتهاء عملية التنقية:

ـ أنها ساحرة داعمة! شعرت بشيء فريد بقوتها، لقد كان هذا.

ابتسم ملقيًا نظرة على ڤيكتور:

ـ ابنتك بخير سيدي، سيشفى جرحها قريبًا. سأمر على القصر كل يوم لأبدل لها ضمادتها، وفي حال حدث وانفتح جرحها سأكون دائمًا موجودًا.

عانق ڤيكتور الطبيب متشكرًا إياه من أعماق قلبه، واضعًا في كف يده كيسًا ثقيلًا من الأموال. انصرف الطبيب عائدًا إلى المنزل.

تنهد ڤيكتور بارتياح وقال:

ـ الحمدلله، لقد نجح علاجها. سيباستيان، نادي لورين حتى تبدل مفارش السرير وملابس تيا المليئة بالدماء.

ـ أمرك ڤيكونت.

خرج سيباستيان مناديا على الخادمات حتى يفعلوا ما أملاه عليه سيده.

رمى ڤيكتور نفسه على الكرسي متنهدًا بغضب مبعدًا ربطة عنقه التي جعلته أكثر خنقة.

وصلت الخادمات بعد فترة وجيزة فخرج ڤيكتور ذاهبًا ليفهم من سيباستيان ما الذي جرى إلى أن ينهين عملهن.

في مكتب ڤيكتور

ـ سيباستيان ما الذي يحدث بحق خالق الجحيم في هذا المنزل؟!. قال ڤيكتور بصوت عالٍ يدل على أنه فعل وضعية القنبلة المتفجرة.

أجاب سيباستيان بعدما ابتعد عن الثور الهائج بضع خطوات:

ـ استفسرت من بعض الحراس، وقد تبين أن ستيلا، عفوًا باميلا، طعنت تيا بالخنجر.

ـ وأين هي الآن؟.

ـ حجزها بعض الحراس في غرفة عازلة للسحر بناء على طلب الآنسة الصغيرة.

شبك ڤيكتور يديه هازًا رجله اليسرى دون توقف علامة أن هنالك صراع يجري في عقله، حاول التفكير بطريقة لحل كل ما يحصل هنا. عد سيباستيان في سره إلى الثلاثة متوقعًا إجابة سيده.

وقف ڤيكتور قائلًا:

ـ يبدو أنه حان وقت استخدامنا للخطة (**ي**).

هز سيباستيان رأسه بخيبة أمل وقال:

ـ علمت أنك ستلجأ إليها.

ـ وما الضير في ذلك؟.

ـ سيدي، تنهد سيباستيان مكملًا: لقد اتفقنا أنها للحالات الطارئة فقط. وطالما أننا قبضنا على باميلا فليس هنالك أي شيء يهدد أمن القصر.

ـ بلى يوجد، فرانكلين. من البداية كانت هذه الخطة للإطاحة به. والآن، بما أن الجميع متواجدون أستطيع التحرك، وسيكون جيشي لا يقهر.

ـ سيدي أرجوك فكر مرتين قبل أن تُقبل على تنفيذ الخطة (**ي**).

ـ لا تحاول سيباستيان، أنا مقتنع أنه الوقت الأنسب لاستخدامها، وسيكون التواصل مع الطرف الآخر والأساسي من الخطة أسهل الآن، لأنه موجود في منزلي.

استسلم سيباستيان وقال:

ـ افعل ما شئت، لست مسؤولًا عن أي ندم سيحصل مستقبلًا لقد أخبرتك بالفعل، لا تلمني إن حدث شيء ما.

ابتسم ڤيكتور مجيبًا:

ـ لا تقلق لن ألومك على أي ندم آتٍ، لأنه لن يأتي ستكون خطتي ناجحة.

ـ إذن اذهب وتفاوض مع الطرف **(ب)** من الخطة.

ـ ألن تأتي معي؟.

ـ لا، سأبقى هنا وأراقب الآنسة الصغيرة إلى أن تنتهي.

قال ڤيكتور وهو يتجه خارج الغرفة:

ـ سأكون شاكرًا لك إن راقبت تيا.

خرج ڤيكتور من مكتبه ذاهبًا للغرفة التي يخبئ جاك فيها، كان يمشي بخطوات سريعة لكنها هادئة في الوقت ذاته، كان حريصًا على عدم اصدار أي صوت أثناء مشيه، هو الآن مرتاح؛ لأن باميلا التي كانت توتره في كل فعل يقوم به قبض عليها، فلا يوجد أي شخص قد يخاف منه، لكن هذا لا يعني أنه تخلى عن حذره كليًا. نزل ڤيكتور درجًا يؤدي إلى نفق تحت أرضية القصر، مشى النفق كاملًا حتى انتهى به النفق بباب يمكث خلفه اقوى ساحر في هذا العصر. كان ينوي التنقل بقوته، لكنه هرم مبكرًا وأصبحت هذه العملية التافهة تتعبه.

فتح ڤيكتور دون أن يطرقه، اقتحم الغرفة معكرًا صفو مزاجه. دخل مغلقًا خلفه الباب جالسًا على كرسي كان بجانب سرير جاك.

قال ڤيكتور واضعًا قدمًا فوق الأخرى:

ـ لم يكن هذا الكرسي هنا عندما عالجناك، لابد أن ابنتي هي من كانت جالسة عليه.

رد عليه جاك قاطبًا جبينه:

ـ ألا تعترف بالخصوصية ڤيكونت ڤيكتور؟.

ـ إنه منزلي، ليس علي احترام خصوصيتك أثناء وجودك فيه.

ـ آه يا إلهي! ما الذي تريده؟ قل وارحل، لا أطيق الغرباء.

لقفه ڤيكتور على جبهته قائلًا:

ـ احترم من هم أكبر منك يا هذا.

عاد ڤيكتور مسندًا ظهره على الكرسي، أردف بدون مقدمات:

ـ لقد حان الوقت لتنفيذ صفقتنا.

ـ أي صفقة؟.

أجاب ڤيكتور ببعض الغضب:

ـ بحقك جاك! لا تقل لي أنك نسيت ما اتفقنا عليه؟!.

قرر جاك أن يلعب مع ڤيكتور دور الغبي قليلًا رغم علمه بعواقب فعلته، قال بدهشة:

ـ سيدي، نحن أعداء! يستحيل أن أعدك بشيء حتى لو كان قتلك.

قال ڤيكتور قابضًا على يد الكرسي بغضب:

ـ يا هذا، لا تستفزني وإلا سأجعل منك جثة هامدة.

ـ أوي حسنًا حسنًا اهدأ.

تنهد ڤيكتور مخرجًا اللهب من فمه. استطرد جاك حديثه:

ـ لا مانع لدي ببدء التنفيذ، لكن اسمح لي أن أسأل سؤالًا.

ـ تفضل.

ـ لما تريد الآن بالذات؟ أعتقد أن الوقت لا يزال مبكرًا.

ـ لقد تعرضت تيا للطعن، لا يمكنني الصمت أكثر.

انتفض جاك صارخًا:

ـ ماذا!!! تيا طعنت! كيف ومتى ولماذا؟.

قال ڤيكتور قالبًا عينيه:

ـ ذلك بسبب شخص يدعى جاك أرسل خنجرًا إلى خادمة في قصري.

نظر له جاك بطرف عين وقال:

ـ أوي لم أكن أعلم أن باميلا تنوي قتلكما.

قال ڤيكتور عائدًا لموضوعهما:

ـ لا أستطيع مسامحة إمبراطورية كريستلوف على ما فعلته، أريد تنفيذ الخطة حتى انتقم لابنتي، ومن ثم أشنها على فرانكلين الذي سلبني الراحة في حياتي لسنين طويلة.

ـ لا مشكلة لدي، لكن علي الخروج من هنا لأخبر رجالي وأجهزهم.

ـ ستخرج بعد يومين في مثل هذا الوقت تقريبًا. لقد حالفك الحظ، إنه الشتاء والناس تتأخر في الاستيقاظ.

عم الصمت قليلًا فكسره جاك بقوله فجأة:

ـ ڤيكتور، أعتذر عما سببته لك من إصابة في وقت سابق.

أجاب ڤيكتور ممازحًا:

ـ واه يالك من وغد!، لقد اتفقنا على طعنة خفيفة لكنك جعلتني طريح الفراش لشهر.

قال جاك بانفعال:

ـ كم مرة سأقول أن أحد رجالي هو من دفعني وغير اتجاه سيفي؟!. لم أكن لأصيبك هكذا!، لست خائنًا!.

خفف ڤيكتور من حدة نبرته سائلًا:

ـ لماذا سمحت لتيا بأن تؤذيك هكذا؟ تعلم أنها لن تتردد في قتلك عندما تتحول.

أجاب جاك بعيون متلألئة:

ـ لطالما أخبرتني بمشاعرك تجاه السيدة لينا، وكم قصصت علي مواقف كنت ضعيفًا فيها بسببها، لم أستطع تصديق أن ڤيكتور دادلي بشحمه ولحمه قد يصبح ضعيفًا في أحد المواقف، لكنني رأيت هذا أمام عيني. لقد كنت تكافح في قصر الإمبراطور لحماية عائلتك... كنت مستسلمًا تمامًا. تساءلت في نفسي إن كنت سأشعر بالضعف عندما أنظر لعيونها كما الحال معك، إنه شعور مؤلم ومريح في الوقت نفسه. كنت أتألم من هجماتها، لكن في الوقت ذاته أتشافى حين تلتقي مقلتي بمقلتيها. لم أمانع لحظتها بأن أموت على يدها، لقد كنت غائبًا عن العالم وأسبح في فضاء عينيها.

قال ڤيكتور بصوت تخلله الغيرة:

ـ احفظ لسانك، لا يسمح لك بأن تظهر حبك لابنتي أمامي.

ـ لما لا؟.

قال ڤيكتور بصوت عالٍ:

ـ لن تأخذها مني يا هذا!.

ـ بحقك ڤيكتور، ألست سعيدًا بأنني سأصبح ابنك بالقانون؟.

قال ڤيكتور برصاصات يطلقها من عينيه:

ـ على جثتي.

ـ على رسلك يا صاح!، أنا أمزح فحسب. قال جاك محدثًا نفسه:"نظرة هذه أم رصاصات قاتلة؟ يا للحقار".

أرخى ڤيكتور قبضته التي كان مستعدًا لتسديدها على وجنة القابع أمامه، قال مغيرًا الموضوع:

ـ حسنًا إذن، سأقوم بوضع الخطة. بداية، جنودي وجنودك عددهم قليل أمام جنود كريستلوف، لذا سأحاول بطريقة ما اقناع فرانكلين بأن نوحد جميع جنود أكستاڤو بكل مقاطعاتها مع جنودك، سنشكل جيشًا لن يستطيعوا أبدًا التغلب عليه، لكن علينا تقسيم الجنود أولًا إلى كتائب، سندخلهم بالتدريج. سنستهدف الأماكن البعيدة عن العاصمة؛ لأن أمنها ضعيف جدًا ويسهل الاستحواذ عليها. وبالتدريج سنتمكن من الدخول إلى العاصمة وقتل إمبراطورها إدوارد.

استوقفه جاك سائلًا:

ـ وما علاقة فرانكلين بخطة الانتقام من كريستلوف؟.

ـ كنت على وشك اخبارك، لكنك عديم الصبر. بعد أن ننتصر على إمبراطورية كريستلوف سأقلب الأمر على فرانكلين.

استوقفه جاك ثانية:

ـ لوحدك؟ أمتأكد؟.

وقف ڤيكتور غاضبًا من مقاطعته واستباقه للأحداث، تنهد بغضب وقال بصوت عالٍ:

ـ كف عن طرح الأسئلة واحتفظ بها إلى أن أنهي حديثي.

فزع جاك من تحول ڤيكتور العجيب، اكتفى بإيماءة بعيون تشع خوفًا.

زفر ڤيكتور بعمق، عاد يجلس على الكرسي مردفًا:

ـ سأنقلب مع جنود أكستاڤو، لا أحد منهم يطيق فرانكلين. جميعهم خاضعون إما خوفًا أو أنه أسرهم بلعنة، هذه الأشكال حتى أشباهها لا يستطيعون أن يحبوها. ليس من الصعب اقناع الجنود؛ لأنهم لاقوا منه الاضطهاد أكثر من أي حاكم مر على هذه الإمبراطورية. لست أطمع في العرش، أريد فقط أن أعيش بسعادة مع زوجتي وابنتي.

سأله جاك سؤالًا مختلفًا تمامًا عما يتحدث عنه:

ـ ڤيكتور، لماذا تبدو هرمًا لهذه الدرجة؟ مصاصو الدماء الذين بلغوا ثلاثمئة عام يبدون أقوى منك وأصحاء أكثر.

انخفضت نبرة ڤيكتور وطأطأ رأسه مخفيًا حزنه فأجاب على سؤال القابع أمامه:

ـ لعنة فرانكلين أرهقت جسدي، ما زلت شابًا، لكنها سلبت من عمري ما يزيد من أربعمئة سنة. أتحسب أنني لا أشعر بالأسى على نفسي؟ لربما أموت قبل لينا بسببها. لا أعلم كم سأعيش من السنين، لكن ما أعرفه أنني سأموت شابًا.

قال جاك مزيلًا الحزن من الأجواء:

ـ لا تنسى، يوجد شيء جيد. سأستطيع الزواج من تيا دون أن يعرقل طريقي أحدهم.

ضحك ڤيكتور رادًا:

ـ سأدع شبحي يلحق بك حتى في أحلامك، أو يمكنني وضع لعنة تجعل تيا تنفر منك، حينها سأموت مرتاح البال.

قال جاك متصنعًا مشهدًا دراميًا:

ـ ليس وكأنني سأضربها ليل نهار! لماذا تقف في وجه حبنا؟!.

قهقه ڤيكتور وقال مكملًا المشهد:

ـ أي حب هذا؟ أقسم أن تيا ستهشم وجهك. أعارض لمصلحتك وليس لمصلحتها، ستقضي حياتك طريح الفراش بسببها.

وضع جاك يده على رأسه بوضعية درامية وقال:

ـ ما الذي قد تقوم به مثلًا؟ القليل من اللكمات وكرات الطاقة ليست بمشكلة، سأقع بغيبوبة لمدة عشرين سنة أو أكثر، ليست كثيرة.

غير ڤيكتور نبرته إلى أخرى جادة، قال:

ـ أنا لست واقفًا في طريقكما، لكنني لست متأكدًا من صدق مشاعركما.

عدل جاك من وضعية الممثل وعاد إلى طبيعته، قال:

ـ لا تستطيع الشك بخاصتي، فأنا صادق لا محالة.

ـ نعم، تيا هي التي أنا قلق عليها. قد تكون مؤقتة وستذهب مع الأيام بسرعة؛ لأن تيا تشعر بها تجاه أي شخص يشعرها بالأمان أو حتى قضى معها وقتًا قصيرًا.

أنا السبب في هذا، لم أقدم لها الحب في طفولتها كما يجب فأصبحت تفتقده، تبحث عنه، وهذا جعل منها شخصًا يسهل اللعب بمشاعره. تيا متقلبة... متقلبة جدًا.

قُطع حديثهما عندما دخلت موضوع حديثهما فجأة عليهما.

قالت تيا بابتسامة تعلو ثغرها:

ـ أكنتما تتكلمان عني؟.

نهض الاثنان راكضان إليها قائلان بقلق:

ـ تيا هل أنت بخير؟ لما أتيت؟ عليك أن تستريحي.

ضحكت تيا قائلة:

ـ هل اتفقتما على الكلمات أم ماذا؟.

نظر الاثنان إلى بعضهما البعض وقالا نافيان:

ـ لا أبدًا! يستحيل أن يحصل هذا. صرخ الاثنان ببعضهما البعض وأردفا: يا هذا توقف عن ترديد كلامي!.

قهقهت تيا لافتة العيون عليها، وقفت بينهما قائلةً:

ـ كيف تجعلان آنسة مصابة تقف طيلة هذه المدة؟، تظاهرت بالإغماء على والدها تزامنًا مع قولها: آه أظن أنه سيغمى علي.

أمسكها ڤيكتور مجلسًا إياها على الكرسي، قال مؤنبًا:

ـ تيا لماذا نهضت من سريرك؟ عليك أن تأخذي قسطًا من الراحة. كيف سمح لك سيباستيان بالخروج؟.

ـ ببساطة غافلته، لقد أصبته بالحول؛ لأنني كنت أتنقل بسرعة في أرجاء الغرفة والمسكين سقط ضحية بسببي.

قال جاك يتظاهر بالخوف:

ـ آوه يا إلهي، كم أنت شريرة!.

قالت تيا مرجعة خصلة من شعرها للوراء ببعض من ملامح الغرور:

ـ يستحيل أن أفوت حديثًا أنا نجمته.

أجابها جاك بانبهار:

ـ واه يا لك من فتاة!، غير من نبرته مصوبًا نظره ناحية ڤيكتور، أردف: ڤيكتور أحسن تربية ابنتك أنها تقتحم خصوصية الكبار.

ضربت تيا جبهة جاك وقالت:

ـ لا يحق لك التكلم عني.

أمسك مكان ضربتها وقال غاضبًا:

ـ ياا، من سمح لك بلمسي؟؟.

ـ أفعل ما يحلو لي، أبي لم يقل شيئًا لذا ليس لك سلطة علي.

نظر جاك إلى ڤيكتور والغضب يتطاير من عينيه، قال:

ـ افعل شيئًا حيال ابنتك، إنها تستمر بأيذائي. يا إلهي كيف لها أن تكون بهذه القوة وهي صغيرة الحجم هكذا؟ ماذا تطعمونها؟ مانا؟.

حول ڤيكتور أنظاره إلى تيا التي كانت تنظر له بعيون بريئة لا يستطيع تحملها. تنهد يحاول الرد، لكنه كلما نظر إلى ابنته رق قلبه لها.

قال مستسلمًا:

ـ اعذرني، ولكن لا أستطيع تأنيب هذه البراءة، انظر كم هي لطيفة ورقيقة، يستحيل أن تؤلمك كما تدعي، لا بد أنك أصبحت حساسًا.

صرخ جاك مستفَزًا:

ـ ومن الذي جعلني بهذه الحالة؟ أليست طفلتك البريئة الرقيقة؟.

صححت له تيا:

ـ بل طفلته الشريرة القوية.

رمى جاك نفسه على السرير فاقدًا الأمل الأمل من الأب وابنته.

ضحكت تيا عليه مردفة:

ـ سامحني أرجوك، لم أكن أقصد إغضابك لهذا الحد. كنت أحتاج لبعض الضحك وكنت ضحيتي الثانية.

سألها مستغربًا:

ـ ومن الأولى؟.

ـ سيباستيان.

قال ڤيكتور بشفقة:

ـ أشفق عليك يا سيباستيان، حتى لو ارتحت مني لا زال لديك ابنتي.

قال جاك بقلة حيلة:

ـ ذاك الشبل من ذاك الأسد.

قهقهوا جميعًا وامتلأت الغرفة بصدى ضحكاتهم. يستغلون كل لحظة ضحك حتى لو كانت في موقف أليم، فلا يدرون إن كانوا سيضحكون مع بعضهم غدًا أم لا، ويجهلون مستقبلهم إن كان فيه مواقف قد تضحكهم، أم أن الحياة ستسلبهم سعادتهم ولن تعيدها حتى توافيهم المنية.

دخلت لينا إلى الغرفة التي احتجزت فيها باميلا، شعرت بتوعك مفاجئ؛ بسبب التعويذة التي توقف تدفق المانا في أجساد السحرة. قابلت باميلا بوجه أصفر متوعك. كانت يدا باميلا مقيدة بأصفاد ثبتت على الجدار، وجسدها متدل قليلًا، وكانت لا تزال ترتدي ثوبها الملطخ بدم تيا وقد جفت دماؤها من عليه، ووجهها كذلك ملطخ بقطرات دماء جافة، شعرها مبعثر وأنفاسها مضطربة، وقلبها ينبض بجنون، تستطيع رؤية الدماء وهي تدفق عبر عروق رقبتها البارزة.

قالت ساخرة عند رؤيتها لوجه لينا:

ـ حتى أنت تنفذ عليك التعويذة؟.

تجاهلت لينا كلماتها قائلة:

ـ ظننتك مختلفة عن والدتك، تبين أنكما تحملان الطباع ذاتها. لكن علي الاعتراف لقد تفوقتِ عليها بالتمثيل، أنصحك بالذهاب للمسرح وبدء مسيرتك الفنية.

ضحكت باميلا ضحكة مختلة وقالت:

ـ ألا تعلمين سيدتي أنني زرعت الأدلة وراء أمي؛ لأنها كانت تشتتني وحسب، كانت عديمة الفائدة، مجرد آداة معطلة مهترئة. اصطنعت دور البريئة طيلة الوقت لأصل لهدفي، أنهت باميلا جملتها تزامنًا مع تحريرها ليديها. وبلمح البصر أصبحت تقبض على عنق لينا. أكملت حديثها مع ابتسامة صفراء تعلو ثغرها: وهو نزع التعويذة عن ابنتك وأخذها لي، سأصبح شخصًا لا يقهر بعد ابتلاع قوتكما.

قالت لينا بصعوبة بينما تحاول نزع يدي باميلا:

ـ كـ..كيف تستخدمين قوتك يا هذه؟!.

زادت باميلا من قوة قبضها مجيبة:

ـ كنت أعلم أن لساني سيزل في أحد الأيام، لقد أخذت احتياطاتي من جميع الجهات.

حاولت لينا الصراخ حتى تحصل على انتباه الحراس.

أردفت باميلا مفقدة إياها أخر أمل تبقى لها:

ـ لا تحاولي، حتى الحراس تحت سيطرتي، لن تفلتِ مني هذه المرة.

نزلت دمعة على خد لينا، لم تكن تحسب أن سعادتها قصيرة لهذا الحد، تمنت لو أنها عانقت ابنتها لمرة أخيرة، مرة أخيرة تلثم بها عبقها، مرة أخيرة تشعر بها بشعور الأم.

سكنت لينا ولم تعد تقاوم، استسلمت لمصيرها، استسلمت لأنها السبب في كل هذا، لو أنها طردت باميلا عندما اكتشفت سر والدتها، ما كان ليحصل كل هذا وما كانت تيا لتعذب هكذا.

قبضت باميلا بكلتا يديها مسرعة عملية خنقها. ومضت شعلة أمل في عقل لينا، كيف سهت عنها؟! تلمست لينا قرطاها بصعوبة، ضغطت عليهما بقوة أحدثت وميضًا خافتًا وصوتًا لن يسمعه غيرها... وڤيكتور. قالت في سرها: "أرجوك أسرع يا ڤيكتور، أنا بحاجة إليك، إنني أموت".

.....

بينما كان يضحك مع ابنته وصديقه استوقفه الصوت الذي أصدرته قلادته، تبعه استغاثة زوجته به. خرج ڤيكتور مسرعًا تاركًا وراءه تيا وجاك حائران في أمره، حاولت تيا اللحاق به، لكن جرحها آلمها عندما جارت سرعة والدها. وقفت مضطربة الأنفاس تتكئ على درابزين السلم قائلة: ما الذي حدث بحق خالق الجحيم؟.

خرج ڤيكتور مسرعًا واستخدم قدرته على التنقل ذاهبًا إلى لينا.

قال ڤيكتور محدثًا نفسه: "كيف عادت؟ رأيتها بأم عيني وهي تعبر البوابة، أنا متأكد أنها أغلقت وكانت لينا مختفية من مكتبي!".

وصل ڤيكتور وكان الجو ساكنًا، لا حراس ولا صوت يصدر من إنسي. تسارعت خفقاته وأبطأ من حركته، خطرت له خاطرة وكان يدعو في كل ثانية أن تكون خاطئة. لم يقوَ على فتح الباب؛ خوفًا من أن يستقبله مشهد ليس مستعدًا لمواجهته. فتح الباب أخيرًا بعد تردد طويـــل، وقد أصابت خاطرته، كانت لينا ممدة على الأرضية بسكون تام. أسرع لجسدها يتأكد من أن روحها لا تزال تسكن جسدها، وضع سبابته عند فتحتي أنفها وكأن صاعقة أصابت جسده. لم يكن أي من تنفسها أو خافقها يعملان. إنهار ڤيكتور لا يصدق ما حدث، أحس نفسه كشخصية يكتبها شخص بائس ويكب كل معاناته وبؤسه في حياته هو عليه. مسك رأسها واضعًا إياه على رجله، وحدث جثتها بصوت ملأته الغصة وعيون اغرورقت بالدموع:

ـ لينا سامحيني أرجوك، لم يكن علي مناداتك. لو أنني لم أفعل هذا لكنت الآن في سريرك نائمة بأمان تحلمين بأحلام سعيدة. لينا أرجوك استيقظي، ألا تريدين أن تشهدي اليوم الذي ستكون ابنتنا فيه أجمل عروس شهدها تاريخ أكستاڤو؟ ألا تريدين أن تسمعي أولادها ينادونك بجدتي، ويحومون حولنا في حديقة قصرنا؟ ألم تعديني أن تبقي معي حتى يشيب شعرك ويصبح أبيضًا بدلًا من حلته الذهبية؟ لم نتفق على أن تتركيني وحدي في بداية الطريق، من المفترض أن أموت قبلك وليس العكس. صرخ ڤيكتور بصوت هز جدران القصر حرفيًا من علوه: لما تسلبينني أيتها الحياة أعز الأشخاص على قلبي؟ ألا يكفيك سلبي طفولتي ومراهقتي وشبابي؟ والآن سلبتِ

مني حياتي كلها. كيف لي أن أعيش بدون قلب؟ كيف لي العيش بدون وجود لينا في حياتي؟!!.

امتلأت الغرفة بصدى نحيب ڤيكتور، ودموعه التي غطت وجه لينا، كانت تتساقط وكأنهما جالسان تحت مطر غزير.

بعد فترة من الزمن، دخل سيباستيان وتصنم عند رؤيته للمشهد، لحقت به تيا واصطدمت به ثم رأت أسوأ كوابيسها. احتاجت لبضع ثوان حتى استطاعت استيعاب ما تراه الآن.

صرخت بصوت مزقت منه حبلًا من حبالها الصوتية:

ـ أمي!!!!.

دفعت سيباستيان داخلة الغرفة مرتمية على ركبتيها بجانب والدها. أمسكت كتفا والدها بقوة وهزتهما بقوة كادت أن تخلعهما، سألته بصوت مهزوز إثر بكائها:

ـ لما لم تنقذها؟ لما جعلتها تموت؟ لم أستطع أن أتهنى برؤيتها والآن ماتت! أخبرني، لما لا تجيب؟!.

كانت تيا تضرب صدر والدها بخفة بكلتا يديها، توقفت عن الصراخ وبدأت شهقاتها تخرج تزامنًا مع إحساسها بانقباض قلبها.

تسارعت أنفاسها للحظة، ثم تباطأت حتى سكن صوتها. سقطت مغشيًا عليها بين يدي والدها. عندما أحس ڤيكتور بثقلها قد انكب عليه، توقف عن البكاء والشهيق وكل شيء، سكن واعتلى الفراغ عينيه. أخذ ينظر إلى يدها التي تمركزت على قلبها.

هزها ڤيكتور قائلًا بصوت خافت:

ـ تيا انهضي، لا أستطيع تحمل المزيد من الألم، يكفيني ما شقيته طيلة حياتي.

اقترب منه سيباستيان ماسكًا كتفه من الخلف قائلًا:

ـ سيدي، سآخذ الآنسة تيا إلى غرفتها، وسأهتم بأمر باميلا والخائنين اللذين بصحبتها لاحقًا.

لم يستقبله أي رد من جهة ڤيكتور، فطبطب على كتفه وتحرك حاملًا تيا إلى غرفتها.

كان ڤيكتور ينظر إلى الفراغ وكلمات لينا في دقائقها الأخيرة يتردد صداها في جدران عقله. أحس ولمرته الأولى أن لا هدف لديه في هذه الحياة، ذهب الشخص

الوحيد الذي أحبه وسيحبه، وابنته تتعرض للإصابات مرارًا وتكرارًا وهو عاجز عن حمايتها. كاد يقوم بإنهاء حياته بجانب من تعهد معها على الموت سوية حتى لا يعيش أحدهما بدون الآخر ليوم واحد، لكن في آخر لحظة تردد صوتها في رأسه وهي تقول له: " ڤيكتور لا تفعلها! تيا لا تملك سندًا غيرك في هذه الحياة".

تراجع عن ما كاد يفعله، وتنهد تنهيدة عميقة كعمق المحيط، تنهيدة تحمل كل مآسيه وآلامه في هذه الحياة. عاد إلى الجدار يتكئ بظهره عليه. جلس القرفصاء ممسكًا رأسه بكفه الأيمن، والآخر يتدلى على ركبته. رفع شعره سامحًا لعبراته بالنزول مرة أخرى. كتم شهقاته طيلة فترة بكائه، هو فقط يريد أن يخرج ما بداخله من تراكمات، لا يريد أن يصدر إزعاجًا قد تتضايق منه حبيبته. شرقت الشمس وهو لا يزال على حالته رافعًا شعره بيد والأخرى متدلية على ركبتيه.

دخل عليه سيباستيان قائلًا بصوت حنون:

ـ سيدي، علينا أن نخرج السيدة لينا قبل أن يستيقظ الخدم.

صمت للحظة ثم أكمل مردفًا: وبالنسبة للآنسة تيا لقد استيقظت، لكنها نائمة الآن. تعلم أنها عندما تحزن وتبكي تواسي نفسها بالنوم.

رفع ڤيكتور رأسه ناظر بعيني سيباستيان الذابلتين، تنهد بعمق وقال:

ـ سننزل لينا إلى الطابق أسفل الأرض، وسأدفنها هناك. تجمعت الدموع في عينيه ثانية وأكمل: لا أستطيع القيام بجنازة تليق بها، فلا أحد يدري أنها لا تزال حية... عذرًا، أنها كانت حية.

أمسك سيباستيان بيده ووضع الأخرى على كتفه مسندًا ڤيكتور عليه حتى يقف وينقلان جسد لينا إلى الطابق الذي يمكث به جاك.

قال ڤيكتور وهو لا يزال مستندًا على سيباستيان:

ـ انقل أنت جسد لينا، لأنني لا أحتمل حملها وهي بلا روح.

ـ ولكن سيدي، أنت أقوى رجل في أكستاڤو وسيف هذه الإمبراطورية!.

هز ڤيكتور رأسه نافيًا وقال:

ـ سيفها في ساحة المعركة، ولكنني ضعيف خارج هذه الساحة. فكيف لي أن أحمل بين يدي جسدًا كان صاحبه هو من يعطيني الحياة؟ سأدفن نفسي معها لو حملتها صدقني.

أفلت ڤيكتور نفسه من بين يدي سيباستيان، ومشى باتجاه غرفة ابنته، إنها تحتاج إلى دفء يهدئ من برودة روحها. مشى بوجه منتفخ وعيون محمرة وصوت مبحوح

من بكائه الذي استمر لساعات. وقف قبالة باب غرفتها يجمع شتات نفسه؛ حتى يمدها بالقوة التي تحتاجها الآن أكثر من أي وقت. طرق بابها بخفة، يكاد يسمع صوت طرقاته من خفتها. انتظر دقيقة أمام الباب حتى تسمح له بالدخول، ولكنه لم يسمع أي إجابة. اقتحم الغرفة بهدوء ورآها شاردة تقف أمام نافذتها. دخل إلى الغرفة مغلقًا الباب وراءه، حاول حبس دموعه قدر الإمكان حتى لا تراها تيا، تقدم منها ممسكًا بكتفيها ماسحًا بحنو مهدئًا ما يشتعل في طيات قلبها. استمر على حركته هذه عدة دقائق حتى أوقفته بكلماته:

ـ أنا آسفة على ما قلته أبي.

عم الصمت للحظات بينهما، ڤيكتور ممسك بكتفيها وهي تنظر إلى ملامحه الوهنة المنعكسة على نافذتها. كسرته مرة أخرى مردفة:

ـ لم أكن أقصد ما قلته لك منذ ساعات مضت. من هول المشهد لم أجد سواك حتى أفرغ عليه ما اجتاحني لحظتها.

أدارها ڤيكتور بصمت وعانقها بقوة لم تتألم منها، بل أحست فيها بأنها آخر شيء ثمين تبقى له في هذه الحياة.

بادلته تيا العناق آخذة الدفء من جسده تدفئ به قلبها البارد، وتهدئ من العاصفة الثلجية التي هبت في مكنونها. حبست هي الأخرى عبراتها؛ لأنها لا تريد زيادة ما يجتاح قلبه من آلام. اكتفت باحتوائه لها، وكان هذا أفضل لها من البكاء الذي قبض فواءدها ألمًا، ولا يزال حتى الآن. كان ڤيكتور يمسح بيده على شعرها باثًا فيها الأمان والحنان. سكنت الأصوات من حولها، لا تسمع سوى حفيف الشجر وثليل ماء النافورة التي تطل عليها غرفتها. لم تعد حتى تسمع أنفاسها. هي فقط تسمع الطبيعة، انفصلت عن واقعها المرير واختبأت بين الحفيف ،الثليل والهزيز، والزمزمة والزقزقة والأليل.

وفي لحظات سكونها هذه، حضر صوت والدتها فجأة. لم تعرف ما يقوله صوتها، كانت مقطفات من مواقف لهما. لم تستطع التقاط جملة كاملة من كل ما حضر فجأة. شعر ڤيكتور فجأة بإختلاج أصاب جسد تيا، فصل العناق يسألها عن ما حل بها.

لم تنطق سوى بكلمة واحدة... **قلبي**.

ترجل لواف من عربته بعجلة لم يعتدها أحد من قبل. تقدم إلى بوابة القصر غير آبه بتحيات الحراس والخدم له. استقبلته كبيرة الخدم تحييه بوقار، اكتفى برد التحية بكلمة واحدة وهو يتابع سيره. وصل بعد مدة إلى مكتب ڤيكتور، فهو – ومهما كانت علاقته قوية بتيا- يستحيل عليه اقتحام غرفة تيا، لذلك اختار مكتب والدها.

جفل سيباستيان من دخوله المفاجئ مما أدى لسقوط بعض الملفات التي كان يحملها. حملقا ببعضهما لوهلة ثم قال لواف موضحًا سبب اقتحامه:

ـ أتيت قلقًا على تيا، فقد وجدت ورقة على مكتبي جعلتني أقلق. وكانت كلماتها تستدعي القلق حقًا.

التقط سيباستيان الملفات من الأرضية ثم وقف مجيبًا:

ـ الأرشيدوق مع الآنسة تيا في غرفتها، سأذهب لأنادي عليهما.

وضع سيباستيان الملفات على المكتب وتقدم ذاهبًا لمناداة ڤيكتور وتيا. وصل حيث يقف لواف، استوقفه بسؤاله:

ـ هل حدث شيء ما سيباستيان؟ جميع الوجوه مخطوفة اللون، مصدومة، حزينة.

ازدرد سيباستيان ريقه معرضًا عن إعطائه إجابة لسؤاله، وأكمل طريقه تاركًا لواف واقفًا والأفكار تتراقص في عقله.

أسرع سيباستيان بخطواته لغرفة تيا. طرق الباب ففتح له ڤيكتور متسائلًا عن التوتر الذي تموضع على ملامحه.

أجاب سيباستيان عن تعابير ڤيكتور المتسائلة:

ـ الأمير لواف هنا، ولا أدري ما الذي رآه حتى يكون كالثور الهائج. لولا القواعد لكان قد اقتحم غرفة الآنسة بدلًا من مكتبك!.

خرجت تيا من خلف والدها قائلة بتعجب:

ـ لواف! لما قد يأتي فجأة دون أن يخبرنا حتى؟.

ـ لا أعلم صدقًا آنستي، كل ما أعرفه أنه يريد مقابلتك لأنه قلق عليك.

أشارت تيا بإصبعها على نفسها وقالت:

ـ علي أنا؟ ولما سيقلق حتى؟.

سألها ڤيكتور مخمنًا:

ـ لربما أرسلت له رسالة تشكين له صدمتك من ستيلا؟.

ـ لا أبدًا، أنا لم أرسل له ولا أي رسالة منذ عودتي.

ـ دعينا نذهب ونرى ما به.

أومأت تيا موافقة كلام والدها. تقدم خارجًا فخرجت بعده مغلقة باب حجرتها وتحاول تخمين الشيء الذي قد يقلق لواف بشأنه.

وصلوا إلى مكتب ڤيكتور فتقدمت تيا تفتح بابه، لم تنطق بكلمة حتى، ورأته ممسكًا بها ينهال عليها بالأسئلة:

ـ تيا هل أنت بخير؟ ما بال وجهك منتفخ وعيناك محمرة هكذا؟ أكنت تبكين؟ من أبكاك؟ هل أصبت بمكان ما؟.

انتهى لواف من أسئلته وأخذ يتفقد تيا إن أصيبت في مكان ما. أوقفته تيا ممسكة بيده وقد تجمعت العبرات في مقلتيها. توقف لواف عن التحرك وسألها بصوت خافت هادئ:

ـ لما تبكين تيا؟، تجمعت الدموع بعينيه هو الآخر وأكمل بصوت مهتز: أرجوك تيا لا تبكي. إن كنت تريدين البكاء لا تفعلي ذلك أمامي، تعرفين أنني ضعيف أمام دموعك.

رق قلب ڤيكتور لهذين الطفلين اللذين لقيا من الحياة مالا يطيقانه، أمسك ڤيكتور بكتف لواف قائلًا:

ـ تعال اجلس وسنقص عليك ما حدث منذ عودة تيا حتى هذه اللحظة.

قصّا ڤيكتور وتيا جميع الأحداث على لواف، لم يتأثر لواف من قصة باميلا كثيرًا، فقد صدمته لينا أكثر. توقف ڤيكتور عن الكلام فجأة وطأطأ رأسه مخفيًا عبراته، قال لواف مستغربًا:

ـ ماذا حل بك أرشيدوق؟ لماذا توقفت فجأة؟.

حاول ڤيكتور جمع شتات نفسه ليخرج جملته الأخيرة، لكن تيا سبقته بقولها:

ـ باميلا قتلت أمي قبل شروق الشمس ببضع ساعات.

سرت رعشة في جسد لواف وأحس ببرودة مفاجئة تسري في عروقه. حاول قول كلمات تواسي القابعين أمامه، لكن الكلمات والحروف هربت منه. نهض من مقعده وجلس على ركبتيه حيث تجلس تيا، ضمها إلى حضنه مشعرًا إياها بكلماته الضائعة منه. بادلته تيا العناق شاعرة بحنان لم تشعر به أبدًا في أي مرة حضنت فيها لواف.

بكت على كتفه كما لم تبكِ عليه يومًا، تبلل قميصه بدموعها. ابتعد عنها ماسحًا دموعها المنهمرة على وجنتيها، قال بصوت خافت:

ـ سننتقم لها معًا، حتى لو كلفني هذا حياتي. أنهى جملته مخرجًا من جيب بنطاله منديلًا كحلي مطرز عليه أول حرف من اسمه وأول حرف من اسم عائلته، أحاطه إطار بخيوط ذهبية صغيرة أضافت لمعة على ظلام اللون كما تنير النجوم السمائ ليلًا ببريقها اللطيف، قدمه إلى تيا حتى تمسح به ما أصاب وجهها.

التقطته من بين يديه. قالت وهي تمسح وجهها به:

ـ لا لواف، لن تضحي بحياتك لأجلي؛ فلديك شخص عليك حمايته.

امتعض لواف من كلمات تيا التي كانت أشبه بالملح يوضع على جرحه النازف.

قال بابتسامة مكسورة:

ـ لا أملك أي شخص يحتاج حمايتي سواك. وأرجوك ألا تذكري اسمها، فأنا أتعذب حتى أنساه.

فهمت تيا تقريبًا ما يرمي إليه لواف، شكرته على المنديل راسمة ابتسامتها بإشراقة باهتة.

إمسك لواف بكفها قائلًا:

ـ لا داعي لإجبار نفسك على الابتسام، فهذا يؤلم كثيرًا.

اختفت ابتسامتها بعد كلماته تلك، فهو صادق؛ لأن ابتسامتها هذه لم تزدها سوى ألمًا في محاولة إضمار مافي قلبها من حزن.

استأذن ڤيكتور بالخروج، فقد أحس أن في جعبة ذلك الشاب كلام لا يريد لأحد سماعه سوى تيا. رجع لواف بجذعه للخلف مسندًا ظهره بتلك الطاولة الصغيرة التي توسطت الأرائك الأربع.

قال لواف مركزًا نظره للأعلى مبتسمًا بألم:

ـ لا أريد زيادة حزنك أكثر، لكنني أشعر بالاختناق. أريد أن يسمعني شخص ما، حتى لو لم تواسني، أريد فقط أن أخرج ما أكبته من أسابيع. لا ستطيع التنفس بشكل صحيح، ولا حتى النوم كما أريد. أنا لا أستطيع العيش بشكل طبيعي كما اعتدت، لم أعد أستمتع حتى بأفضل الأشياء لدي. كرهت حياتي وأصدقائي، ونفسي وكل الناس من حولي، لكن لما لا أستطيع أن أكرهها هي؟ هي من آذتني وجعلت مني لواف الذي يكره كل شيء حوله، لكن... لكن لما لا أستطيع أن أكره المسبب لكل هذا؟ لما هي مصرة هكذا على البقاء في قلبي رغم رحيلها عن ناظري؟ تعبت من طيفها

الذي يظهر كلما مشيت خطوة في القصر. لا أملك سوى حبس نفسي في غرفتي؛ لأنها المكان الوحيد الذي لم تطأه قدماها. لماذا قبلت حبي منذ البداية إن كانت لا تضمر في قلبها لي مثلما أضمر في قلبي لها؟ لما لم تقلها في ذات اللحظة؟ لما انتظرت حتى أتعلق بها وتصبح حياتي كلها، ولا سعادة فيها تضاهي سعادتي بجانبها؟ أكانت مستمتعة وهي تفعل هذا؟ أكنت لعبة وضجرت منها فرمتها باحثة عن غيرها؟ هل هذا جزاء المحب ممن أَحَبْ؟ تيا، أ..أنا أحببتها، أحببتها بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

لم أشعر بسعادة وصحة كما شعرت بجانبها. كنت كأم حنون ترعى طفلها الرضيع، هكذا كنت أعاملها. كنت أرى الحياة إلا في عينيها، لكن كيف لي أن أرى الآن وقد اختفت عيناها؟. لا أجد كلامًا يصف مكنون قلبي بما يريحني، فقد جرحتني جرحًا عميقًا، وسيترك ندبة حتى مماتي.

من أخدع؟ ما الذي سأتوقعه من شخص فضل حياته على حياة عائلته؟ لأول مرة أتمنى العودة بالزمن، أريد فقط محيها من حياتي.

صمت بعد أن فرت الحروف منه، انتظر ردًا ما يهدئ ناره المشتعلة، لكن لم تنطق تيا ببنت شفة. أخفض بصره فإذ يراها ممسكة قلبها وساكنة تمامًا، لا حركة ولا صوت صادر منها. ارتبك لواف لحالها، فهزها مرة ورشها بالماء مرة، لكن لا استجابة. ضربها مرة وأنشقها عطره مرة، ولا أي استجابة.

خرج لواف مناديًا ڤيكتور وسيباستيان علهما يعرفان ما أصابها.

أمر ڤيكتور سيباتيان باستدعاء الطبيب على الحال، فلا يوجد شيء يمكن معرفته من هيأتها. خطر على بال ڤيكتور نقلها حيث يقطن جاك. على الأقل يخبره ما بها ابنته!، لكنه تراجع فجأة عن الفكرة وفضل انتظار الطبيب، وإن لم يعطه إجابة مرضية سيستعين بجاك.

مددها على الأريكة. حاول نزع يدها عن مكان قلبها، لكنها كانت متمسكة به بشكل غريب. وصل الطبيب بعد فترة وبدأ بفحصها وركز على قلبها أكثر من أي شيء آخر.

نزع الطبيب سماعته قائلًا:

ـ لا شيء غير طبيعي بها، نبضها طبيعي والسحر لم يظهر لي أي شيء غريب أو خطير، لربما تكون نائمة بعمق لا أكثر.

رد عليه لواف غاضبًا:

ـ أي نوم هذا الذي يبقيك نائمًا بعد تعرضك لضربات توقظ وحوش الكهوف؟.

صمت الطبيب وأكمل توضيب حاجاته خارجًا من القصر بأكمله.

قال ڤيكتور بصوت قلق:

ـ لست مقتنعًا بما قاله الطبيب، لا يوجد سوى حل واحد.

ـ ما هو؟.

ـ سأطلب من جاك أن يفحصها.

حملها ڤيكتور منتقلًا حيث يوجد جاك. فتح الباب وكان المعني نائمًا.

وضعها على الكرسي وقال وهو يهز جاك:

ـ استيقظ بسرعة، تيا لا تستسجيب لشيء.

قفز جاك عند سماعه اسم تيا، نظر إلى وجه ڤيكتور ثم لمح تيا الموضوعة على الكرسي. نهض يضعها على سريره. كان على وشك أن يستخدم سحره، لكن استوقفه ڤيكتور سائلًا:

ـ ألا بأس باستخدام سحرك الآن؟.

هز جاك رأسه مجيبًا:

ـ لا ضير من استخدامه الآن.

حاوطها جاك بسحره الذي يكشف علتها ويتمركز عندها. بدأ سحره بالتقلص والتمركز عند جرحها بشكل طفيف، ثم كثر تمركزه عند قلبها. فهم جاك أن شيئًا ما أصابه، تقدم مقربًا يديه على قلبها، ظل يحركهما فوقه، ويداه تتمايل مع سحره، توقف فجأة مع توقف سحره، وتوقفه هذا وتر ڤيكتور أكثر مما هو عليه، قال بصوت مليء بالاضطراب:

ـ ما بك تصنمت هكذا؟ أيوجد خطب بابنتي؟.

رفع جاك رأسه ناظرًا بعيني ڤيكتور، قال:

ـ هناك خطب في قلبها، المانا لا تستجيب لي. حاولت جاهدًا البحث عن القليل منها لكنني لم أجد شيئًا. توقف جاك عن الحديث قليلًا واستجمع نفسه مكملًا: لكن هنالك لعنة وضعت على قلبها، أنها لعنة تبونتراس.

ـ لعنة تبونتراس؟.

ـ إنها لعنة توضع على السحرة أو من يحملون السحر في دمائهم.

تعمل هذه اللعنة على تجميد المانا في قلب صاحبها، ومع مرور الوقت تؤدي إلى وفاة صاحبها؛ لأن المانا عند تجميدها في القلب تأتي بمفعول عكسي. من الواضح أن قلبها كان محاطًا بحاجز، لكن بمجرد اختفاء هذا الحاجز ستؤثر بها اللعنة.

صرخ ڤيكتور غاضبًا:

ـ وما الذي تنتظره؟ عالجها في الحال!.

أجابه جاك بعجز:

ـ للأسف، حتى التعويذة المحرمة لن تفك اللعنة، لن تنفك إلا بموت من ألقاها.

انهار ڤيكتور على ركبتيه، أمسك بيد تيا وقال بعيون تجمعت فيها العبرات:

ـ إن كانت الحياة تريد جعلي يائسًا لهذه الدرجة، على الأقل خذي أحبابي على فترات متباعدة، وليس الواحد تلو الآخر. وضع رأسه على يدها ذارفًا الدموع على أكثر شخص حمل له حبًا في حياته كلها.

سأل جاك متمسكًا بخيط أمله المهترئ:

ـ متى ستستيقظ تيا؟.

امتنع جاك عن الإجابة خشية أن يفقد المسكين عقله. ألح عليه ڤيكتور بالسؤال. وقد أشفق على حاله ويأسه.

قال بتردد:

ـ لـ..لن تستيقظ حتى ننزع اللعنة عن قلبها.

خيم صمت ثقيل على كليهما، كان ڤيكتور لا يصدق ما يحصل معه وقد آمن أنه هو اللعنة على عائلته ولا أحد يضع عليهم اللعنات، بل هو من يجلبها لهم.

ضحك ڤيكتور ضحك المتألم المتعذب. التفت له جاك بسبب ضحكه المفاجئ،

سأله بقلق:

ـ ما الخطب ڤيكتور؟ ما الذي يدعو للضحك؟.

أجابه ڤيكتور بذات الضحكة:

ـ لم أعتقد أن كلام زوجة أبي في محله، ففي أول يوم لها في منزلنا، وكلما اصطدمت بي، إما تسقط أو تضرب أو تتزحلق أو يسقط على رأسها شيء، كانت تقول لي أنني لعنة على من أعرفهم، ولعنة على كل من أنظر إليه. لم أكن ألقي بالًا

لكلامها، لكنني الآن أؤمن به. لن ألقي باللوم على أحد، أنا هو السبب في كل ما حدث لعائلتي. حياتي لن تنعم بالسعادة ما حييت، لا حل سوى أن أقتل نفسي وستنتهي هذه المأساة.

ـ لكن أحباؤك لا يستطيعون العيش بدونك!

ـ أحبائي؟ لم يبقَ لي أحباء. فالأولى هاهي ذي ماتت عندما رأيتها، والأخرى ممدة أمامي وأنا عاجز عن انقاذها. صدقني ستكون تيا أسعد بدوني. آتمنك عليها وإياك واحزانها، سآتي في أحلامك وأنتقم لها إن آذيتها. مسح دموعه رادفًا: كم من الوقت معنا حتى ننقذ تيا؟.

أجابه جاك بتردد:

ـ أ..أنا لا أعلم المدة فعليًا... لكن ربما شهر، أو أقل من الشهر.

أعاد ڤيكتور شعره إلى الوراء بيد، والأخرى تموضعت على خصره، تنهد وقال:

ـ علينا تنفيذ الخطة بأسرع وقت. لن أحسب الخطوة ألف مرة قبل الإقدام على مشيها، علي اكتشاف من ألقى اللعنة على تيا وقتله.

سأله جاك بعد صمت دام ثوانٍ:

ـ ألم تترك السيدة لينا ولو لمرة ظرفًا أو ورقة وقالت بألا تفتحه إلا إذا ماتت؟ لربما كانت تعرف من ملقي اللعنة وكتبته في ذلك الشيء أيًا كان.

فكر ڤيكتور قليلًا وقال ببعض الأمل:

ـ أجل! أجل فعلت! سأذهب لأتفقده وأعود.

خرج ڤيكتور بأسرع ما يمكن؛ ليلعم ما كتبته لينا في ذلك الظرف البني. دخل إلى مكتبه متوجهًا حيث يقبع ذلك الظرف. أخرج كومة المفاتيح تلك من جيب بنطاله وبدأ يقلب بينها إلى أن وجد مفتاح الدرج المقصود. أدخل المفتاح وأداره مرتين إلى اليسار فاتحًا الدرج. سحبه ببطء وظل يحدق بمحتواه الوحيد ألا وهو الظرف.

بعد عدة دقائق أمسكه وهم بفتحه، وجد فيه ورقة كتبت بخط اليد التي لطالما أمدته بالحياة في أشد لحظات بؤسه، قرأ محتواه بعقله، وخيل له صوتها هو الذي يقرأ الرسالة:

"مرحبًا ڤيكتور، أعلم أنك ستكون محطم القلب أثناء قراءتك لهذه الرسالة، تخلى عنه قليلًا وركز على إنقاذ ابنتنا، من ألقت اللعنة على تيا هي باميلا، اعترفت لي بذنبها قبل ممات أمها بفترة وجيزة، كانت أمها جاسوسة من كريستلوف وهي مجرد مضطهدة من قبلهم، أعرف أن هذا صعب، لكن عليك قتلها حتى تعود تيا لوعيها.

أجبرها الإمبراطور على وضع تلك اللعنة ولم يكن هذا بإرادتها، إنها نادمة على فعلتها، وأرجوك عندما تقتلها لا تؤلمها؛ فهي ساعدتني بحماية تيا".

ضرب ڤيكتور المكتب بقبضته غاضبًا من كل ما فعلته هذه التي تدعى باميلا، فقد كان يثور غضبًا مع كل وصف جيد وصفت لينا به باميلا. لم يعد باستطاعته التحمل أكثر. توجه إلي علّاقة ملابسه ملتقطًا عباءته مرتديًا إياها، وضع حزام أسلحته وأخذ ما رأى من أسلحة أمامه في المكتب، وتوجه إلى بابه حتى ينتقم من مفسدة حياته. استقبله وجه سيباستيان عندما فتح الباب، رأى سيباستيان الجو المحيط به وعلم بما سيقدم على فعله. تخطاه ڤيكتور متجهًا إلى الإسطبل.

قال سيباستيان لاحقًا به يحاول إقناعه:

ـ سيدي أنت لا تعرف مكانها حتى، وإن قتلتها الآن، ستقوم حرب بين الإمبراطورتين.

أجابه ڤيكتور غير مبالٍ لما قاله:

ـ ستقوم في كلا الحالتين، سواء قتلتها أم لم أفعل.

وقف سيباستيان يردعه عن إكمال طريقه وقال:

ـ سيدي اعتبر كلامي نصيحة من صديق، لا بل من أخ يحبك كثيرًا، ويخاف على حياتك أكثر من خاصته، ويعتبرك قدوته في هذه الحياة، وليس كمساعد ليس له أي سلطة عليك. أرجوك سيدي، لهذه المرة فقط.

نظر ڤيكتور إلى عينيه اللتين تترجاه بنظراتها على العودة بأدراجه، وألا يقدم على ما ينويه. قلب بين أفكاره لبرهة من الزمن، لكن شكل تيا ظهر في مخيلته فقرر أن يمضي بطريقه يفتش عن قاتلة زوجته ولاعنة ابنته. أسرع من خطاه قاصدًا عدم استطاعة سيباستيان مجاراته، وبالفعل توقف سيباستيان عن اللحاق به واكتفى بالنظر إليه بخوف وقلق شديدين. وصل ڤيكتور إلى الإسطبل وجهز حصانه متأكدًا من ثبات سرجه ومتانته، امتطاه واكزًا إياه برجله آمرًا بالتقدم. راح يتنقل بين المنازل يسألهم إن رأوا شخصًا بمواصفات باميلا وأي من الحارسين، ولكن جميعهم أنكروا رؤيتهم لأشخاص بهذه المواصفات. تبقى آخر منزل من بين كل النزل والمنازل السابقة، التي بقي يبحث فيها لمدة أسبوع كامل. كان فاقدًا للأمل بشكل كبير. طرق بابه بقلة حيلة، لم يتوقع أن يلقى ردًا يريده، دقه حتى لا يوسوس له عقله لعدم فعله ذلك. فتح رجل صغير العمر، صغير البنية، طويل القامة، أسود الشعر. سأله ڤيكتور آملًا أن يكون جوابه مختلفًا عن سابقيه:

ـ هل رأيت امرأة تبلغ من الطول تقريبًا خمسة أقدام، شعرها بني فاتح وحسنة المظهر نوعًا ما، يتبعها رجلين بطول ستة أقدام تقريبًا؟.

فكر الرجل قليلًا ثم قال:

ـ آه تذكرت! طرق أحدهم بابي باحثًا عن نزل رخيص وغير معروف، ووصفك يطابق تقريبًا الشخص الذي طرق الباب.

ـ وهل دللتهم على مبتغاهم؟.

ـ نعم، يوجد نزل على بعد ثلاثة أميال من منزلي، لن ترى غيره من مبنى في مكانه.

زفر ڤيكتور بارتياح وشكر الرجل ثم هم بإكمال طريقه حتى يصل إلى النزل الذي وصفه. مشى ثلاثة أميال كما قال له الرجل، واستقبله نزل مهترئ بلوحة صغيرة مكتوب عليها "نزل سترانغلوف".

تردد ڤيكتور بالدخول، وقف حائرًا أمام بابه، أيدخل أم لا؟ ماذا لو صادف أحد الثلاثة في وجهه ووقع في ورطة أخرى؟ هل يمكن له التغلب على ثلاثتهم وهو يشعر بكل هذا الوهن ينصب على جسده؟ اتخذ قراره بالدخول إلى النزل، ومهما حصل، سيتأكد من إزالة لعنة تيا مهما كلفه الأمر. دفع الباب دالفًا إلى النزل، وقد أصدر الجرس الصغير المعلق أعلى الباب صوتًا ينبه عن قدوم أحدهم. التفت الشاب الواقف خلف خشبة الاستقبال، قال الشاب مرحبًا بابتسامة مبتذلة:

ـ أهلًا بك في نزل سترانغلوف، كيف يمكنني خدمتك؟.

تقدم ڤيكتور حيث يقف الشاب وأصبح أمامه، أجابه وهو يجوب بعينيه أرجاء النزل:

ـ أريد سؤالك عن شخص يدعى ستيلا، سمعت أنها وصلت إلى نزلكم من فترة وجيزة.

دقيقة من فضلك. فتح الشاب دفتر النزلاء باحثًا عن ذلك الاسم، أردف عند توقفه على أخر صفحة سجل فيها: نعم سيدي، ومعها رجلان، ستيڤ وكليف.

ـ نعم، أنا أبحث عنهم. هل يمكنك أن تمدني بأرقام غرفهم؟.

أجابه الشاب رافضًا:

ـ عذرًا سيدي، لا أستطيع إعطاءك المزيد من المعلومات؛ حفاظًا على خصوصية النزيل.

أخرج ڤيكتور من جيب سترته كيسًا متروسًا بالقطع الذهبية، قال بينما يضعه في يد الشاب:

ـ يبدو لي يا فتى أنك لا تعرفني، أنا الأرشيدوق ڤيكتور دادلي. كما تعلم، شخص مثلي لن يبحث عن شخص ما عبثًا، أليس كذلك؟.

تصبب العرق على جبين الشاب متوترًا بسبب الكلمات التي وصلت إلى مسامعه الآن. مد يده إلى الدرج مخرجًا ورقة صغيرة مكتوب عليها الرقم (45)

وضعها أمام ڤيكتور قائلًا:

ـ هذه الغرفة التي أعطيتها لهم سيدي.

أمسكها ڤيكتور وأخذ يتمعن بها بعض الوقت قبل أن يقدم على ما يراوده. استجمع شتات نفسه صاعدًا سلالم النزل الخشبية ببطء حتى لا يصدر الصرير من خشبها.

وصل حيث يوجد الكثير من الأبواب المرصوصة بجانب بعضها البعض، تخيل للحظة حجم الغرف واقشعر بدنه. عاد مركزًا على هدفه الذي جعله يدخل مثل هذا المكان المليء بمغازل العناكب، والرطوبة التي تظهر على جدرانه. جال بعينيه باحثًا عن الرقم خمسة وأربعون، لم يكن في نطاق رؤيته، لذا أخذ يخطو متابعًا سيره. وقف حائرًا أمام ثلاثة ممرات، أيهم طريقه؟. لمح على اليمين أرقام الغرف بادئة من الثلاثين، لذلك توقع أنه الاتجاه الصحيح.

اتجه يمينًا، وصار يحدق يمنة ويسرة؛ ليعرف في أي جهة من الجدار تقع غرفتهم. توقف عند باب خشبي متقشر مهترئ، ظل يحدق به برهة من الزمن قبل أن يرفع يده جاهزًا لقرعه وأخذ أرواحهم. كادت يده تلامس الباب، لكنه تذكر هيأته الأخرى والأكثر قوة مما هو عليه الآن. نطق ببعض الكلمات، وظهرت له هيأة جديدة لن يعرف أحد منها أنه ڤيكتور، تلك المخالب الطويلة والقاسية تنافس خاصة الوحوش الكاسرة، أنياب بيضاء طويلة تكاد تخترق شفتيه من حدتها، وشعر أسود طويل، ووجه شاحب كما لو أنه أصبح شبحًا، وعيون حمراء تقطر دمًا، وعروق بارزة في جميع أنحاء جسده. طرق الباب بخفة حتى لا يرتبك من بداخلها، أجابه صوت أنثوي من خلف الباب، حاول ڤيكتور ترقيق صوته والرد على سؤالها: من؟ بنبرة لطيفة:

ـ أنا جاركم في الغرفة المقابلة، أريد مساعدتكم؛ فزوجتي مريضة ولا أدري ما أفعل بها.

قابله صمت من الطرف الآخر، ثوان مرت بعد هذا الصمت وفتح الباب مرحبًا بقدومه. أسرع ڤيكتور دافعًا باميلا مسقطًا إياها على الأرض معتليها. كان أحد الاثنين معها أن يخرج ويطلب المساعدة، ولكن بإشارة من اصبعه، أحكم إيصاد الباب، كما قيد الاثنان حتى لا يزعجاه وينهي مهمته بسرعة ويرحل.

ضحكت باميلا مستفزة إياه، قالت:

ـ أتحسب أنك تستطيع التغلب علي بشكلك هذا؟ لقد امتصصت قوة زوجتك وابنتك، كيف لك أن تهزمني؟.

لم يقل ڤيكتور كلمة واحدة، أنزل رأسه إلى رقبتها حيث ظنت تلك أنه يريد أن يهمس لها بإحدى تهديداته الفارغة، ولكنه فاجأها بغرز أنيابه في رقبتها شالًا حركتها، سحب كمية كبيرة من دمها كانت كافية في جعل وجهها يشبه وجه الأموات. رفع رأسه باصقًا دمها على الأرض قائلًا:

ـ مهما حاولت، لن تقدري على هزيمة ڤيكتور حين يكون مصممًا على شيء ما، فأنا لم أكن جادًا حيال قتل أي شخص في حياتي أكثر من هذه اللحظة. وداعًا، سآخذك حيث تقبع والدتك في الجحيم.

رفع ڤيكتور يده عاليًا وصرخ بقوة غارزًا مخالبه في قلبها. اختلطت صرخات ألمها مع صرخات ڤيكتور الذي يغرز مخالبه أكثر. أحس أن مخالبه اخترقت قلبها، أخرج مخالبه وأحاط قلبها مستعدًا لانتزاعه من مكانه. كانت تلتقط آخر أنفاسها غير قادرة على قول ما تريد قوله، صرخ ڤيكتور مع سحبه لقلبها من مكانه: موتي أيتها اللعينة.

أخرجه وارتفع جسدها، ثم هبط إلى الأرض مرة أخرى ساكنًا، لا نفس ولا حركة.

نظر ڤيكتور لقلبها بين يديه لاهثًا براحة، وأخيرًا أنقذ أحدًا من عائلته!. عاد لهيأته الأصلية، أخرج كيسًا من جيب سترته الداخلي واضعًا فيه قلب باميلا. أمسك بجثتها وبالخائنين مستعملًا قدرته على الانتقال لمسافات بسيطة، وذهب حيث ربط حصانه بعيدًا عن الأعين.

ألقى بالخائنين أرضًا ووضع جثة باميلا على حصانه. أخرج قلادته وضغط عليها إلى أن أصدرت صوتًا سمعه هو لوحده. قال في عقله عندما استقبله صوته: " سيباستيان، تعال إلى جبل كرونييل بسرعة، ولا تسأل لماذا، تعال وحسب".

أعادها ڤيكتور مكانها والتفت إلى ستيڤ وكليف، قال وهو يشدهما من قيودهما:

ـ إذن، ما هي الطريقة الصحيحة لمعاقبتكما؟.

رد عليه كليف وكل عظمة من عظامه تنتفض خوفًا:

ـ سيدي أرجوك فالعتفُ عنا، لدي عائلة أعيلها ولا أحد غيري يؤتيها لقمة تعينها على العيش، وستيڤ ليس أفضل حالًا مني.

نزل ڤيكتور إلى مستواهما قائلًا:

ـ لا تقلق على عائلتك وعائلته، فأنا لست حقيرًا لدرجة جعلهم يموتون جوعًا! سأرسل لهم راتبكما كل شهر، ولكنكما لن تفلتا من العقاب. ولا تحاولا استعطافي، لأن هذا لا ينجح معي.

أنهى كلامه سامعًا صهيل فرس سيباستيان. وقف مشيرًا له بيده حتى يقف عنده. نزل سيباستيان من على فرسه، وانخطف لونه عندما لمح ذلك الجسد الساكن، ويد سيده وملابسه المغطاة بالدماء الحمراء، سأله بنبرة غاضبة لأول مرة:

ـ ما الذي فعلته؟! أي هراء هذا الذي يسكن عقلك؟؟؟.

صرخ ڤيكتور به:

ـ سيباستيان! كيف لك أن تصرخ بوجهي وتحدثني بهذا الأسلوب؟.

ـ لأن ما فعلته سيقتلنا جميعًا، لقد قتلت الساحرة الأولى لإمبراطورية كريستلوف!.

ـ فالتذهب الإمبراطورية بأكملها إلى الجحيم، لا يهمني أن تشن حربًا، لا بل حروبًا. ما يهمني هو حياة ابنتي.

زفر سيباستيان بحنق وقال:

ـ علينا أخذهم إلى قصر الإمبراطور فرانكلين، علينا البدء بالتجهيزات للمجزرة القادمة.

أخرج ڤيكتور من جيب سترته الكيس الذي وضع فيه قلب باميلا، قال محذرًا سيباستيان:

ـ مهما حدث، لا تقرب هذا القلب من ذلك الجسد.

أخذه سيباستيان واضعًا إياه في جيبه مصطحبًا الحارسان معه على ظهر حصانه، بينما تولى ڤيكتور حمل باميلا.

وصلا بعد مدة ليست بقصيرة، نزل ڤيكتور وحمل جثمان باميلا، وراءه سيباستيان يجر الخائنان. وقف ڤيكتور أمام البوابة التي فتحت له دون يقال له أي كلمة، تقدم وكل النظرات تمركزت عليه؛ بسبب الجثة التي يحملها بين يديه، فحاله كانت أغرب من حال سيباستيان.

دخلوا إلى القصر الإمبراطوري واستقبلهم مساعده أمبريج، طلب منه ڤيكتور بعجل:

ـ أريد رؤية الإمبراطور، إنه أمر عاجل.

أجابه أمبريج بوقار:

ـ أود ذلك يا أرشيدوق، لكن الإمبراطور يستمتع الآن بأمسية عائلية.

أنزل ڤيكتور باميلا عن كتفه وقال محركًا يداه أثناء حديثه:

ـ اسمع يا أمبريج، الأمر يتعلق بهذه الجثة هنا. تلك ساحرة أو جاسوسة بمعنى أصح، زرعها إمبراطور كريستلوف في قصري، وقتلت زوجتي وأخذت قواها. كما لعنت ابنتي وأخذت قواها هي الأخرى، ولا أدري إن كانت حية أم ميتة الآن، هذا الكائن هناك أذاني!!!.

ارتبك أمبريج قليلًا، فعلى ما يبدو، لا يوجد شيء قادر على ردع ڤيكتور حاليًا. أجابه مستسلمًا لطلبه:

ـ سأذهب لأخبر الإمبراطور.

انصرف أمبريج من أمامهم، منتقلًا إلى الغرفة التي يواجد بها سيده، دخلها واقترب منه هامسًا في أذنه:

ـ الأرشيدوق ڤيكتور أحضر جثة جاسوسة من كريستلوف وحارسان من حراسه، يبدو أنهما خانوه مع تلك الساحرة.

نهض فرانكلين من علي كرسيه وخرج من الغرفة ليرى ما الذي فعله ڤيكتور المتهور كما وصفه.

رأى جسد باميلا الخالي من الروح، وڤيكتور الغارق بدمائها.

نهض ڤيكتور من مكانه وحياه تحية تصاحبها ابتسامة صفراء. سأله فرانكلين عن سبب قتله لها، وقص عليه ڤيكتور الحكاية كاملة، وبالطبع أخفى أن لينا كانت حية طيلة هذه المدة.

قال فرانكلين بصوته الذي لطالما كرهه ڤيكتور:

ـ اذهب إلى قصرك واعرف أحوال ابنتك، وسأرسل هذان الفأران إلى مكان لائق بهما، أما عن باميلا، سأبقي جسدها في مكان آمن تمامًا.

انحنى ڤيكتور مودعًا الإمبراطور عائدًا إلى قصره بأقصى سرعة لديه. امتطى حصانه تاركًا سيباستيان الذي كان يحاول مجاراة خطواته.

وصل إلى قصره ونزل من حصانه مسرعًا إلى ما بناه تحت أرضية القصر، استخدم قدرته على الانتقال مسرعًا عملية الوصول إلى الغرفة. فتح الباب بقوة، وقد رآها. رآها باسمة تلك البسمة التي ترهق فؤاده من فرط جمالها، رأى عيناها تنبض بالحياة كما اعتاد عليها سابقًا، رآها مشعة كما أشعة الشمس في يوم ربيعي دافئ. رآها تتلألأ كما لو أنها نجمة هاربة من سماء قاتمة في ليلة من ليالي الشتاء القارسة.

أحست بوجوده بينهما، التفتت تنظر له بعينيها التي تبرق فرحًا لرؤيته. أحس أن العالم توقف للحظة، لقد حمى عائلته لأول مرة! لأول مرة لم يفشل في حمايتها! لمعت مقلتاه بسبب الدموع المتجمة التي كتمها عمدًا.

نادته بصوتها وآه كم اشتاق لسماع هذا الصوت، أجاب مناداتها وتقدم نحوها، احتواها بين أضلاعه، إنها المرة الأولى التي يشعر بها أنه يستحق أن يكون أبًا. ابتعد عنها وقال غارقًا في عينيها:

ـ أستطيع أن أموت مرتاح البال الآن، استطعت تقديم شيء لك ترويه عني وأنت فخورة بي، حكاية تجعل من أولادك فخورين أن جدهم كان ذلك النوع من الآباء.

نهرته تيا عن قوله رادة:

ـ أبي، لا تنطق بهذا الكلام! أنت الذي سوف تقص عليهم كل ما قدمته لي، حتى تكون لديهم فكرة عن مدى روعة جدهم.

ـ أي أشياء تلك التي قدمتها سوى ما فعلته اليوم؟ تيا، أنا مقصر بحقك. حرمتك من أشياء كثيرة، ولحظات عديدة لم أفكر بها إلا بنفسي وهمشت وجودك ورأيك، لا أستحق حتى أن أوصف بكلمة **أب.**

قبضت تيا على يداه قائلة:

ـ أبي لا تقل هذا عن نفسك أرجوك، أنا من كنت ذات شخصية سيئة. تجربتي هذه علمتني أشياء جديدة، ووعيت بها مقدار حبك واهتمامك اللذين كنت غافلة عنهما سابقًا. المشكلة تكمن في تيا ذاتها وليست منك أبي.

وقف جاك خلف ڤيكتور ممسكًا بكتفه قائلًا:

ـ إنها محقة، لن أكذب حين قولي أنك أفضل أب من بين جميع الأرستقراطيين الموجودين في هذه الإمبراطورية. فما أكثرهم من ضحوا بأولادهم حتى لا يخسروا منصبهم! لكن أنت مختلف، أنت ضحيت بكل شيء حتى تنقذ أسرتك الصغيرة.

أبعد ڤيكتور يد جاك عن كتفه نافيًا كلامه:

ـ لست سوى لعنة على حياة من يلتقي بي، لا أعرف سر كرههم لعائلتي، أي ذنب هذا الذي ارتكبَته حتى تباد كلها؟ ولما أنا الوحيد الذي نجى من تلك الإبادة؟ ألم تفهمها بعد جاك؟ بقيت حيًا حتى تستمر لعنتي في هذه الحياة للأبد، حتى أعيش في تعاسة أبدية.

تنهدت تيا فاقدة الأمل بتغيير أفكار والدها وقناعته، أي طفولة عاشها حتى يفتقد هذه الكمية من الثقة بالنفس؟ نطقت بعد صمت استمر لدقائق كانت ثقيلة على ثلاثتهم:

ـ أبي عليك أن تصعد إلى غرفتك وتستبدل ملابسك لأخرى جديدة، وتنظف يديك من آثار دماء باميلا العالقة عليهما، عليك نيل قسط من الراحة. أنهت جملتها محتضنة إياه بخفة.

خرج ڤيكتور من الغرفة صاعدًا للأعلى متجهًا إلى غرفته ليهنأ بالنوم الذي يفتقده منذ أسبوع.

حشرت تيا وجهها بين كفيها مختنقة بسبب حال والدها، أكان هكذا دائمًا لكن أحدًا لم يلحظه؟ أحست بالسرير من جانبه الأيمن يهبط للأسفل قليلًا، فعلمت أن جاك جلس بجانبها. كانت على وشك قول شيء ما، لكنه استبقها بقوله:

ـ لا تلومي نفسك على حاله تيا، لا أريد قول هذا لأنه سيؤذيك، لكنني أعلم أشياء عن والدك أنت لا تعلمينها.

رفعت تيا رأسها مطلة بعيونها الدامعة الراجفة، ردت:

ـ أعرف هذا، فهو لم يحكِ لي أي حكاية عاشها في حياته. أنا لا أعلم شيئًا عنه، لا أعلم سوى ما يتناقله الناس بينهم من قصصه، ولا أعلم حتى مدى صدقها.

عانق يديها بيديه ونظر إلى عينيها قائلًا:

ـ ربما لا تعرفين الكثير عنه، لكنني متيقن أنك على علم بأنه شخص جيد. وأقسم لك أن السبب الذي منعه من قص قصصه عليك ليس لأن ماضيه سيء أو شيء من هذا القبيل، بل لأنه لم يرد أن تكوني مقربة منه؛ فقربك منه سيؤذيك. كان يحكي لي كل شيء عنك، أنت بالذات، ونادرًا ما يذكر والدتك في أحاديثه. كنت أرى الحب يقطر من عينيه عند ذكره اسمك. على الرغم أنني لم أعرف براءته من قتل عائلتي سوى من أشهر قليلة، إلا أن علاقتنا أصبحت وطيدة بشكل سريع، وأصبحنا نعرف الكثير عن حياة بعضنا البعض. تيا لآخر عمرك، إن قررت الشك بأي أحد في حياتك، استبعدي والدك، فأنت لم تري أو تسمعي ما رأيته وسمعته منه عندما يحكي عنك. لا يفوت أدق تفاصيل شخصيتك، يحفظها عن ظهر قلب. لو تعلمين كم كنت أحسدك تلك اللحظات، وكم مرة نعتك بالغبية والجاحدة حين يشكو لي من ضيقته بسبب تعاملك معه. أتعجب من تصرفاتك وأتساءل أن كيف لها ألا تفهم أو تلحظ؟ كم وددت أن يكون لي أب كالڤيكونت ڤيكتور. صحيح أن والدي مات وأنا بعمر صغير، لكنني أتذكر جيدًا أنني لم أرَ نظرة نظرها لي مرة، تشبه خاصة الڤيكونت عند نظره لك أو حتى حديثه عنك. أستطيع القول أن أفضل لحظات حياتي الحالية هي تلك التي كانت بجانبه ومعه، كان يحنو علي، وكم تمنيت أن يكون حنوه علي كالذي يقدمه لك. لن تتخيلي لأي درجة أحسدك على والد مثله تيا.

لامس كلام جاك قلبها في مكان كان كالجرح، والكلمات التي قالها كانت ملحًا أحرقها وآلامها كثيرًا. تملص كفها من بين كفيه، وعقدت يديها معًا ناظرة لهما، وقد قررت الاعتراف أخيرًا، قالت:

ـ لربما لا تعرف عني هذا الشيء الذي سأقوله بعد قليل، ولا أبي يعرفه حتى.

صمتت هنيهة تتفحص تعابير وجهه، أعادت نظرها ليديها مردفة:

ـ أنا لا أستطيع معرفة ما أكنه من مشاعر للشخص الذي أمامي، سأحبك إن اهتممت بي وعاملتني بلطف، وسأكرهك إن فعلت أي شيء قد يغضبني، أو تصرف لا أحبه. لذلك لا يمكنني فهم مشاعر الحب. لا أستطيع أن أعرف ما هو الشعور الذي يجتاحك حين تحب شخصًا أو تكرهه. لا أدري إن كنت أحب أبي أم أكرهه، لا أدري إن كنت أحب أمي، أم أنني فقط كنت أتوهم مشاعر الحزن عليها، لا أستطيع تحديد إن كنت أكن لك أي نوع من المشاعر. فحين أصبت أبي، كرهتك بشدة. وعندما عالجتني، أحسست بالميول لك. وعندما وسوست لي نفسي بأنك تخدعني، خصوصًا بعد سماعي أنك من أعطيت باميلا الخنجر، مقتك بشدة. لا أدري لما أكترث لأمركم رغم أنني لا أمتلك مشاعر سوى تجاه نفسي. أجهل الشيء الذي يبكيني عندما تتعرضون للأذى، أذرف دموعًا وأشعر بانقباض أصاب قلبي، لكنني لا أستطيع تحديد مشاعري تجاهكم. أتألم يوميًا لأنني أخدعكم، كلكم تثقون بي وتحبونني وتهتمون لأمري، لكنني لا أقدر على الشعور كما تفعلون، أ..أشعر بأنني أخدعكم. لربما قد تحطم قلبك بعد سماع كلماتي، لكن أرجوك ألا تكرهني. تستطيع هجري، والانقطاع عني وإهمالي، لكن لا تكرهني؛ لأن أكثر ما يؤلمني هو أن يكرهني من كان يحبني.

أعاد جاك يمسك كفها الذي سحبته من بين يديه قائلًا:

ـ لا أدري بما سأجيبك حقيقة، ولكن يمكنني أن أستنتج من حديثك أنك فقط لا تعرفين ما هو معنى الحب والكراهية. أريد سؤالك بعض الأسئلة عني وعن ما تشعرين به بحضرتي، أجيبي بنعم أو لا، اتفقنا؟.

ـ حسنًا.

ـ أتشعرين بشيء من الراحة والدفء عندما أحتضن كفك كما أفعل الآن؟.

ـ نعم.

ـ أيمكنك تجاهلي إن وقعت في مشكلة عصيبة وأريد مساعدة من شخص ما؟.

ـ لا.

ـ هل ستلجئين لي عندما تشعرين برغبة في التكلم وإخراج ما يكتم صدرك؟.

ـ ربما.

ـ وأخيرًا، اقترب جاك منها فجأة وغرز عيناه بعينيها وتأكد أنه يرى نقش أكستاڤو فيهما، أردف بصوت منخفض دافئ: هل تتسارع خفقاتك بقربي هذا منك، ولكن هذه الخفقات لا تزعجك بل إنها تروقك؟ وهل أنت غير قادرة الكف عن التحديق فيي؟.

ازدرت تيا ريقها وأجابته ببطء:

ـ نعم.

احتضنها جاك وهمس في أذنها:

ـ تيا، هذا هو الحب!.

أحس جاك بشيء ساخن بلل عنقه، وما كان هذا سوى دموع تيا التي انهمرت تزامنًا مع قولها بصوت خنقته العبرة:

ـ لكنني لا أستطيع أن أشعر بالحب تجاهك أو تجاه غيرك.

سألها جاك بصوت مكسور:

ـ لماذا تبكين الآن تيا؟ لما تثقلين فؤادي بعبراتك؟ ما بال هذا التناقض الذي تملكينه؟

ـ أبكي لأنني كسرت قلب شخص أحبني بكل ما تعنيه الكلمة، ضحيت بحياتك لأجلي.

قال جاك مع بدء عبراته بالسقوط:

ـ لا تيا، أنت تحبينني، وأجوبتك دليل على ذلك.

ردت عليه تيا بصوت عال بين دموعها:

ـ أخبرتك أنني لا أعرف كيف أكن المشاعر لأي شخص! شهقت تيا عدة شهقات وأكملت: أنا لا أعرف كيف لي أن أحب شخصًا أو أكرهه. أنا وحش خال من المشاعر تجاه أي شخص، لا أحمل المشاعر إلا تجاه نفسي. أنا حتى لا يمكنني أن أحب والدي! أنا مجرد شخص أناني.

ابتعد جاك ممسكًا كتفيها، قال منفعلًا:

ـ أنكري ما تقولينه وستستطيعين أن تحبي كل من تريدينه على هذا الكوكب. أنتِ السبب، أنتِ من أقنعت قلبك بهذا الهراء، لا يوجد أحد لا يستطيع تزييف هذا القدر من المشاعر في مواقف عدة. لو كنتِ أفضل ممثلة في هذه البقاع، لما استطعت فعل كل هذا. أبعدي هذه الترهات عنك. توقف جاك عن الكلام فجأة، أنزل رأسه وأردف

بين شهقاته: أرجوك تيا، كلماتك كالسيوف تصيب قلبي فتؤلمه، وتحفر ندبة في معالمه. أنت..أنت مليئة بالمشاعر، أنت أكثر شخص عاطفي قابلته في حياتي، هذه ليست حقيقتك تيا، أنا أؤمن بذلك.

ـ لا جاك، لا تعش في هذا الخيال، لا ترفع سقف أحلامك، لا تؤمن بي وبقلبي، فأنا لا أستطيع نطق الكلمة التي تنتظر مني نطقها. لا أتذكر أنني قلتها لأحد من قبل؛ لأنها ثقيلة على لساني. آسفة جاك.

رفع جاك رأسه ونظر لها بطريقة أرعبتها نوعًا ما، أحست بقشعريرة سارت في جسدهاعندما التقت بعينيه. أمسك وجنتها ماسحًا دموعها بإبهامه، قال:

ـ لو كنت عديمة المشاعر كما تقولين، لَما شعرت بالأسف تجاهي. لا تقولي الكلمات وأنت تجهلين المشاعر. لا تبكي أمامي هكذا؛ فأنت مجردة من المشاعر. لا تحدثيني بذلك الصوت الدافئ، إن كنت لا تشعرين بشيء تجاهي. لا توجهي لي تلك الابتسامة التي عشقتها وأنت لا تكنين لي شيئًا. توقفي عن جعلي أغرق في حبك وأتعلق بك أكثر، قلبي لم يعد يتحمل الخداع بعد الآن. حاولت، حاولت تحمل الألم الذي سببته كلماتك، ظننت أن بإمكاني مساعدتك وإخراج مشاعرك، لكن يبدو لي الآن أن كلامك حقيقي.

استقام جاك هامًا بالخروج من الغرفة، نظر لها نظرة أخيرة قبل أن يدير مقبض الباب، قال:

ـ تأكدي تيا، أن كل ما تقنعين عقلك الباطن به، هو مجرد خيال لا وجود له. سيتأكد كلامي في المجزرة القادمة، سيموت أحد أحبابك بها لا محالة لذلك.

أنهى جاك كلماته خارجًا من الغرفة، سكنت تيا تحاول أن تسترجع ذكرياتها ومواقفها، وكيف كانت تشعر وقتها. أدركت وأخيرًا أن كلمات جاك حقيقية.

لم يعلمها أحد ما هي المشاعر، وكيف لها أن تفرق بينها، وتحددها تجاه شخص ما. نهضت تيا من السرير لاحقة بجاك، وهنا كانت الفاجعة. إنها لا تستطيع الوقوف على رجليها! حاولت النهوض مرة، مرتين، ثلاثة، لكنها كانت تسقط في الحال. صرخت باسمه عله لم يذهب بعد، لكن لم يجبها سوى صدى صرخاتها المفجوعة.

حاولت تهدئة نفسها وقالت:

ـ لا بأس. لا بأس تيا، إنه تأثير اللعنة. سيزول لا تقلقي تيا. رجعت تيا بجسدها للوراء مسندة إياه على الجدار. فكرت بطريقة تضيع بها وقتها، فلا يوجد أية كتب تستطيع قراءتها، أو أوراق وقلم تستطيع الكتابة والرسم عليها. جال في بالها خاطرة، لما لا تستخدم سحرها في تسلية نفسها؟ لوحت تاي بيدها في الهواء بطريقة عشوائية، كما كانت تفعل والدتها حين تصنع لها تلك النجوم المضيئة الصغيرة في الهواء، التي تداعب وجهها الصغير المتكور، كانت تدغدغها بشكل لطيف.

لم تستطع نسيان تلك اللحظات، رغم أنها في ذلك الوقت كانت قد بدأت في قول بعض الكلمات البسيطة. لم تفلح العملية بيد واحدة وطاقة ضئيلة، فاستعانت بالأخرى وضاعفت طاقتها. ظهر ضياء خفيف بعد ثوان قليلة، ثم بدأ بالتضاعف إلى أن ظهرت تلك النجوم الذهبية الصغيرة. تركتها تيا تحلق حولها مصدرة صوتًا محببًا لقلبها. بعد برهة من الزمن، انفجرت النجوم محدثة مجرة كاملة في الغرفة.

رسمت تيا ابتسامة خفيفة على شفتيها تحاول نسيان كل ما حولها، والاكتفاء بالتحفة الفنية التي صنعتها.

جاك،ڤيكتور... المعركة الحاسمة

بعد أن ترك جاك تيا وراءه وخرج بقلبه النازف، صعد السلالم التي كانت تأبى الانتهاء. وصل أخيرًا للحياة الواقعية، بعيدًا عن العالم السفلي الذي كان يعيش فيه، ميز القصر من أرضيته الرخامية المنقوشة ببعض الرسومات الصغيرة البسيطة، أضافت طابعًا حديثًا للقصر رغم بساطتها. تاه جاك في ممرات القصر لتشابهها، فأخذ يصعد سلالم تارة، وتارة أخرى ينزلها. ولحسن حظه، أثناء محاولاته للخروج من هذه المتاهة، اصطدم بسيباستيان. أمسكه جاك ناظرًا له كأنما يكون منقذه.

سأله سيباستيان:

ـ ما الذي تفعله هنا؟.

ـ أريد الوصول لمكتب ڤيكتور، أرجوك أخرجني من هذه المتاهة.

قهقه سيباستيان بخفة وأجابه مؤشرًا بإصبعه على باب قريب منهما:

ـ أترى ذلك الباب هناك؟ أنه مكتب الأرشيدوق.

شكره جاك واتجه إلى مكتب ڤيكتور، حتى يبدأ معه التخطيط للمعركة القادمة، أو بمعنى أصح، المجزرة القادمة.

طرق الباب ودخل على الفور، دون أن ينتظر إجابة الطرف الآخر، دلف للمكتب بابتسامة عريضة وقال:

ـ سيدي، ألم تقل أنك سترتاح قليلًا؟ لما أنت تجلس هنا؟.

تجاهل ڤيكتور الرد على كلامه، قال يقابل السؤال بسؤال آخر:

ـ أين تيا؟ ولما أنت خارج غرفتك؟.

جلس جاك على الكرسي المقابل لمكتب ڤيكتور وأجابه:

ـ بالنسبة لتيا، فلن أجيب. أما لما أنا هنا، فقد حان الوقت لنوحد جنودنا ڤيكتور.

ناوله ڤيكتور ظرفًا مملوءًا بالأوراق، دون أن يرفع رأسه عن الذي كان يحدق فيه.

أمسكه جاك مقلبًا إياه مستغربًا، سأل:

ـ ما هذا؟.

ـ صممت ميزانية للجنود، والخطة التي ستقوم عليها حربنا، وبالطبع تستطيع كتابة بعض الملاحظات عليها، ناوله قلمًا وأكمل: هاك، قلم لتكتب ملاحظاتك على الأوراق.

ـ أبهذه السرعة؟.

أخذ جاك القلم دون أن يعترض حتى لا يحصل شيء هو بغنى عن حدوثه. حملق بالظرف لحظات قبل أن يفتحه، قال:

ـ سأعود إلى جنودي وأناقش معهم الخطة، وسأقرأ هذه عندما أنفرد بنفسي وأتركهم حتى أرى من منهم معي ومن يريد الانسحاب.

هز ڤيكتور رأسه موافقًا، استقام جاك هامًا بالخروج، لكنه توقف ووجه سؤالًا أخيرًا لڤيكتور:

ـ أتملك دائرة سحرية في هذا القصر؟ أريد الانتقال عوضًا عن المشي تلك المسافات الطويلة.

أجابه ڤيكتور وهو معلق نظره على أوراقه:

ـ إنها في غرفتي، يمكنك الذهاب الآن.

خرج جاك باحثًا عن سيباستيان حتى يدله على غرفة ڤيكتور. بدا له أن من المستحيل معرفة مكان سيباستيان وملاقاته صدفة في هذا القصر الواسع، فخطرت في باله فكرة، لما لا يستعين بتيا؟ ويريد الاعتذار منها لتركها دون قول كلمة واحدة أو إخبارها عن أي شيء من الأعراض التي ستلازمها بعد فك اللعنة عنها، كما أن قلبه رق لها، فقد أحس بأنه قد قسا عليها عندما تركها. حاول أن يعود أدراجه إلى أن يصل إلى السلالم المنشودة، وقد نجح في ذلك. نزلها إلى أن قابل الغرفة، تردد لحظات قبل أن يدلف الغرفة، أدار مقبضها فاتحًا إياها، وأصابته الدهشة مما رآه في الغرفة، كأنها مجرة مصغرة تلألأت بالنجوم، وكواكب تسبح في فضاء سقفها، وأشياء غريبة لم يستطع جاك تفسير هيأتها.

لم يدم انبهاره سوى ثوان قليلة؛ لأن عيناه وقعتا على شيء يدعو للانبهار أكثر. كانت النجوم حولها، تحيطها من كل مكان، كأنما تشكل حاجزًا يحميها من أي شيء قد يأتي. عرف منذ أن نظر إليها أنها كانت تحاول الخروج، لكن مفعول الشلل لم يختفِ بعد. كان ولأول مرة، يرى ابتسامتها واسعة لتلك الدرجة. أهي مستمتعة بهذا الشيء كثيرًا، لدرجة أنها لم تنتبه أنه وصل منذ دقائق؟ أحس جاك ببعض الانزعاج لأنها لم تشعر بوجوده، تقدم مقتطب الجبين والحاجبين، جلس على يمينها وقال:

ـ أتصطنعين عدم المعرفة بوجودي؟ أم أنت حقًا لم تلحظي؟.

أدارت تيا وجهها وتلاقت أعينهما، تواصلت مع بعضها البعض لبرهة، أشاحت بنظرها عن عينيه وأجابته:

ـ شعرت بيدك وهي تدير المقبض، لكنني اخترت الصمت عوضًا عن الكلام.

ـ لما فعلت ذلك؟.

ـ لأنني محرجة منك. أدركت أنني لم أعِ ما هي المشاعر وحسب، لكنني كنت أستخدمها دائمًا. صمتت قليلًا، ثم أعادت تناظره مردفة: جاك، أعتذر إن كنت قد جرحت قلبك ذلك الوقت، كنت محتاجة للصفعة التي تفوهت بها؛ حتى أدرك ما أنا عليه.

ابتسم لها جاك بخفة دون أن يضيف شيئًا. وقف ممسكًا بيدها مساعدًا إياها على الوقوف، افلتت تيا يده بسرعة وقالت:

ـ لا! إنني مشلولة.

ـ لا تقلقي، لقد ذهب.

أعادت تيا إمساك يديه ببطء، رفعها الآخر مسندًا إياها على كفيه حتى تستطيع الوقوف. وقفت أمامه متمسكة بيديه حتى لا تفقد توازنها، قالت تيا بين ضحكاتها رافعة شعرها القصير الذي ازداد طوله قليلًا بيدها اليمنى:

ـ رباه! ظننت أنني شللت لآخر العمر.

ابتسم جاك لها ساحبًا إياها إلى حضنه معانقًا إياها بقوة، قال شارحًا سبب وجوده:

ـ تيا أريدك أن تدليني على غرفة والدك، سأرحل اليوم.

ابتعدت تيا لكنه أعادها بحركة سريعة، قالت:

ـ إلى أين ستذهب؟ وما شأن رحيلك بغرفة أبي؟.

ـ إن الدائرة السحرية التي تمكنني من الانتقال موجودة في غرفته.

ابتعدت تيا ممسكة بيده جارة إياه وراءها، قالت:

ـ اتبعني.

ارشدته تيا إلى غرفة والدها، كان طريقهما ساكن بشكل مريب. لا أصوات لكلمات تخرج من أفواه أصحابها، كان جاك يحاول التمسك بيدها بقدر ما يستطيع، لا يريد أن يبتعد عنها، ليس مستعدًا ليفارقها.

وصلا إلى الغرفة، فتحتها تيا ودلفا معًا إليها. أفلتت يدها من يده، تقدمت في الغرفة إلى أن توقفت في مكان ما، قالت:

ـ هنا... إنها هنا.

خطى جاك خطواته ذاهبًا إليها حيث تقف، عناقها مرة أخيرة شادًا العناق حاشرًا إياها في أضلاعه، قال بنبرة تخللتها بعض الدموع:

ـ لم أستطع قضاء الوقت معك كما كنت أريد، كنت أريد أن أضمك أكثر، وأن أتأملك أكثر، وأن أسمع صوتك أكثر وأكثر، لم أكتفِ منك بعد. سأشتاق لك شوقًا معذبًا، أحبك تيا، أحبك كما لم يحب محبًا حبيبه قبلًا، أحبك بأعماق المحيطات، وباتساع هذا الكون، أحبك لآخر خفقة في عمري، أحبك لآخر نفس سأتنفسه في هذا العالم. أنهى جاك كلامه شادًا العناق أكثر، لا يستطيع تقبل فكرة تركها هكذا بعد أن كانت أول وجه يراه عند استيقاظه صباحًا، وقبل نومه ليلًا.

ربتت تيا على كتفه متحملة ألم عناقه الذي كسر عظامها، قالت:

ـ سأنتظرك إلى أن تنتهي هذه الحرب، ستجدني مكاني لا زلت أنتظر. انتبه لنفسك، واحمي أبي، إنني أثق بك.

فصل جاك العناق وأبعدها عن الدائرة التي سرعان ما توهجت عند تدفق القليل من المانا في جسد جاك. تلا جاك التعويذة وهي التي ستنقله إلى حيث يريد. نظر لها نظرة أخيرة قبل أن يدلف الدوامة الزرقاء ويختفي عن أنظارها.

جاك

" فارقتها وقلبي ينزف لفراقها، لكن علي حمايتها وحماية عائلتها المتبقية لها. سأعود لها بنصر يكون هدية حبي لها. تلك الحركات العفوية التي تفعلها، كانت كالألعاب النارية تندلع في قلبي. لا أدري مصدر تلك الجاذبية التي تتمع بها، كيف لشخص أن يكون بهذا الكمال؟ كل لحظة معها، كل مرة أمسكت بها بيدي، أشعر بأنني ملكت العالم وما فيه، رغم أنها مجرد يد أمسكت خاصتي! تسألني إن نسيتها ولم أتعرف عليها عندما تقابلت أعيننا بعد كل تلك السنوات، كيف سأجيبها؟ أقول أنني كنت أرسمها حتى لا تختفي ملامحها من ذاكرتي؟ أم أنني في مرحلة بت أتخيل ملامحها عندما كبرت؟ أم أنني قبلت الهدنة مع والدها فقط لأنني أريد البقاء بجانبها ولمحها في كل مرة سنح لي القدر بفعل ذلك؟ أتريد مني أن أظهر لها جانبي المهووس بها؟ لم أكن أصدق أن الحب يعمي صاحبه، إلا عندما رأيتها، فقد أعمت بصيرتي فعلًا. كيف لي أن أنسى عيونًا لاحقتني في أحلامي؟ كيف لي نسيان أول من أحببتها والتي لن أحب غيرها مهما حاولت؟.

وصلت إلى الغابة التي اعتدت أنا وجنودي العيش فيها إن صح القول. كنت أمسك بالظرف الذي أعطاني إياه ڤيكتور، كان علي أن أغوص قليلًا في الغابة حتى أجدهم. ترى كيف هو حالهم؟ كيف ستكون ردة فعلهم عندما يروننني أمامهم؟ سرت في تلك الغابة وطيلة الطريق كنت أتخلص من الشجيرات والأشواك التي كانت تعلق في عباءتي، لا أدري لما أرتديها حتى؟ وصلت إلى حيث يقطن جنودي، بصراحة... اشتقت لهم. كانوا إخوة أكثر من مجرد جنود وأصدقاء. لمحت أحدهم ممسكًا بزجاجة نبيذ يستعد لسكب محتواها في كأسه وكؤوس رفاقه، التقطت حجرًا صغيرًا وصوبته في منتصف صدره، صرخت به ناهرًا: يمنع الشرب أثناء التدريب أيها الجندي. نظر الجميع إلى مصدر الصوت والذي كان أنا، نظروا بأعينهم إلي غير مصدقين ما يرونه، لا يصدقون أنني حي!. تعالت أصواتهم مرحبين برجوعي لهم. من بين جميع الأصوات، ميزت صوتًا يستحيل علي نسيانه، فقد كنت أنام وأستيقظ عليه. صرخ ذلك الصوت وهو يركض نحوي: سيدي، لقد اشتقت لك. ومن غيره دانييل؟ فتحت يداي مرحبًا به في عناق طويل. مهما انزعجت منه، لا أستطيع نكران أنني بدونه لا شيء، إنه أكثر ما يكون من يدي اليمنى. ابتعد عني وبدأ بتفحصي. قلت له مبتسمًا:

ـ لا تقلق، لم يؤذنِ ڤيكتور. كنت أعامل كإنسان في ذلك القصر.

ـ لكن يا سيدي، كيف استطعت النجاة؟ جميعنا ظننا أنك قد أسرت.

تقدمت بصحبته مقاربًا أكثر من الجنود، قلت محاولًا تمهيد موضوع التحالف:

ـ قائدكم هذا قد أسر قلبه لا جسده، ومن أسرته، حتى أتمكن من الحصول عليها، علي شن مجزرة لم تشهدها أكستاڤو في تاريخها كله، وإلا فأنني سأموت عاشقًا معذبًا، لا محاربًا ضحى بحياته لأجل وطنه وحبه.

سألني أحد الجنود:

ـ ومن هذه الحسناء التي تجرأت على أسرك سيدي؟.

ترددت لبرهة قبل أن أجيبه:

ـ إنها تيا ڤيكتور دادلي، أجمل من ولد على أرض هذه البلاد.

تهامس الجنود فيما بينهم، وكنت أسمع هذه الهمسات. نظر لي دانييل متعجبًا، وقال:

ـ سيدي، كيف لك أن تحب ابنة الشخص الذي قتل عائلتك؟.

صحت بصوتي مجاوبًا على سؤاله حتى يسمع الجميع ويعي الحقيقة:

ـ الأرشيدوق ڤيكتور لم يقتل عائلتي، ولا شأن له بمقتلهم. لدي أدلة كافية لاثبات هذه القصة. أريد تعاونكم حتى نحرر هذه البلاد من قبضة الطاغية فرانكلين، وحتى لا يؤسر موطننا الصغير من قبل أغلاله، وأصبح عاجزًا في هذه الحياة. ما قولكم أيها الفرسان؟.

قالوا بصوت واحد:

ـ نفدي قائدنا بأرواحنا.

رسمت ابتسامة علامة للرضا وقلت:

ـ سندرس أنا و الأرشيدوق ڤيكتور الخطة، وعندما نصبح على أهبة الاستعداد، سأطلعكم عليها بالتفصيل. لا أريد منكم الآن سوى أن تبذلوا جهدًا في التدريب حتى نفوز بهذه الحرب.

صرخوا بكلمات الموافقة والتشجيع، شعور غريب اجتاحني تلك اللحظة، أحسست أن لي عائلة تنتظرني دائمًا، ومستعدة لتساعدني مهما كلف الأمر.

انتشلني دانييل -كالعادة - من لحظة سرحاني قائلًا:

ـ خيمتك ما تزال موجودة سيدي، لقد حافظت عليها؛ لأنني كنت متأكدًا أنك ستعود إلى هنا يومًا ما.

طبطبت على كتفه شاكرًا إياه، ثم اتجهت إلى خيمتي حتى أقرأ الخطة التي وضعها ڤيكتور وأضيف عليها ملاحظاتي".

مرت ثلاث أشهر، وكانت مليئة باللقاءات والرسائل بين ڤيكتور وجاك، في كل مرة يراجعان الخطة، يكتشفان ثغرة سهيا عنها. درب الاثنان جيشهما بشدة، فقد أحسا أن الخطر بدأ بالاقتراب. شارك ڤيكتور خطته مع صديقه المقرب والد لواف ولواف ذاته، كما شاركها جاك مع دانييل. وبعد أربعة أشهر، وأخيرًا اكتملت خطتهم وأصبحت مثالية من كل الجهات. بدأ الإثنان بتدريب جنودهما وفق ما خططاه، وما زال الانقلاب على فرانكلين سرًا مكتومًا لا يعرفه سوى ثلاثة غيرهما.

في قصر ڤيكتور، قبل الحرب بثلاثة أيام

ـ هيا بحقك أبي، دعني أساعدك أرجوك. أبي أنظر إلي، أرجوك أتوسل إليك أن تقبل مساعدتي.

كانت تيا تزعج ڤيكتور لمدة أسبوع كامل حتى يوافق على عرضها مساعدتها. بدأت تظهر له من العدم في كل مكان، المكتب، غرفة النوم، غرفة الطعام، معسكر التدريب، قاعة الاجتماعات... إلخ.

توقف ڤيكتور عن المشي وقال متنهدًا:

ـ تيا، لقد أتعبتني حقًا، لن أتراجع عن قراري برفضك قطعًا، لا يزال جسدك في وضع غير مستقر.

فكرت تيا في نفسها قليلًا: " ما الذي علي فعله؟ من الواضح أن أبي يصر إصرارًا تامًا ويحال لي إقناعه. سأنتقل للخيار الثاني والذي كنت أفضل عدم استخدامه".

وضعت تيا يدها على رأس والدها ونظرت في عينيه، كانت مستعدة لتنفيذ سلاحها الأخير وهو تعويذة تمكنها من إقناع الذي أمامها. أدار ڤيكتور عينيه متململًا مبعدًا يد تيا عن رأسه، قال بقلة صبر:

ـ لن تنفذ حيلك علي، فقد أصبحت حساسًا لها؛ لأن والدتك لم تكن يومًا تكف عن استخدامها، أصبحت لدي مناعة منها.

تأففت تيا وقالت ضاربة الأرض برجلها:

ـ بحقك أبي، لقد سئمت من ملاحقتك في كل مكان لمدة أسبوع، اقبل مساعدتي ودعنا ننهي هذه الملاحقة.

أدارها ڤيكتور حيث أصبح الآن خلفها لا أمامها، أمسك كتفيها قائلًا:

ـ لن تحققي مرادك إلا إن ظهرت معجزة لا تخطر على بال أحد. دفعها ڤيكتور إلى الأمام مكملًا: والآن اذهبي وأكملي صفوف التطريز.

أنزلت تيا رأسها مستسلمة مكملة طريقها حيث قال لها والدها أن تذهب.

ـ ألست قاسيًا قليلًا أيها الأرشيدوق العظيم؟. همس جاك في أذنه والذي أصبح هو الآخر يظهر له من العدم.

انتفض ڤيكتور فزعًا، أمسك قلبه وقال غاضبًا:

ـ أيها الـ... لم أعد صغيرًا! هذه الدعابات قد تجعل قلبي يتوقف.

ـ كفاك مبالغة، لقد شهد قلبك ما يفزع أكثر من ظهوري المفاجئ.

حرك ڤيكتور رأسه فاقدًا الأمل، قال:

ـ أعتقد أنني سأجن بسببكما. كيف لكما أن تتشابها لهذه الدرجة؟.

ـ آه بالمناسبة، لم يأتِ جونوثان ولواف اليوم؟ أعتقد أن اليوم هو موعدنا أليس كذلك؟.

ـ هما لم يصلا بعد، لكنهما آتيان.

ـ دعنا نبدأ المناقشة الأخيرة قبل أن يأتيا، أريد أن أطلعك على شيء ما... أنت وحدك.

ـ لنذهب إلى مكتبي.

أومأ جاك برأسه واتبع خطى ڤيكتورإلى أن وصلا إلى مكتبه.

فتح ڤيكتور الباب دالفًا إلى المكتب قبل جاك، قال تزامنًا مع ذلك:

ـ إذن، ما هو ذلك الشيء شديد السرية الذي تريد إطلاعي عليه سيد جاك؟.

أخرج جاك مرسولًا، وتعرف ڤيكتور عليه فور رؤية لونه. إنه من فرانكلين.

قال مخفيًا توتره:

ـ ما هذا؟.

أجابه جاك مادًا المرسول أمامه حتى يأخذه، قال وهو يعلقه في الهواء:

ـ إنه إنذار من فرانكلين، والغريب أنه كان يخاطبك أنت لا أنا، لم أجد سببًا منطقيًا يفسر سبب إرساله لي بدلًا منك.

أخذه ڤيكتور وبدأ في القراءة. استوقفته آخر جملة كتبت في المرسول: " حذرتك وأنت حر في تحديد إن كنت ستكمل أولًا، وافتح عينيك على مصراعيها، من أخبرني بما تنوي فعله أنت وذلك الساحر المتيم بابنتك، إنه أقرب مما يمكنك تخيله، إنه أشبه بظل لك يستحيل لك توقع منه شيء كهذا".

قال ڤيكتور محتارًا:

ـ من قد يخونني؟ لا أحد من الجنود يعرف، فمن المستحيل أن يكون جنديًا. حتى سيباستيان لا يعلم بشأن الإنقلاب. غيرنا نحن الإثنان، لواف، دانييل، و... وجوناثان.

تصنم ڤيكتور لوهلة إثر صدمته. لا لا، يستحيل أن يخونه جون، لكن إذا أعاد النظر من ناحية أخرى، جوناثان يفعل المستحيل ليكسب رضا الإمبراطور.

فرت من ثغره ضحكة ساخرة، أردف منكرًا:

ـ محال!، لا يمكن أن يخونني جوناثان.

قال جاك بتردد:

ـ أ.. أنا كنت سأخبرك بهوية الخائن عندما تنهي المرسول، لكن...

ـ لكن ماذا؟.

ـ يبدو أنك عرفته قبل أن أقوله.

قال ڤيكتور منفعلًا يحاول عدم تقبل الحقيقة:

ـ كيف لك أن تعرف إن لم تره بأم عينك؟.

عض جاك شفته، قال بأسف على حالة ڤيكتور:

ـ القنبلة هي أنني رأيته بأم عيني.

لا مفر له بعد الآن، لا يمكنه الإنكار أكثر من ذلك.

ـ كيف له أن يكون حثالة لهذه الدرجة؟ أعلم أنه طماع في كسب رضا اللعين فرانكلين، لكن لم أتوقع يومًا أن يبيعني ويخونني لأجله.

نظر ڤيكتور لجاك الذي كان من الواضح أنه يكتم صدمات أخرى في جعبته. أردف يحثه على الكلام: قل ما عندك من باقي، دعني أنصدم بكل شيء في الوقت نفسه إختصارًا للوقت.

قال جاك بصوت منخفض:

ـ هو من ساعد فرانكلين على حبسك في خاتمه، هو الذي... هو الذي أحضر من ألقى عليك السحر أو اللعنة أيًا كان. جوناثان، لم يعتبرك صديقًا له ولا لمرة واحدة. كان صديقك حتى تخلصه من أخطائه الكثيرة في عمله، صادقك حتى تنظف الفوضى التي يحدثها. جوناثان تقرب منك بأمر من الإمبراطور قبل حتى أن يحكم أكستاڤو، لقد نشأ وهو يتبع أوامره، كان مساعدًا في عملية إبادة عائلتك. توقف جاك قليلًا محاولًا ترتيب جملته الآتية، ومعطيًا المجال لڤيكتور حتى يتمالك نفسه، أكمل: وهو ذاته المقنع الذي كان يحاول قتلك ذلك اليوم.

ضحك ڤيكتور، تعجب جاك من ضحكه المفاجئ، قهقه بتقطع، ثم انهمرت عبراته مع قوله:

ـ آه حقا، لا بد أنها وراثة أخرى. لم تشهد عائلة دادلي صديقًا وفيًا قط. أنا، أمي، أبي، إخوتي، وحتى ابنتي، جميعنا سيؤوا الحظ عندما يتعلق الأمر بالصداقة.

اقترب جاك منه واحتضنه مربتًا على كتفه يتقاسم ألمه علّه يقل.

ـ شكرًا لك جاك، أنا فعلًا مرتاح لأن شخصًا مثلك موجود في حياتي. أستطيع الموت في الحرب وأنا مطمئن؛ لأن وجودك بالقرب من تيا يبعث الراحة لقلبي.

ـ لا تقل هذا، فأنا سأموت على يد تيا إن فشلت في حمايتك. لقد هددتني في آخر لقاء لنا، في اليوم الذي عدته فيه للمعسكر.

قهقه ڤيكتور بخفة ثم ابتعد عن جاك عندما أحس بخطوات تقترب من المكتب.

سأل جاك:

ـ هل أخبره أنني أعرف؟ أم أتصرف بشكل طبيعي؟

ـ عليك أن تخبره، لكن ليس الآن. عندما أخرج مع لواف أخبره، دعنا لا نخيب أمل ولد بوالده.

أومأ ڤيكتور برأسه دلالة على الموافقة.

طرق جوناثان الباب، وصله صوت ڤيكتور سامحًا له بالدخول. دخل جوناثان المكتب معانقًا ڤيكتور بحرارة كما يفعل عادة، لكن لاحظ لواف الذي كان خلف والده وجه ڤيكتور المصدوم. استغرب من ملامحه وعدم مبادلته سلام والده الحار كما كان يفعل. أحس بشيء غريب يطوف حولهم في الجو، راوده شعور سيء. أراد الانسحاب من هذه الأجواء. انتبه له جاك، فتقدم ممسكًا إياه يمنعه من الخروج. جلس أربعتهم على الأرائك الموجودة في مكتب ڤيكتور، وبدأت المناقشة الأخيرة بينهم. يبدو أن جوناثان لم يكن فطنًا كولده، فقد لاحظ لواف أن ڤيكتور أصبح متكتمًا وحريصًا جدًا في هذا اليوم. كان يصمت بين الجملة والأخرى، وكأنه يقلب الجملة في عقله، أيقولها أم لا؟ توقف ڤيكتور عن الحديث، فقد قال كل ما شعر أنه ليس ذا أهمية كبرى. فهم جاك صمته، فأمسك لواف من يده وهمس له:

ـ علينا الخروج وتركهما لوحدهما قليلًا.

لم يعترض لواف أبدًا، بل كان مرتاحًا لأن جاك قال هذا، فالجو أصبح خانقًا جدًا. وقف الاثنان معًا، قال جاك:

ـ نستأذنكما الآن، نريد أن نمر على تيا قبل العودة من حيث جئنا.

خرجا من المكتب، لكنهما لم يتحركا عن الباب.

سأله لواف مستغربًا:

ـ لما لا زلت تقف هنا، دعنا نذهب.

ـ اذهب أنت واجلس مع تيا، لا أريدك أن تشهد ما سيقال الآن.

كاد لواف أن يعانده، لكنه اختار الجلوس برفقة تيا، والذي بدا له أفضل من استراق السمع كما سيفعل جاك. والحقيقة أن جاك لم يكن يسترق السمع، خاف أن يتهور ڤيكتور أو جوناثان ويؤذيان بعضها، أراد البقاء حتى يتدخل إن حصل وحدث بينهما شيء.

ڤيكتور

" لا أدري كيف علي أن أخبره، أنا محتار. حدقت به لفترة من الزمن، نطق هو أولًا كاسرًا حاجز الصمت بيننا:

ـ ما الخطب ڤيكتور؟.

ازداد ألمي من كلماته، كيف يستطيع أن يكون منافقًا لهذه الدرجة؟ وقفت وخطوت متجهًا بخطواتي للنافذة، لم أتحمل رؤية وجهه أكثر. أشعر بالإشمئزاز كلما نظرت إليه. وصلت إليها، فرحت أتأمل النافورة وما يحيطها من أزهار بينما أقول:

ـ كيف لك أن تفعل هذا بي؟ هل أبدو ساجذًا بالنسبة لك؟ أحقًا لا أعني لك شيئًا؟ برأيك من الذي ساعدك لتكون ما أنت عليه اليوم؟ تخونني من أجل تلك الحشرة التي تدعى فرانكلين؟ وقتلت عائلتي ثم حاولت قتلي! كيف لي أن أنظر لك بشكل طبيعي بعد اليوم؟ أنا حقًا غدوت أشمئز منك، ومن سماع صوتك، ومن رؤية وجهك، وحتى من لفظ اسمك وذكره. أصبحت لا أطيقك جوناثان كارتلوس. نظرت لانعكاسه على زجاج النافذة مكملًا: أخرج من هنا ولا تعد، اذهب وانضم إلى سيدك، ولا تقحم لواف في مشكلتك تلك؛ لأن فيه ذرة خير، ليس مثل والده.

تمنيت أن يجيبني بكلمات تحمل القليل من الندم، لكن حصل عكس ما توقعت. نهض عن الأريكة مبتسمًا، وخرج من المكتب دون أن ينبس بشيء. ابتسامته كانت أشبه بابتسامة عبد حرره سيده من قيوده، شعرت بابتسامته أنني كنت أقيده، ولكن أليس فرانكلين هو الذي يعامله كما العبد؟ لما ينظر ويبتسم لي بهذا الشكل؟. كانت تلك المرة الأولى التي أشعر بها بالكره تجاه نفسي لهذا الحد. لوهلة، كنت أريد قتل نفسي، ومحو كل ما يتعلق بي في هذا الكون ".

المعركة الأخيرة (الهلاك)

استعد جنود أكستاقو عندما وصلتهم أخبار تعلن عن وصول جيش العدو للوطن. استعد السحرة ومصاصوا الدماء، وقد تم توزيعهم على حدود أكستاقو كلها، أخذ ڤيكتور احتياطاته حتى لا يدع لهم ثغرة يدخلون منها إلى البلاد. تقدم ڤيكتور جنوده وهو ممتطي حصانه، قال مذكرًا:

ـ اليوم، إما أن نهلك في هذه الحرب أو ننتصر. كما منعنا سابقًا الجميع من احتلالنا، سنمنعهم مرة أخرى، ونحمي هذا الوطن منهم. أعلم أن هذه الحرب أصعب من أي واحدة قد خضناها سابقًا، لكن لدي شعور أننا سننتهي منها منتصرين، وسيرجع كل منا لأحبته الذين ينتظرونه. تحلوا بالعزيمة والإصرار والشجاعة، تخلوا عن عاطفتكم حتى تنتهي الحرب، فما من شيء يهز محاربًا سوى عواطفه. منذ الآن وحتى أجل مجهول، أعلن عن بدء معركة الهلاك؛ فهي حتمًا ستكون هلاكًا لإحدى الإمبراطوريتين.

نكز ڤيكتور حصانه حتى يتحرك بعد إنهائه لخطابه القصير. تتابعت من وراءه أحصنة الجنود تسير على خطاه. اتجه ڤيكتور وجنوده من السحرة ومصاصي الدماء إلى الحدود الشمالية، وهي أكبر الحدود من حيث المساحة.

بينما قاد جاك الجنود إلى الحدود الجنوبية؛ فهو يعرفها ويعرف ممراتها التي قد يغفل عنها الجنود، فقد عاش أكثر أيامه بها، ويحفظها شبرًا شبرًا. تولى سيباستيان قيادة الجنود الموكلين بالحدود الغربية، ولواف قاد الشرقية. والحدود الفرعية، عين ڤيكتور على كل منها واحد من نخبة مجموعته. وكي يريح ڤيكتور رأسه من إصرار تيا على تقديم المساعدة، جعلها مسؤولة عن المؤن التي عليهم توصيلها للجنود. رغم عدم موافقتها لاختياره مهمة بسيطة كهذه، لكنها وافقت لأنها على علم أنه لن يعطيها أكثر من ذلك.

وصل ڤيكتور وجنوده إلى الحدود الشمالية، بدأ بمساعدة جنوده في بناء الساتر، ونصب الخيم التي سيخبئون بها قُوتهم وذخيرتهم. أنهوا كل شيء وانتقلوا إلى مرحلة تجهيز الأسلحة وارتداء دروعهم التي تحميهم من بعض الهجمات، هذا بالنسبة لمصاصي الدماء. أما السحرة، فكانوا يصنعون الحصن الذي سيقيهم قليلًا من هجمات العدو، وبعضهم كانوا يجهزون دوائر السحر التي قد يحتاجونها في بعض التعاويذ القوية.

جلس ڤيكتور على صخرة كبيرة توسطت تلك الأرض القاحلة. بدأ بإعداد بارودته ومسدسه، تأكد من تعبئة الرصاصات بشكل كامل، وأنهى تجهيزه بربط حزامه المليء بالذخيرة في حال نفذت منه أثناء القتال، وعلق سيفه في ظهره. الآن، يمكنه أن يقول أنه على أهبة الاستعداد.

صرخ أحد السحرة فجأة:

ـ أرشيدوق، لقد وصلوا. إنهم لا يبعثون شعورًا جيدًا. تتدفق المانا منهم بشكل مخيف.

قال ڤيكتور مخففًا خوفهم:

ـ لا تقلقوا، لن نهزم بسهولة.

بدأ الجميع بأخذ مواقعهم التي قد نوقشت سابقًا، أعلن جيش كريستلوف وصولهم بإطلاق أحد سحرتهم كرة ملتهبة في السماء.

قال أحدهم بصوت يملؤه الحقد:

ـ لن نرحم أحدًا قتل ساحرًا من سحرتنا، وما يزيد الطين بلة، أنها ليست ساحرة عادية، بل أفضل ساحرة بيضاء ولدت في إمبراطوريتنا.

رد عليه ڤيكتور بصوت أعلى:

ـ وأنا لا أرحم من قتل المرأة الوحيدة التي خفق فؤادي لها، ولعن ابنتي وأفقدها وعيها بسبب اللعنة. والأهم من هذا كله، أنا لا أرحم من يخون أبدًا.

أنهى ڤيكتور كلامه بادئًا الحرب بإطلاقه لأول رصاصة فيها. تتابعت من بعده أصوات إطلاق النار. استمرت الإمبراطوريتين بالحرب لمدة ستة أشهر، مات الكثير للطرفين، ومنهم من قرر الانسحاب حفاظًا على حياته، فلا أحد سيعيل عائلته إن مات. خلال هذه الأشهر، لم يرسل ڤيكتور أي رسالة إلى تيا، رغم أنها كانت ترسل له كل أسبوع واحدة. وحده جاك من كان يراسلها، ولكنها لم تكن رسالة حقيقية. ففي كل مرة ترسل له، يرد عليها برسالة تتكون من ثلاث كلمات: "أنا على قيد الحياة". كانت الأوضاع تشير إلى أن النصر لصالح أكستاڤو. على الرغم من أن جيش كريستلوف يتكون من سحرة ماهرين، إلا أن باقي الجنود بشر عاديون. في المقابل، يتكون جيش أكستاڤو من مصاصي الدماء والسحرة، وكلا العشيرتين قواها مرعبة بحق، فما بالك عندما تتحد هاتين القوتين سويًا؟. وبعد مرور شهر إضافي على الستة أي الإجمالي سبعة أشهر، والتي تألق فيها ڤيكتور بتصويباته المثالية، وتوقعاته التي لم تخب مرة، وخططه المحكمة والتي لم تفشل مرة، شاء القدر أن ينهي هذا التألق. استطاع الجنود الذي قادهم ڤيكتور النصر على كريستلوف، لكن ثمن هذا النصر كان حياة ڤيكتور. كان أحد السحرة يقف في مكان غير مكانه، وأحد جنود كريستلوف لم يكن ميتًا بعد، أمسك مسدسه مصوبًا إياه باتجاه ذلك الساحر. لاحظه ڤيكتور، وركض مسرعًا يقف أمامه يحميه، وأصابته الرصاصة التي كانت مصنعة بالماء المقدس، أصابته في قلبه، وقضى نحبه.

كان قد انضم إليه سيباستيان بعد أن انتصر مع جنوده، وأسرع بقتل ذلك الجندي، وتأكد من أن أمره قد انتهى. ظن أنه أطلق النار وأماته قبل أن يطلق رصاصته تجاه

الساحر، لم يلحظ ڤيكتور الذي تلقى الرصاصة عوضًا عنه. عندما التفت ليخبره بفرحته بانتصارهم، وجده مغطى بالدماء ساكنًا في مكانه. تقدم سيباستيان دافعًا الجنود الذين تجمعوا حوله، صرخ بأعلى صوت له:

ـ ألا يوجد هنا ساحر شفاء؟ ما فائدتكم إن لم تستطيعوا إنقاذه؟ لقد مات وهو يحمي أحدكم!.

قال واحد منهم:

ـ أنا ساحر شفاء، لكنني لا أستطيع إنقاذه؛ لأن الرصاصة مصنعة من الفضة وحقنت بالماء المقدس. حتى السيد جاك لن يستطيع إنقاذه.

عانق سيباستيان وجهه بين يديه وأجهش بالبكاء. وبينما الجميع يبكون على فقيدهم، وصل جاك ولواف. استغربا سبب تجمع الجنود في بقعة واحدة، وقلة منهم يقفون بعيدًا، لكنهم يبكون! نزل جاك من على خيله مسرعًا، توجه إلى تجمعهم، ورأى ذلك المنظر الذي سمره في مكانه، قال بعينين جاحظتين:

ـ لا، هذا مستحيل. يستحيل أن يموت ڤيكتور. إنه يدعي الموت لا تصدقوه!

وقعت عيناه على ساحر الشفاء الذي عينه في مجموعة ڤيكتور، رفعه من ياقة بزته وصرخ به:

ـ لما لم تنقذه قبل أن يموت؟ لقد عينتك هنا لتحميه، لكنك تركته يموت هكذا بكل بساطة؟.

أجابه الساحر مدافعًا عن نفسه:

ـ لكن سيدي، الرصاص من الفضة والماء المقدس، لا مفر من موته، حتى أنت لا تستطيع إنعاش قلبٍ مات مسبقًا.

انفجر جاك في وجهه:

ـ كنت تستطيع الحفاظ على حياته باستخدام التعويذة المحرمة.

ـ سيدي، لا يمكن لأحد أن...

بتر جاك كلامه وزاد من حدة نبرته:

ـ جميعنا نستطيع استخدامها دون أن نموت، لقد استخدمتها أنت ثلاث مرات، الآن أصبحت غير قادر على استخدامها؟ ما سبب تعيينك هنا؟ لأنك متمكن من استخدامها. وكررت أن عليك حمايته بأي ثمن!.

كاد جاك أن يهشم ذلك الساحر، إلا أن يد لواف أوقفته. قال يحاول تهدئته:

ـ عاقبه فيما بعد، علينا إكمال خطة الأرشيدوق؛ حتى تصعد روحه للسماء سعيدة لتخلصنا ممن عذبه طيلة حياته. توقف لواف وأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يكمل: وأنا أعرف ما فعله والدي، ولقد طردت من المنزل لأنني أخترت أن أكون وفيًا للأرشيدوق عوضًا عن اتباعه وخيانة الأرشيدوق كما فعل هو.

نظر له جاك قليلًا وهو يلهث من الغضب، أبعد يد لواف عنه بقوة وصرخ معلنًا:

ـ حربنا لم تنتهِ بعد، يوجد من علينا قتله. فرانكلين، سنقتل فرانكلين الذي ملأ حياة ڤيكتور بالخوف والرعب والتعاسة والبؤس، من سيكمل معنا الطريق، فليرفع سيفه، ومن يريد الإكتفاء لهذا الحد، ليتجه إلى هذه الصخرة. أشار جاك في نهاية حديثه إلى أكبر صخرة في المكان.

انصدم الثلاثة عندما رفع جميع الجنود سيوفهم، لم يذهب أحد منهم إلى الصخرة.

قال سيباستيان بصوت عالي:

ـ لننل منه.

تعالت صرخات الجنود من بعده، وبدؤا بامتطاط خيولهم متجهين إلى القصر الإمبراطوري. وصلت أخبار النصر إلى فرانكلين وشعب أكستاڤو جميعًا، لكن لم تصل أخبار الإنقلاب القادم. فقد توقع فرانكلين أن موت ڤيكتور حطم كل شيء، وأن العائق الوحيد الذي كان أمامه في استكمال نسل عائلته بالحكم بعد أن سرقته بغتة قد اختفى، فلا يوجد ڤيكتور يهدده بعد الآن، لكن يوجد من هو أقرب لأن يكون ڤيكتور لكن بنسخة أكثر رقة. وبينما كان يحتسي مشروبه بهدوء، ويتمايل مع كأسه على ألحان الموسيقا التي قام بتشغيلها، انتزعته ضوضاء كانت قادمة من الخارج من صفو أجوائه. كان أبطالنا يتنازعون مع حراسه حتى يتمكنوا من اقتحام غرفة عرشه. وفي لحظة ما، حصل ما لم يخطر لأحد منهم. بدأ حراس فرانكلين بالطيران والسقوط على الأرض محدثين دويًا قويًا. توقف الجميع عن القتال، يريدون معرفة ما الذي يحدث؟ ومن هذا الذي جاء فجأة؟ بانت لهم معالم وجهها عندما أصبح طريقها خاليًا من الحراس، صرخ بها لواف:

ـ أيتها الغبية، سينهار جسدك باستعمالك كل هذه الطاقة!.

قال جاك مصدومًا:

ـ تيا، ما الذي جاء بك إلى هنا؟ ومن أخبرك؟.

نعم، إنها تيا، ولكن ليست أية تيا. إنها تيا التي تشتعل وتتوهج بلون ناري كما لو أنها النار ذاتها التي توقد في الشتاء حتى يتدفأ بها الناس. تجاهلت الجميع وتوقفت أمام باب غرفة العرش. سحبت سيفها الذي توهج كما تفعل صاحبته، وركلت الباب برجلها كاسرة إياه، مقتحمة مساحته. فزع فرانكلين عندما رآها، حاول الهرب، لكنها لفت

قيودها عليه مثبتة إياه. لحقها كل من لواف وجاك يقنعانها بالتراجع، والجنود الآخرين يحمون ظهورهم. قالت مسكتة إياهما:

ـ لن يقطع رأسه إلا من قبلي، سأرجع المجد لعائلتي.

قال جاك مانعًا إياها:

ـ توقفي أرجوك، أنت لست بوعيك.

تجاهلت تيا نداءات جاك ولواف، وتقدمت بخطواتها وسيفها الذي يحدث صريرًا معها بسبب تلامس يحدث بينه وبين الأرض الرخامية، إلى أن أصبحت واقفة أمامه. أمسكت رأسه ونظرت عيناها الحمراء بعينيه، قالت:

ـ سأنتقم لكل عائلتي، قل وداعًا لحياتك أيها الخنزير.

أنهت تيا جملتها، وبرمشة عين، قطعت رأسه. انحنت تيا ملتقطًا التاج من رأسه على الأرض واضعة إياه على رأسها، أدارت نفسها حتى أصبحت تقابل وجوههم المصدومة والشاحبة، أدرفت بصوت حاد قوي:

ـ من الآن وصاعدًا، أعلن أن الحكم قد عاد لعائلة دادلي، وكل شخص يحالف فرانكلين أو يخطط للانتقام له، سيعدم على يدي أنا، أنا الإمبراطورة تيا دادلي.

بدأ وهج تيا بالاختفاء تدريجيًا، وعندما اختفى كليًا، انهارت تيا مغشيًا عليها. أسرع جاك ممسكًا إياها قبل أن تصل إلى الأرض. أوكل ما تبقى من أشياء إلى لواف وسيباستيان، حملها واتجه بها إلى قصر ڤيكتور. وضعها جاك على حصانه ثم صعد هو الآخر عليه محاوطًا تيا بين يديه، مسندًا رأسها على صدره. حاول العثور على دائرة سحر حتى يسرع من عملية وصولهما إلى القصر، لكن للأسف، على ما يبدو أن فرانكلين أمر بمسحها جميعًا.

وصلا بعد مدة، أسرع جاك بإنزالها راكضًا بها إلى أول غرفة تظهر في وجهه. أرشدته لورين إلى غرفة ڤيكتور؛ لأنها أقرب الغرف.

مددها جاك على السرير وبدأ يفحصها، انتشر ضوء التعويذة على أنحاء جسدها كله، ثم بدأ بالتقلص إلى أن تمركز عند قلبها. حرك جاك يديه فوق قلبها يحاول معرفة ما أصابه، أطلق المزيد من المانا حتى يحدد علتها، بدأ يشعر بالألم الذي تخلقه المانا في قلبه عندما يفرط في استعمالها. وبينما هو يصارع ألمه، تفاعلت مانا تيا مع خاصته، مما قلل من كمية المانا التي يخرجها من قلبه. بدأ ألمه يزول بالتدريج، وبدأ ضوء تعويذته بالزوال. انتظر قليلًا على أمل أن تستيقظ تيا، ولقد استيقظت!. لم ينبس جاك بأي كلمة، أسرع باحتضانها، احتضنها بقوة خنقتها. أبعدته تيا قليلًا حتى تتمكن من التقاط أنفاسها. كانت تريد لومه، ضربه، الصراخ وإلقاء الكلمات عليه، لكن لسانها

أبى أن يتحرك ويسمح لها بفعل كل هذا. سمعت شهقاته التي كان يحاول كتمها، لكنها واضحة جدًا. قال جاك بين شهقاته:

ـ أنا آسف تيا، أنا آسف. لم أستطع حماية والدك كما طلبت مني، كان علي أن ألازمه، لم يكن علي أن أكون قائدًا لمجموعة. لقد مات بسببي، افعلي بي ما شئتِ، أنا راضٍ بأي شيء قد تفعلينه لي. أستحق الموت لإخلافي الوعد. اقتليني إن شئت، لن أوقفك. أنا آسف تيا، حقا آسف.

بقيت تيا ساكنة على حالها، لم تدرِ ما الذي يتوجب عليها قوله؟ حاوطته بعد مدة مبادلة إياه العناق، قالت ما لم يتوقعه منها في هذه اللحظة أبدًا:

ـ أنا... أنا أحبك جاك. إن كنت تريد أن تكفر عن ذنبك، عليك أن تجعلني سعيدة وألا أذرف دمعة واحدة. هذا أقسى عقاب قد أعطيك إياه، فهذا أصعب شيء قد يفعله المحب لحبيبه. أعلم أن الوقت ليس مناسبًا لأقول هذا الكلام، لكنني لا أستطيع أن أقتلك. إن فعلت هذا من سيبقى في هذا العالم حتى يخفف عني؟ وسيكون أبي غاضبًا إن فعلت لك هذا، فإنه لا يجازي من كان صادقًا معه وأوفى له بوعوده سوءًا، بل يجازيه خيرًا وأكثر من الخير. فأنى لي أن أقتلك وأنت أحسنت له؟.

فصل جاك العناق ناظرًا في عينيها، قال:

ـ أعدك أنني سأنسيك كل ما عشتيه من أسى، وسأبدله بذكريات تدغدغ قلبك كلما تذكرتها.

مسحت تيا دموعه المنهمرة على خده بإبهامها، قالت بصوت مخنوق:

ـ سنبني هذه الإمبراطورية مرة أخرى، وسأنتقم من كل شخص أذانا، سأحاول أن أبدد الظلم، وسأهتم لعامة الشعب الذين قتلهم الفقر والمرض، وسأربي أطفالي بكل حنان وحب، ولن أسمح بأن يذوقوا ما ذقناه من حزن. سألون حياتي وحياة هذا الشعب، وأجعلها وردية خالية من كل شر. سأحقق العدل، وأجيب المستنجدين، وأقدم المساعدات للمحتاجين. سأعيد الروح لهذه البلاد. أدرك أن الكلمات نطقها أسهل من تنفيذها، لكن أنا وأنت معًا، أؤمن أن بإمكاننا جعلها حقيقة.

لذا توقف عن ذرف الدموع، فقد ذرفت دموعًا لكثرتها جفت عيناي. دعنا نبدأ الكتاب من جديد، علينا ملؤ صفحاته هذه المرة بحياة سعيدة، سنكون نحن أبطالها ولن ندع مجالًا لشخص أن يفسد علينا سعادتنا.

تيا

" مضت خمس سنوات على استلامي للعرش، حاولت أنا وجاك أن نجعل إمبراطوريتنا مثالية قدر الإمكان. فقمنا بفرض عقوبات على أي مصاص دماء يحاول إيذاء ساحر أو بشري، والعكس صحيح. عملت على تحسين النظافة في البلاد، فبنيت مصنع صابون يمكن لعامة الشعب تحمل تكاليفه. فعندما قمت بجولة لأعرف أسباب انتشار الأمراض والأوبئة بين الناس، اتضح أنه بسبب انخفاض مستوى النظافة لديهم. قلت الأمراض بشكل ملحوظ عندما بدأ الناس باستخدام الصابون والاهتمام بنظافتهم أكثر. حاولت إعانة جميع الأسر العاجز أفرادها عن العمل، إما لكون رب الأسرة غير قادر على العمل، أو أن هذه الأسر أيتام صغار لا قدرة لأحدهم على العمل. والكثير من الأسباب.

بعد شهر من حادثة مقتل فرانكلين، جمعت جميع الخونة، وتم إعدامهم. حاولت إقناع لواف بالتراجع عن فكرة إعدام والده، لكنه أبى أن يقتنع. كان يقول لي: " ليس مميزًا عن الجميع، كل خائن عليه أن يتلقى ما يستحقه". تدهورت حالته النفسية كثيرًا بعد هذا، فقد هجرته والدته وعادت لأهلها، ولم يستطع أن يزيل ما تبقى من رماد حبه السابق وبدء حياة جديدة. حاولت أن أقضي الوقت معه، وأقمت الكثير من الأمسيات للمقربين حتى أحسن من نفسيته، لكن بدا لي أنه عالق في الماضي عاجز عن الخروج منه. كنت أحاول أن أسعده بآخر ما تبقى لي من ذرات السعادة داخلي؛ فقد حملت ثلاث مرات، لكن في كل مرة كان يموت الجنين في شهري الثامن، إلا آخرهم ولدته، لكنه خرج للعالم ميتًا. حاولت التماسك كيلا أهمل أمور البلاد، فبصفتي إمبراطورتها، علي أن أتحمل شتى أنواع المصاعب، وأن أفصل عواطفي عن عملي. ولم يكن جاك أقل تأثرًا مني في حادثة فقدان أطفالنا، لكنه حاول التماسك أمامي حتى لا أضعف أكثر. كنت مقتنعة أنني سأتمكن من الإنجاب يومًا، ربما أطفالي الذين ماتوا كانوا سيخلقون مشوهين أو معلولين. واثقة أن الله لم يؤخر هذا إلا لأنه خير لي.

أما سيباستيان ودانييل، فقد أصبحا أعز الأصدقاء، وغدا يتكلمان عن مدى فظاعتي أنا وجاك في العمل. فقد أصبح سيباستيان مساعدي، وفي المقابل دانييل مساعد جاك. وفي أحد أيام الربيع الماضي، صدمنا سيباستيان بقرار زواجه من فتاة ما. وما زاد دهشتي، أن تلك الفتاة لم تكن سوى هيتيسيا! لم يدرك سيباستيان أن لواف كان يكن لها المشاعر وما يزال، لم تذكر له هذا الأمر أبدًا. فكر سيباستيان بالتراجع عن هذا الزفاف، فلا يريد أن يؤلم شخصًا نقيًا كلواف. علم لواف بالأمر، وأمر سيباستيان بسحب فكرة الإلغاء، فهي الآن لا تعني له شيئًا سوى أنها ماضٍ، ولا يريد لها غير أن تكون سعيدة مع شخص يحسن تقديرها، وهو واثق أن سيباستيان قادر على فعل هذا.

أنهيت عملي الذي تراكم علي بسبب ذلك السيباستيان الذي أخذ إجازة لثلاثة أيام؛ لأن سيا مريضة وعليه أن يعتني بها وبطفلهما. كانت الساعة آنذاك الثانية بعد

منتصف الليل. نهضت من كرسي متجهة إلى غرفة نومي، إلى سريري الذي أشتاق له جدًا. لقد نمت على تلك الأريكة القاسية ليومين متتالين، أشعر بتصلب أصاب رقبتي وظهري. فتحت الباب بخفة خشية إيقاظي لجاك الذي كان لتوه عائدًا من معركة. غيرت ملابسي الخانقة لأخرى مريحة، وأخيرًا، استلقيت على سريري. كنت على وشك إغماض عيني محلقة في عالم الأحلام، لكن اليد التي التفت على خصري افسدت علي تلك اللحظة التي كنت أنتظرها ليومين كاملين. أدارني حيث بت أقابل وجهه. نظر لي بابتسامته الدافئة التي لم تتغير قط منذ سنين. بينما أنا بدوري نظرت لهم بتذمر وأنا أقول:

ـ كنت على وشك النوم إلا أن أحدهم أفسد هذه اللحظة.

ضحك بخفة وقال لي:

ـ وأنا لم أستطع النوم لأن شخصًا يدعى تيا تأخر بالنوم.

ـ تراكمت الأعمال علي بسبب إجازة سيباستيان، فقد كان يساعدني حقًا، ويأخذ الكثير من الأعمال الصعبة.

ضمني جاك إلى صدره قائلًا:

ـ توقفي عن الكلام، أنا أهرب إلى هنا من العمل، وأنت تأتين به مجددًا. نامي وكفاك حديثًا عنه، أصبح من أسوأ كوابيسي".

تم بحمد الله ♥

أستقبل آراءكم على حساباتي:

Tik Tok:@author_noor2

Instagram:@author_noor